

الانحراف الفكريّ

مظاهره، أسبابه، آثاره، العلاج، عوامل انتشاره، وآثاره، والعلاج

(واقع جمهورية مالي نموذجاً)

الأستاذ الدكتور هارون المهدي ميغا

أستاذ التعليم العالي

الأمين العامّ لمجلس علماء وكتاب شمال مالي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى 1442هـ / 2021م

بماكو مالي

الانحراف الفكريّ

مظاهره، أسبابه، آثاره، العلاج، عوامل انتشاره

(واقع جمهورية مالي نموذجاً)

الأستاذ الدكتور هارون المهدي ميغا

أستاذ التعليم العالي

الأمين العامّ لمجلس علماء وكتاب شمال مالي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى 1442هـ / 2021م

بماكو مالي

المُقدِّمة

الحمدُ لله وحده، والصلاة والسلام على مَنْ لا نَبِيَّ بعده، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحابه ومَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. وبعد:

فقد خلق الله الإنسان في أحسن صورةٍ وفطرة، وعلى سلامةٍ عقليٍّ وفكر، وجعله اجتماعيًا بطبيعته؛ فلزِمَ أن يكون الفكرُ السليم هو الأصل، حتى يطرأ عليه طوارئ تُكدير صفوه وصفو ما ينتج عنه.

وإذا كان التفكير من نتاج العقل فإنَّ التفكير المستقيم المفيد يوجد التمايز والتنوع بين الناس في مستوياتهم العليا. وقد عُني الإسلامُ عنايةً شديدةً بالتفكير، ودعا إلى التعقل وإلى التفكير في الكون، والإنسان، وشؤون الحياة وتقلُّباتها؛ للالتعاط والذكرى، وترسيخ الإيمان؛ وللاستفادة في عمارة الأرض وتحقيق مصالح العباد والبلاد في كلِّ زمان ومكان؛ بتحقيق حفظ الضرورات الخمس وما تستلزمه.

والفكر والتدبر شرطٌ لازم لا يُمكن الاستغناء عنه للوصول إلى الحقيقة أو ترسيخه إذا أُحسِنَت الوسائل والأساليب، قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران 190-191]. وقال تعالى: {فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الأعراف 176]. وقال: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل 69].

تظهر أهمية الموضوع في عدَّة أمور:

- كفى الموضوع أهميةً أن يختار أصله خبراءٌ في البحث العلمي، وعلماء أجلاء؛ ليكون موضوعٌ بحوثٍ مُلتقىٍ علميٍّ، دعويٍّ، في رمضان المبارك، شارك

بسم الله الرحمن الرحيم

بالكتابة فيه جماعةً من العلماء الأفاضل، والباحثين الكبار، والدكاترة، من مختلف أرجاء أفريقيا⁽¹⁾.

- أن تغيير الأفكار والآراء والمواقف والاتجاهات لِن أهم الأسباب والوسائل إلى تغيير السلوك للحسن أو للأحسن.

- أن الانحراف الديني أخطر أنواع الانحراف؛ لما يترتب عليه من انحرافات أخرى، وويلات ومصايِب؛ ولأنه -غالبا ما- يكون من نتاج الانحراف الفكري، ويتغطى بدثار الدين وعلومه، وبالسعي في تطبيقه؛ فيلتبس الحق بالباطل.

- من واجب العلماء والدعاة توجيه الأشخاص إلى الفكر السليم، وتبصيرهم بشماره الطيبة للفرد، والمجتمع، والدولة، في القول والعمل والسلوك، في الدنيا والآخرة. وتحذيرهم من الفكر المنحرف ومن عواقبه السيئة والعظيمة عليها جميعا. وترسيخ أن من مقاصد الإسلام نشر السلامة، والأمن، والاستقرار، في كل ما يتعلق بشؤون الحياة، ومحاربة كل ما يكدر صفوها أيًا كان مصدره.

- ضرورة ترسيخ موقف الإسلام الصحيح من العنف الذي يصدر عن المنحرفين فكريا؛ فتزهق النفوس، وتنتهك الأعراض، وتدمر الممتلكات والبلاد، ويُسوّه الدين وثوابته؛ ذلك الموقف الذي له أثر قويٌّ وفَعَالٌ في محاربة الانحراف الفكري والمنحرفين فكريًا.

¹ - أصل هذا الكتاب دراسة علمية شاركتُ بها في الملتقى الرمضاني (25) للجنة الدعوة في أفريقيا بالرياض رمضان عام 1437م. 2016م وفاز بالمركز الثاني لأفضل البحوث الخمسة الأولى من بين اثنين وأربعين (42) بحثا قدمها علماء وباحثون ودكاترة من اثنتين وأربعين دولة. وقد فرضت أحوالٌ مستجدة، جدٌ خطيرة، القيام بتعديلات، وتفصيلات، وزيادات أخرى، كثيرة، تزيد على الثلثين تقريبا؛ فخرج على الصورة التي بين يديك.

- أن لأخطبوط الانحراف الفكري⁽²⁾ الذي ينهش بأيديه أو أرجله في الجسد الوطني والإسلامي في مالي منذ 1991م ثماني أيدٍ، ستٌ خطيرة جدًا، كلٌ واحدة منها تجذب مالي إلى حُفرة هلاكٍ غائرة، وهي: الأولى: الحركة التغريبية بفروعها: العلمانية، والليبرالية، والعملاء، بمختلف وسائلهم وأساليبهم الخبيثة، وفي كل المجالات، مع التطبيق السيء جدًا للديمقراطية. أغلهم يحملون أسماء إسلامية، ويعتلون مناصب عليا وتنفيذية في معظم أجهزة الدولة، ومنهم الحركات الانفصالية. ولا تسأل عمًا عند أكثر القوم من الفساد السياسي، والإداري، والانحلال الخلقي، والمحسوبية الأسرية، أو القبليّة، أو الجهوية، أو الثقافية...إلخ. الثانية: حركات تُسبّي نفسها إسلامية وقعت في الإفراط الشديد، سواء التي حملت السلاح باسم الجهاد وتطبيق الشريعة؛ لأنّ أغلب ضحاياها هم المسلمون وديارهم، وممتلكاتهم الخاصة والعامة، أم التي لم تحمل السلاح؛ إذ لا تقلُّ ضررا بالإسلام والمسلمين عن التي حملت السلاح؛ فهي أقدم في الساحة؛ ولأنّها تُميّع ثوابت الإسلام وأصوله، وتُتاجر به، وتُسوّه مبادئه ومفاهيمه، وتُشتت المسلمين. وقد ازدادت قوّة؛ فكشّرت عن أنيابها. وربما كانت هذه الأخيرة بعضٌ مُغذيات المسلحة التي قد تحتج بمواقفهم - إن حقًا أو باطلا- لتسويغ تصرفاتهم. الثالثة: التنصير، وأهله أقلية جدًا، لكنّها على أرض الواقع تُناصف وتنافس الأغلبية المسلمة في كل شيء، أو على الأقل لا بدّ من مراعاتها في كل قضية حتى لو كانت دينية تمسُّ الأغلبية المسلمة فحسب. وهي حركة ناعمة يُسهر لها وعليها داخليًا وخارجيًا. وكثيرا ما يُحتجُّ بهم وبعلمانية الدولة في تعطيل مشاريع إسلامية للأغلبية يكفلها لهم قانون الأغلبية من غير إضرار بحقوق الأقلية. اليد الرابعة: جهلُ العامة أو تجهيلها وسوء

² - الأخطبوط: حيوان بحري، أسطوانيّ الشكل، له ثماني أرجل أو أيدٍ رأسيّة. يُضرب به المثل في شدّة التنبُّت بما يُمسكه. المعجم الوسيط. واليدان الباقيتان (السابعة والثامنة) هما طوق النجاة لمالي وتشمل كل الجوانب الإيجابية الأخرى في مختلف المجالات.

استغلالها من كلِّ الأطراف، قُبلياً، وجهويّاً، ودينيّاً، واجتماعيّاً، وثقافيّاً، وسياسيّاً، داخليّاً وخارجيّاً، حتى فُقِدَ معنى المُواطِن الصالح عند الأغلبية. الخامسة: ضياع التعليم أو تضييعه في كلِّ مستوياته؛ زيادةً في التجهيل، وتنويم الشعب، وتضييع مستقبل البلاد والعباد، والاستمرار في سوء استغلال خيراتها الكثيرة فوق الأرض وتحتها لِصالح فئة قليلة. اليدُ السادسة لأخطبوط الانحراف الفكري في مالي هي: شبهُ إعادة الاستعمار لمالي من قُوَى كبرى ومنظّمات دوليّة، وشركات تجاريّة، وعملاء في الداخل؛ لأنّها شَمَت رائحة الوعي والتوعية بتدابيرهم خلف الكواليس، وبالتمرّد عليهم وعلى قوانينهم وعملائهم بقيادة المجلس الأعلى الإسلامي أيّام رئيسه الإمام محمود ديكو؛ لتكون مالي بتصرّفات هذه اليد الخبيثة نموذجاً لغيرها في التأديب والإعادة إلى الحضيرة؛ فلمالي عندهم قيمة دينيّة، وشعبيّة، واقتصاديّة، واستراتيجيّة، وريادة اجتماعيّة في المنطقة، يُفِرط فيها الماليون بمختلف شعوبهم وقبائلهم وحكوماتهم.

الهدف الأساس للموضوع، الأوّل والأخير، هو كشف الأباطيل والأكاذيب، وتعرية عُوار الانحرافات وحرركاتها المتمرّدة -الانفصاليّة والجهاديّة وغيرهما- ومُنطلقاتها العقديّة والفكريّة، والطائفيّة القبليّة، وأهدافها الحقيقيّة، وبيان التحريفات فيها، وتصحيح المفاهيم... إلخ، في مالي وغيره.

وإذا كان من مُسلّمات البحث العلميّ وأساليبه أنّ الموضوع يفرض على الباحث أسلوباً مُعيّناً، ومنهجاً علميّاً مُحدّداً، فإنّ المرونة العلميّة وبعض مطالب هذا الكتاب قد قرّضت -أحياناً- على المؤلّف بل اضطرتّه إلى نقلٍ طويلٍ لمقالاتٍ كاملةٍ من غير أيّ تدخّل؛ لأنّ ذلك يُؤكّد ويُرسّخ الهدف الأساس والحقّ الذي ورد في المنقول، ويشتمل -في الوقت نفسه- على الكشف الدقيق عن حقائق ومعلومات وأهداف مخفيّة تعمّداً، وعن وسائلٍ وأساليبٍ و ساعين في تحقيقها. وعلى التفريق

بين الحابل والنابل، ويُبعد عن المؤلّف مظنّة الإسقاط أو التقويل في حقائق وأُمور خطيرة خلف الكواليس قد أخفاها الله أيّ أزال خفاءها.

دَرس هذا الكتاب التفكير والعقل، والانحراف الفكريّ: مظاهره، أسبابه، عوامل انتشاره، آثاره، وسبل علاجه، ثمّ واقعه في جمهوريّة مالي وأطواره ونماذجه، وجهود العلماء والدعاة والباحثين وكاتب هذه السطور، وهيئات إسلاميّة وعلميّة ودعويّة، في كشف عُواره؛ فجاء في مُقدّمة، وتمهيد، وأربعة مباحث تحتها مطالب، وخاتمة، وفهرست للمصادر والمراجع، وللموضوعات.

وقد انتهيت من إعداده نهائيّاً للنشر منذ 1441/8/8 هـ 2020/4/1 م، لكنّ أحوالاً وظروفاً عامّةً وخاصّةً عائليّةً وغيرها - حالت دون ظهوره، كالتركيز على كتابي السابق "الشعر العربيّ في جمهوريّة مالي" والاستعجال في إخراجه، وبحوثٍ، وتدرّيس وإشراف، ومراجعات لبحوث محكّمة وكتب... إلخ. والحمد لله على كلّ حال؛ فهيّ هو بين يديك.

الله أسأل أن يحفظ بلاد المسلمين من كلّ سوء، وأن يُديم عليها الأمن والاستقرار، والتماسك والوحدة، وأن يُيسّر لِقادتها ما فيه مصالح البلاد والعباد، وأن يُعيد لجمهوريّة مالي الوحدة، والتوافق الاجتماعيّ، والأمن الفكريّ والدينيّ، والاستقرار الاجتماعيّ والسياسي، وحسن الإدارة... إلخ، وأن يقطع دابر الظالمين البُغاة الطُغاة، ويجعل كيد من أرادها أو سائر بلاد المسلمين بسوء في نحره؛ إنّه العليّ العزيز، وليّ التوفيق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

أ.د. هارون المهدي ميغا

بماكو 1442/11/19 هـ

2021/6/29 م

التَّمهيد:

مفهوم الانحراف الفكري

أولاً: التفكير: أهميته ودعوة الإسلام إليه:

التفكير: مصدر فَعَّرَ في الشيء يُفَكِّرُ: أَعْمَلَ العقلَ فيه، ورَتَّبَ بعضَ ما يَعْلَمُ ليصل به إلى مجهول. وكذلك الفكر بفتح الفاء وكسرهما. ومصطلح التفكير من المصطلحات التي يكثر استعمالها، ويُعْجَزُ -أحياناً- عن شرحها بدقة. وقد أكَّد كثير من العلماء وجودَ خاصَّتين في التفكير، إحداهما: تكاملُ الخبرات السابقة وتنظيمها. والأخرى: اكتشافُ الاستجابات الصحيحة. وهما واضحتان من المعنى السابق.

من غير دخول في خِصَمِ التعريفات الكثيرة ونقلها نكتفي بتعريف التربويين له بأنَّه "كلُّ نشاط عقلي، هادف، مَرِن، يتصرَّف بشكل منظَّم في محاولةٍ لحلِّ المشكلات، وتفسير الظواهر المختلفة والتنبُّؤ بها، والحكم عليها باستخدام منهج معيَّن يتناولها بالملاحظة الدقيقة والتحليل، وقد يُخضِعها للتجريب في محاولة الوصول إلى قوانين ونظريات"⁽³⁾.

مَنْ يُنعم النظر في تعريفات التفكير المتنوعة عند العلماء والباحثين يخلُص إلى أن:

أ- التفكير ضرورة حيوية، ومن حاجات الإنسان الأساس التي تستمرُّ ولا تنتهي؛ فهو أرقى صفة يتَّصف بها الإنسان الذي ميَّزه الله عن بقية الكائنات الحيَّة بقدرته على التفكير. وليست الثروة الحقيقية لأية أمة فيما تملك من أراضٍ أو أموال أو أشياء أخرى، وإنما ثروتها الحقيقية في كميَّة الأفكار البنَّاءة ونوعيتها التي

³ - التفكير فريضة إسلامية، عبَّاس محمود العقَّاد/8-9 منشورات المكتبة العصرية، بيروت-صيدا. بدون ت.

تُمْكِنها من حلِّ المشكلات، وسلوك الطرق السليمة وتوضيحها في تدبير شؤون الحياة على وجهٍ يُحقِّق المصالح ويدرأ المفاسد.

ب- التفكير الجيِّد أو المفيد هو الذي يُمكِّن صاحبه من بناء الحكم على مقدِّمات وخبرات منظَّمة ينتهي به إلى حلِّ مشكلة أو بناء شيء جديد على أسس سليمة. والآيات كثيرة في هذا الصدد، قد يأتي بعضها.

ت- التفكير من وظائف العقل السليم ونتاجه؛ فلا يُمكن تناوله دون وقفةٍ قصيرة مع العقل والتعقُّل.

وقد ذكر العقَّاد للعقل السليم خصائص، منها:

- ملكةٌ يُنَاط بها الوازع الأخلاقي، أي المنع من المحظور والمنكر، كما تدلُّ مادة "عقل" على المنع والحبس، وهذا أدنى درجات التعقُّل.

- ملكةٌ الإدراك التي يُنَاط بها الفهم والتصوُّر للوازع الأخلاقي وأسبابه وعواقبه ولغيره من الأمور.

- التأمل فيما يُدرِّكه وتقلُّبه على وجوهه؛ لاستخراج بواطنه وأسْراره لبناء نتائج وأحكام عليه.

- الرُّشد في القول والعمل. وهذه الوظيفة أو الخِصِيصة أعلى ممَّا تقدَّم؛ لأنَّها تستوفي الوظائف والخصائص الأخرى، وتزيد عليها بالنضج والتمام والتميز

بميزة الرشد، إذ لا نقص ولا اختلال؛ فقد يُؤتَى الحكيم من نقص في الإدراك، وقد يُؤتَى العقل الوازع من نقص في الحكمة، ولكنَّ العقل الرشيد ينجو بالرشاد من هذا وذاك⁽⁴⁾.

إنَّ العلاقة وثيقة بين التفكير والعقل الإنساني بجميع أنواعه. والتفكير فريضة في القرآن الكريم الذي يُخاطب العقل بكلِّ مستوياته ودرجاته، ولا يذكر

⁴ -انظر: المرجع السابق والصفحة.

القرآنُ العقلَ عَرَضًا مُقْتَضِبًا بل يذكره ويخاطبه مقصودا ومفصلاً بمستوياته أو أنواعه الأربعة: العقل الوازع، والعقل المدرك، والعقل الحكيم، والعقل الرشيد، بما لا نظيره في كتاب من كتب الأديان. وقد كثر في القرآن ذِكْرُ هذه المستويات أو الأنواع في مواضع كثيرة وبألفاظ مختلفة أحيانا.

فَعَنَ الْعَقْلَ الْوَازِعَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [البقرة 44] وقوله: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [البقرة 164]. وقوله: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [البقرة 242]، {وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الأنعام 151].

وَعَنَ الْعَقْلَ الْمُدْرِكَ أَوْ الْعَقْلَ الَّذِي يَقُومُ بِهِ الْفَهْمُ وَالْوَعْيُ، وَهِيَ أَعْمَقُ وَأَعْمُ مِنْ مَجْرَدِ الْإِدْرَاكِ وَبِخَاصَّةٍ فِي خِطَابِهِ لِأُولَى الْأَبَابِ، قَوْلُهُ: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة 179]. وقوله تعالى: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [آل عمران 7]. وقوله: {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر 18].

فهذه الآيات وغيرها تُبَيِّنُ أَنَّ لِلْبَلَدِ الَّذِي يُخَاطَبُ الْقُرْآنُ أَهْلَهُ "وظيفةً عقليةً تحيط بالعقل الوازع، والعقل المدرك، والعقل الذي يتلقى الحكمة، ويتعظُّ بالذكرى، وخطابه خطابٌ لأناسٍ من العقلاء لهم نصيبٌ من الفهم والوعي أوفر من

نصيب العقل الذي يُكْفُ صاحبه عن السوء، ولا يَرْتَقِي إلى مَنْزِلَةِ الرسوخ في العلم (...). والتمييز بين الحسن والأحسن في القول⁽⁵⁾.

أَمَّا الْعَقْلُ الرَّشِيدُ الْمَفْكَرُ الَّذِي يَسْتَخْلَصُ زُبْدَةَ الرَّأْيِ وَالرُّؤْيَا فَإِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ- كَمَا يَقُولُ الْعَقَّادُ- " يُعَبِّرُ عَنْهُ بِكَلِمَاتٍ تَشْتَرِكُ فِي الْمَعْنَى أحياناً، وينفرد بعضها بمعناه على حسب السياق في أحيان أخرى"، فهو الفكر والتفكير، والبصر، والتدبر، والاعتبار، والفقہ (أي الفهم والوعي)، والذكر والتذكُّر، والعلم، والشعور⁽⁶⁾. من الآيات: {وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} [البقرة 219]. {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران 191]، {انظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ} [الأنعام 65]، {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [القصص 72]، {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص 29]، {وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [البقرة 221].

يَتَّبِعِينَ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ وَنَحْوِهَا:

- أَنَّ التَّفَكِيرَ السَّلِيمَ يَضْمَنُ اكْتِشَافَ سُنَنِ الْحَيَاةِ الْمَطْرُودَةِ وَالشَّامِلَةِ وَالثَّابِتَةِ، وَهِيَ سُنَنٌ مَنْتَشِرَةٌ فِي الْكُونِ وَالْأَنْفُسِ وَالْمَجْتَمَعَاتِ، تُوثِّقُ الصَّلَاةَ بَيْنَ الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ، وَتَجْلِبُ الْإِسْتِفَادَةَ مِنْهَا الْمَصَالِحَ وَتَدْرَأُ الْمَفَاسِدَ، وَتَسْتَشْرِفُ

⁵ - التفكير فريضة إسلامية/9-12 مع تصريف.

⁶ - المرجع السابق/12-13، بتصريف.

مستقبلا زاهرا على أسس علمية قوية، {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ}}⁽⁷⁾.

- أن العقل الذي يُخاطبه الإسلام "هو العقل الذي يَعصم الضمير، ويُدرك الحقائق، ويميز الأمور، ويوازن بين الأضداد، ويتبصر، ويحسن الإدراك والرواية". فكان بين العقل و التفكير السليم تلازما. ومن ثمَّ كان التفكير السليم ضرورة لا غنى عنه في أيِّ شأن من شؤون الحياة لجلب مصلحة أو درء مفسدة، كلُّ يجني من ثماره مهما تفاوت الناس فيه وفي بنائه على أسس سليمة، وأساليب قويمه، ومنهجية منضبطة.

- "وأنته هو العقل الذي يقابله الجمود والعنت والضلال، وليس العقل الذي قُصاراه من الإدراك أنه يُقابل الجنون؛ فإنَّ الجنون يُسقط التكليف في جميع الأديان والشرائع، وفي كلِّ عُرف وسُنَّة، ولكنَّ الجمود والعنت والضلال غيرُ مُسقطٍ للتكليف في الإسلام"⁽⁸⁾، بل هي والحماسة غير المنضبطة بضوابط الشرع، والتهوُّر، ونحوها، هي التي تدفع بالفكر إلى الانحراف وما يترتب عليه من الآثار السيئة، سواء ما تعلق منها بالفرد أم بالمجتمع أم بالأمة.

ثانيا: الانحراف الفكري لغة واصطلاحا:

في اللغة: الانحراف الفكري مصطلح مركَّب؛ لذا لا يُمكن تعريفه اصطلاحا بدقة إلا بتعريف كل جزء على حدة.

الانحراف: من حَرَفَ عن الشيء يحرف حَرْفاً، وانحرف عن الشيء، وتحرف، واخرُورَف: عدل عنه ومال. وحرف الشيء عن وجهه: صرفه وغيره. وحرف الشيء: أماله. والتحريف في القرآن تغيُّر الحرف عن معناه، وتحريف الكلام والكلمة:

⁷ - انظر: فصول في التفكير الموضوعي، د.عبد الكريم بكار/13-14، 16-23

⁸ - التفكير فريضة إسلامية (مرجع سابق)/17

تغيُّرهما عن معناهما. والحرف من كلِّ شيء طَرْفه، وجانبه، وشفيره، وحدُّه، وناحيته. وإذا رأى شخص شيئا لا يُعجبه فعدل عنه قيل: فلان على حَرْفٍ من أمره، أي ناحية منه. ويقال: مالي عن هذا الأمر محرف، ومالي عنه مَصرف بمعنى واحد أي مُتنحى. وقد حُورِف كسبُ فلان إذا شدد عليه في معاملته، وضيق في معاشه كأنه ميل برزقه عنه، من الانحراف عن الشيء وهو الميل عنه⁽⁹⁾.

و في معجم المقاييس في اللغة "الحاء والراء والفاء ثلاثة أصول: حدُّ الشيء، والعدول، وتقدير الشيء. فأما الحدُّ فحرف كلِّ شيء حدُّه كالسيف وغيره، ومنه الحرف وهو الوجه نقول هو من أمره على حرف واحد أي طريقة واحدة، قال تعالى: {وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَغْبُذُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ..} [الحج 11] أي على وجه واحد؛ وذلك أنَّ العبد يجب عليه طاعة ربِّه تعالى عند السَّرَاء والضَّرَاء فإذا أطاعه عند السَّرَاء وعصاه عند الضَّرَاء فقد عبده على حَرْف، ألا تراه قال تعالى: {فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ}}. والأصل الثاني: الانحراف عن الشيء، يقال: انحرف عنه ينحرف انحرفا، وحرفته أنا عنه أي عدلتُ به عنه؛ ولذلك يقال مُحارَفٌ. وذلك إذا حُورِف كسبُه فَميل به عنه، وذلك كتحريف الكلام وهو عدلُّه عن جهته، قال تعالى: {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} [النساء 46، المائدة 13]. والأصل الثالث: المُحرف: جريدة يُقدَّر بها الجراحات عند العلاج (.....) وزعم ناس أنَّ المُحارَف من هذا، كأنه قُدِّر عليه رزقه كما تقدَّر الجراحة بالمُحرف"⁽¹⁰⁾.

⁹ - انظر: مادة "حرف" في: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري (ت 393هـ) تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط3 عام 1404هـ 1984م، ومعجم المقاييس في اللغة، ابن فارس (ت 395هـ) تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، مادة "حرف" ط1 عام 1415هـ 1994م، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان. ولسان العرب، جمال الدين ابن منظور (ت 711هـ)، دار صادر، بيروت.

¹⁰ - معجم المقاييس في اللغة، مادة "حرف".

فالانحراف هو: الميلُ بالشيء عن وجهه الذي كان عليه إلى غيره. وهو: " الخروج عن جادة الصواب، والبعد عن الوسط المعتدل، وترك الاتزان" (11). وعرفه أحد الباحثين بأنه - في الشريعة -: "مُجانبةُ الفطرة السليمة، واتباع الطريق الخطأ المنهي عنه دينياً، أو الخضوع والاستسلام للطبيعة الإنسانية دون قيود" (12). الفِكرُ: الفاء والكاف والراء: تردُّد القلب في الشيء، يقال: تفكَّر إذا ردَّد قلبه مُعتبراً، ورجلٌ فِكْرٌ كَفَسِيْقٌ، وفِيَكْرٌ، كثير الفكر والتفكير. والفِكرُ والفِكرُ إعمال الخاطر في الشيء، والفِكرة كالفِكر. وقد فَكَّر في الشيء يَفْكر فَكْراً وفِكْراً، وأفْكر فيه وتفكَّر أي أَعْمَل عقله فيه، ورتَّب بعض ما يعلمه ليصل به إلى مجهول. والتفكَّر التأمُّل. ولَعَلَّ الفرق بين الفِكر بفتح الفاء والفِكر بكسرها هو أنَّ الأوَّل مصدر، والأخر اسم مصدر. يقال: ليس لي في هذا الأمر فِكْرٌ أو فِكْرٌ أي ليس لي حاجة فيه. وجعل بعضُ القدامى الفِكر بالفتح أفصح من الفكر بالكسر. وفكَّر في الأمر مبالغة في فكر، وهو أشيع في الاستعمال من فِكر. وفكَّر في المشكلة أعمل عقله فيها ليتوصَّل إلى حلِّها؛ فهو مفكِّر (13).

والفِكر عند الشريف الجرجاني هو: " ترتيبُ أمور معلومة للتأدِّي إلى مجهول" (14).

الفكر أو التفكير -إذن- هو: إعمال العقل في الشيء، وترتيب أمور معلومة للتوصل إلى مجهول أو لترسيخ معلوم وتأكيده.

11 - الانحراف الفكري: (faculty.ksu.edu.sa/27846/page)

12 - الانحراف والتطرف الفكري، أحمد مبارك سالم/1، مركز الإعلام الأمني، بدون ت. (منشور على الشبكة العنكبوتية)

13 - معجم المقاييس في اللغة، ولسان العرب، مادة "فكر"

14 - كتاب التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني/168، ط1 عام 1403هـ 1983 م دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

فيستلزم استعداداً عقلياً يُعِين على المحاكمة والتأمُّل والتمييز، وذهناً ونظراً ورويةً، وعملاً ذهنياً تتوارد فيه المعاني؛ فتأمُّل الحكيم، واستدلال العالم، وهو اجسُّ المراهق، وردَّات الفعل النفسية والحركية، كلُّ أولئك من حيِّز التفكير، الغايةُ الأساس منها تكيفُ الإنسان حسب الواقع. يستلزمُ التفكير -أيضاً- خاطرةً أو رأياً ينتهي إليه في أمر من الأمور أو موقف من المواقف (15).

الانحراف الفكري في الاصطلاح:

مفهومُ الانحراف الفكري نسبيٌّ متغيِّر؛ ولذا تعدَّدت تعريفاته الاصطلاحية وفق الاختصاصات، منها:

- الانحراف الفكري هو: "ذلك الفكر الذي لا يلتزم بالقواعد الدينية والأعراف والنظم الاجتماعية. أي أنَّه ذلك الفكر الذي يحيد بالمجتمع عن تقاليد الحميدة، وتُخالفُ تعاليم الإسلام الحنيف، والقيم السمحة" (16).

- هو: "الخروجُ عن الوسطية والاعتدال في فهم الأمور الدينية وتطبيقاتها، ممَّا يُشكِّل خطراً على نُظم الدولة وأمنها الوطني بكلِّ مقوماتها" (17).

- هو: "الفكرُ الذي لا يلتزم بالقواعد الدينية والتقاليد والأعراف والنظم الاجتماعية السائدة والملزِمة لأفراد المجتمع" (18).

15 - المعجم الأدبي، جُبُور عبد النور/195، ط2 يناير 1984م، دار العلم للملايين، بيروت لبنان. بتصرُّف.

16 - التخطيط الاستراتيجي لتحقيق الأمن الفكري بالمملكة العربية السعودية، سعيد علي حسين اللقيطي/5، والانحراف الفكري (faculty.ksu.edu.sa/27846/page)

17 - نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري بالمملكة العربية السعودية، عبد الحفيظ عبد الله المالكي/6، والانحراف الفكري (faculty.ksu.edu.sa/27846/page)

18 - موقع السكينة: www.assakina.com/studies/5304.html

- هو: "العدول عن الحق في أصول الدين وقضايا الكبرى وثوابته ومبادئه الأساسية؛ فكلُّ تفكير خاطئ فيه ميل عن الحق هو انحراف فكري" (19).

- تعددت التعريفات لكنها متفقّة على أنّ في الانحراف الفكري:

- مخالفةً للمجتمع في عقيدته، وقيمه، وأخلاقه، وثقافته، ونظمه.

- خروجًا عن الوسطية والاعتدال إمّا بالإفراط أو بالتفريط؛ فهو مخالف للإسلام الذي يدعو إلى الوسطية في ضوء الكتاب والسنة والإجماع والقياس.

- مخالفةً لمذهب أهل السنة والجماعة في تأويل النصوص ذات العلاقة بأصول الدين ومبادئه الأساس، وبالقضايا الكبرى والمصيرية للمجتمع أو للأمة.

- يؤدّي إلى أن ينعزل المنحرف فكريًا عن المجتمع، وهذا سبب مهمٌّ من أسباب تفكُّك المجتمع، ونشر التنابذ فيه، والإضرار بالفرد والمجتمع والدولة.

ولذلك يُمكن الانتهاء إلى تعريف الانحراف الفكري بأنّه: "مَيْلُ الفكر ومخالفته لدين المجتمع وما يؤمن به من قيم وأخلاق، وما تسود فيه من ثقافة، وما تحكمه من أنظمة وقوانين، وانحرافه عن الوسطية والاعتدال باتجاه التطرف سواء في التشدد [الإفراط] أو التفريط" (20).

و من أفضل الأوصاف الشاملة والدقيقة للانحراف الفكري قولُ أحد الباحثين هو: "اعتداءً ذو نزعة فردية أو جماعية ينعكس على الذات أو الآخر، سواء كان الآخر فرداً، أم جماعة، أم سلطة، أم مجتمعا، أم إقليما، أم دولة، أم مجموعة دول، ويسعى إلى إشاعة أفكار ليست لها مرجعية معتمدة من الشرع أو

19 - التدابير الواقية من الانحراف الفكري، دراسة تأصيلية، تميم عبد الله السليمان، إشراف أ.د.عبد الله فهد الحيد/37، بحث مقدّم لاستكمال متطلبات نيل درجة الماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض، كلية الدراسات العليا، قسم العدالة الجنائية، تخصص التشريع الجنائي الإسلامي، عام 1427هـ. 2006م.

القانون المدني أو الدولي؛ بغية التشكيك في الأهداف والمصالح والنظم والعقائد، من أجل مكاسب محدودة أو موسّعة بطرق غير مشروعة، ويؤثّر في أمن الفرد والجماعة والدولة والمجتمع بصورة سلبية، وتؤدّي إلى زعزعة الأمن الفكري والثقافي، وإثارة نوبات العنف والتطرف والإرهاب في بعض حالاته" (21).

وبأسلوب قريب وبتصرف في الوصف السابق ووصف باحث آخر الانحراف الفكري بأنّه: "استبعاد الفكر عن الحق والصواب، والسعي إلى إشاعة أفكار ليس لها مرجعية معتمدة من الشرع؛ بغية التشكيك في الأهداف والمصالح والعقائد من أجل مكاسب محدودة أو موسّعة بطرق غير مشروعة، ويؤثّر على أمن الفرد والجماعة والدولة بل المجتمع الدولي بصورة سلبية، وتؤدّي إلى زعزعة الأمن الفكري والثقافي، وإثارة نوبات العنف والتطرف أو الإرهاب في بعض حالاته" (22).

21 - معالجة الصحافة السعودية لظاهرة الانحراف الفكري، دراسة تحليلية لصحف الوطن والرياض، الجزيرة، محمد معلى الرشيدى، إشراف د.علي فايز الجحني/31 دراسة مقدّمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العلوم الأمنية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض، كلية الدراسات العليا، قسم العلوم الشرطية، تخصص التحقيق والبحث الجنائي، عام 1429هـ. 2008م. (نقلاً من الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني والدولي، محمد شحات، الرياض عام 2006م، ولم أقف عليه)

المبحثُ الأوَّل: نظرة عامّة للانحراف الفكري:

المطلب الأوَّل: مظاهر الانحراف الفكري

المطلب الثاني: أسباب الانحراف الفكري

المطلب الثالث: آثار الانحراف الفكري وسبل معالجته

المطلب الأول: مظاهر الانحراف الفكري

إذا كان الأصل هو سلامة الفطرة والعقل فإن الأصل هو سلامة الفكر حتى تطرأ طوارئ كثيرة ومختلفة؛ فيظهر في أقوال المنحرف وأفعاله وسلوكه، وفي ملحوظات الآخرين ورؤاهم.

من أهم مظاهر الانحراف الفكري:

1- الهزيمة النفسية: وهي حالة تُسيطر على النفس والعقل تُصيب صاحبها باليأس من إمكان تغيير واقع سلبي إلى حسنٍ أو حسنٍ إلى أحسن؛ بسبب مشكلات ومصائب تراكمت بدون حلٍّ. والإنسان المنهزم نفسياً يدعي أو يتظاهر بأنه مُلتزمٌ بعقيدة، أو مُؤمنٌ بفكرةٍ ما ثمَّ يظهر في سلوكه، وأهدافه، وحياته، وأساليبه، ووسائله، ما لا صلة له بما يدعي أو يتظاهر به؛ فلا يستطيع مواجهة المشكلات أو الاعتراف بها، ولا يستطيع اتِّخاذ قراراته بناءً على تفكير سليم موضوعي. يغلبه الخوف والهلع من المصائب والفتن التي تُواجه المسلمين في دينهم أو في شؤون حياتهم، واليأس من إمكان تغيير الواقع الحالي؛ فيتخذ نحوهم -أفراداً أو مجتمعاً أو دولاً- مواقف سيئة تُنتج أضراراً كبيرة. إنَّه يُسوِّغ أفعاله وأقواله الناتجة عن فكره المنحرف وعن نفسيته المهزومة اليائسة بالهروب إلى بعض النصوص العامة التي تُخصَّص بأخرى؛ فيأخذ بعموميَّتها، مثل "لا يأتي عليكم زمانٌ إلاَّ والذي بعده شرٌّ منه" رواه البخاري، ويتغاضى عن أحاديث الخلافة الراشدة بعد الملوك العضوض وغيرها التي تدلُّ على أنَّها عامٌّ مخصوص (23).

2- الفوضوية في طلب العلم وفي التفكير: تُستعمل كلمة الفوضى في اللغة لمعنيين، الأوَّل: اختلاط الأمور بعضها ببعض. والآخر: التساوي في الأمر، قوم فوضى

أي متساوون لا رئيس لهم. والفوضى صفة يتبرأ منها كلُّ عاقل مسلماً كان أم كافراً، عالماً أم جاهلاً؛ لأنَّها إنَّما تُستعمل في أوصاف سيئة يجمعها التفريط أو الإفراط في كلِّ شيء مع الاعتقاد بالإحسان فيه، وكذلك الإنسان الفوضوي يتخبَّط في كلِّ أموره ولا يُحسن فيها. أمَّا المراد بالفوضوية هنا- فهي العمل الارتجالي بلا ترتيب ولا إتقان، ولا هدف واقعي، ولا وسائل سليمة مع اعتقاد جازم بالصحة والصواب. والفوضوية في طلب العلم -مثلاً- مظهرٌ من مظاهر الانحراف الفكري؛ حيث تجد الشخص يحصر نفسه في كتب أشخاص مُعيَّنين، أو يقرأ كلَّ ما يقع في يده وهو لا يمتلك مقدرة علمية، ولا وعياً وفهماً؛ لتمييز صحيح الرأي من خطئه؛ فيزداد حيرةً وتشوُّشاً، وربَّما غروراً وعُجبا بنفسه. يتصوَّر نفسه ذا أفقٍ واسع، وذكاء وفهم سديد، وابتعاد عن التقليد، وهو في الحقيقة إنَّما يهضم النصوص بلا فهم صحيح، ويردِّ - بلا برهان- أقوال علماء السلف، ويتمسك بأقوال متعلمين يتفوقون معه في المنهج.

والفوضوية في التفكير: مظهر- أيضاً- من مظاهر الانحراف الفكري؛ إذ تغلب عليه المزاجية، فسرعة تغيير الأحكام والمواقف من إنسان، أو مجتمع، أو فكرة، بلا أسباب صحيحة، ولا أدوات سليمة، بل اتِّباعاً للهوى. يستحسن صاحبه اليوم فكرةً ويستमित في سبيل الدفاع عنها وترسيخها، ثمَّ يذمُّها ويطعن في عقل ودين من يعتنقها. يحبُّ شخصاً لعلمه أو ثقافته أو إخلاصه في العمل والالتزام الديني فلا يُثني إلاَّ عليه، ثمَّ تراه بعد مدَّة من اللدِّ خصومه ومحاربيه. يتحمَّس لأسلوب ومنهج فيتبنَّاه ويسعى لفرضه ثمَّ ينقلب عليه، ويكيل له الانتقادات اللاذعة، ويُخاصم من يتبنَّاه. تستمع إليه فتجده يتنقل بين الأفكار والمسائل

23 - للتفصيل حول الهزيمة النفسية انظر كتيب الهزيمة النفسية عند المسلمين د.عبد الله الخاطر، من منشورات المنتدى الإسلامي بالرياض، بدون ت

العويصة والقضايا المصيرية للمجتمع أو الأمة فلا يُوقَّها حقها من الفهم، والتمحيص والتدقيق، والبيان والإيضاح، بل يُقلِّبها رأساً على عقب⁽²⁴⁾.

3- سوء التعامل مع المعلومات غير الملائمة وإصدار الأحكام المُسبَّقة:

يظهر على المنحرف فكرياً سوء التعامل مع معلومات غير ملائمة؛ حيث يقبلها دون تدقيق وتمحيص وموازنة، ومن غير أن يستقصي الوسائل والأساليب، ومن غير أن يلجأ إلى قراءة صحيحة واعية للأسباب الحقيقية، أو للأدلة والنصوص. ثمَّ يبني على ذلك كله وعلى انطباعاته الأولى أحكاماً مسبقة سيئة وظالمة، يُصدرها على الأفراد، أو الشعوب، في دينهم أو أعراضهم أو شؤون حياتهم. فإذا ما اصطدمت معلوماته غير الملائمة بمعلومات أخرى صحيحة وسليمة تُناقض تلك التي بنى عليها وقَّع في حَيْصَ بَيْصَ، ورمى غيره بسوء الفهم، أو الحسد والحقد، أو التقليد الأعمى، أو موالاة السلطة أو غيرها بالباطل؛ فَيَسُدُّ على نفسه أبواب الحق بالعناد والإصرار، وباختلاق المخارج، وتفسير الظواهر تفسيراً خاطئاً، وتكفير الأفراد أو المجتمع، ثمَّ تسويغ الخروج و القيام بأعمال تُجافها الطباع النبيلة والعقول السليمة، وتردُّها النصوص الصحيحة⁽²⁵⁾.

والانحراف الفكري والضلال الذي يجتاح حياتنا الفكرية من وراء التفسيرات الخاطئة هو -في أكثر الأحيان- نتاج نقص في المعلومات، أو سوء تعاملٍ معها، أو قصورٍ في التركيب العقلي، واعتدادٍ بالرأي وتعصُّبٍ أعمى له، وإتباعٍ للهوى. فالمنحرف فكرياً يَعْتَقِدُ اعتقاداً جازماً أنه لا يُحِبُّ الحقَّ إلاَّ هو، ولا يتبنَّاه إلاَّ هو، ولا يَغَارُ عليه إلاَّ هو، ولا يُخْلِصُ له إلاَّ هو، ولا يُدَافِعُ عنه إلاَّ هو، وربَّما لا يعرف

²⁴ - انظر: الفوضوية في حياتنا، عادل محمد العبد العالي/8، 14 ط1 بدون تاريخ، مؤسسة الجريسي، الرياض.

²⁵ - انظر: عصرنا والعيش في زمانه الصعب، أ.د. عبد الكريم بكار/160-161، 162-163، ط3 عام 1428هـ 2007م دار القلم دمشق.

حقيقته وسبل الوصول إليه إلاَّ هو، كلُّ ذلك على مَنهج " لا أُرِيكُمْ إلاَّ ما أَرَى ولا أَهْدِيكُمْ إلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ".

إنَّ تفسير القضايا الكبرى والمصيرية أو تحليلها بعامل أو سبب واحد من أكثر الأخطاء الفكرية انتشاراً، وهو وراء عدد لا ينتهي من التفسيرات الخاطئة للحوادث التاريخية، والأحداث المعاصرة⁽²⁶⁾.

4- استشعار الكمال في التدبُّن والالتزام: من مظاهر الانحراف الفكري أن

صاحبه يَسْتَشْعِرُ -دائماً- كماله في التدبُّن والالتزام، وفي الاهتمام لأمر المسلمين أفراداً وشعوباً مع الاستخفاف والاستهجان للآخر فرداً أو مجتمعاً؛ فيُنزِلُ نفسه، أو أفكاره، وأساليبه ووسائله، وتحليلاته، منزلة المخلص الوحيد للشعب أو للأمة، ويرفض كلِّ الوسائل والأساليب والتحليلات الأخرى التي تُناقض أسلوبه ووسيلته، أو تُخالفهما في الأمور الثانوية.

5- المبالغة والتضخيم: تقوم المبالغة والتضخيم على بنية فكرية ونفسية

مردُّها قصور الإدراك، والهوى والغرور، والاستخفاف بعقلية الآخر، والانطباعات الخاصة الخاطئة، وضعف المحاكمات العقلية. وتعدُّ المبالغة في المدح أو القدر وجهين لعملة واحدة. يُضخِّمُ الأمور والأحداث السيئة بإعطائها أهمية أكثر ممَّا تستحقُّ، حيث تظهر وكأنَّها كوارث تَأْكُلُ الحرث والنسل، لا تُبقي ولا تذر، وفي الوقت نفسه يُقلِّلُ من قيمة الأمور الإيجابية، ومِن التفاضل بالخير؛ فيفقد الاتِّزان في فكره وقوله وعمله، وتجده ينتقل من النقيض إلى نقيضه بسرعة البرق⁽²⁷⁾.

والمبالغة والتضخيم مرضٌ واسع الانتشار في كلِّ زمان ومكان وبخاصَّة هذا العصر، حيث يقف وراءها هيئات ومؤسسات كبرى تحمل النَّاسَ على استهلاك ما

²⁶ - انظر: المرجع السابق/163

²⁷ - انظر: فصول في التفكير الموضوعي (مرجع سابق) /166-167

لا يحتاجون إليه، ويُشكّلون عقولهم ونفوسهم تشكيلا جديدا، وتستعمل صورا، ومجالات، وإحصاءات، وقنوات فضائية، وموادّ دعائية متنوّعة، فيكون أكبر مصطادها المنحرفون فكريًا⁽²⁸⁾.

6- مُجَرَّدُ الرغبة في التغيير: من سُنَنِ الله الثَّابِتةِ الابتلاءُ بالخير والشرِّ، والموافق والمخالف، وتغيُّر المعطيات، وتنوُّع الظروف، وتجذُّد الحاجات، والانتقال من طَوْرٍ إلى طورٍ ومن حالٍ إلى حال. وقد أنعم الله على المسلمين بثوابت عقديّة ومنهجية تُمكنهم من التعامل مع القديم، والواقع، واستشراف المستقبل، ومن إعداد العدة لكلِّ حال⁽²⁹⁾ بمنهجية مأخوذة من الكتاب والسنة، وحياة السلف العلميّة والعملية، وفقه الواقع والنوازل، ودقّة الموازنة بين المصالح والمفاسد، والمكاسب والخسائر...إلخ.

إنّ لدينا ثوابت عقديّة كالتوافق بين المبادئ والسلوك، والتعامل بآيَّان مع القائم والجديد وفق مقاصد الشريعة وتحقيق المصالح ودرء المفاسد أو تخفيفها، وغيرها. لكنّ المنحرفين فكريًا - وهم يرغبون في تغيير الواقع الحالي إلى أفضل وفي الإصلاح والتجديد- يخلطون بين الثوابت والمتغيّرات، ووسائل التعامل معهما وأساليبه، ويُسيئون في تقدير المكاسب والخسائر، وبخاصّة إذا ساءت الأحوال وكثرت، حيث يقطعونها عن مناسباتها وإطارها الخاصّ، وواقعها الاجتماعي أو الفكري الذي لا يسها، والخروج على السلطة بدعوى التجديد والإصلاح⁽³⁰⁾.

7- اللُّجوءُ إلى العنف قولاً وعملاً: يتَّسم المنحرف فكريًا بالميل إلى العنف الذي ينتهي به إلى التهديد والترويع، والتَّخريب، والتدمير، والقتل والاعتقالات،

وزعزعة الأمن والاستقرار الأسري، والاجتماعي، والنفسي، وإضعاف العلاقة بين الحكومة والشعب، أو بين أفراد المجتمع الواحد، بل أحيانا الجماعة الواحدة⁽³¹⁾.

"إنّ هدفَ الفكر المنحرف ليس الوصول إلى نتائج دقيقة وسليمة، أو براهين علمية، يُمكن الاستفادة منها في الحكم في المواضيع والقضايا، أو الظواهر الاجتماعية أو الفكرية، بقدر ما يهدف إلى زرع البلبلة والشك والتشكيك، وإسقاط ما هو قائم من فكر وأخلاق، ومعتقدات، ونسق اجتماعي وسياسي، واستبدالها بتوجّهات أخرى معروفة أو غير معروفة"⁽³²⁾.

8- التعصُّبُ الأعمى للرأي والموقف أو للجماعة أو لبلدٍ ما: إنّ هذا النوع من التعصُّب مظهرٌ من مظاهر الانحراف الفكري، وله خُطورةٌ واضحة على الأمن الفكري والثقافي، والاستقرار الاجتماعي والديني؛ إذ يجرُّ على الأمة الويلات، ويهدم عُرْفَ الوحدة، ويُشيتّ الشمل، ويُشعل نيران الفتنة بما يثيره من الفرقة والتشرذم⁽³³⁾، وبخاصّة إذا تغدّى بالجهل، أو قلّة العلم، والتناقض الفكري والسلوكي، والتذبذب.

9- القدرة على التغير والخداع: إنّ قادة الانحراف الفكري يمتلكون قدرةً عجيبة على التغير بالآخر وبخاصّة الشباب، والجهلة، وعامة الناس، وتابعو الأهواء، والمغتروّن بأنفسهم أو بالتزامهم الديني؛ باستعمال اللغة الانفعالية، واستغلال الحماسة الدينية أو الطائفية، وبالتعويد على عدم المناقشة أو التأكّد من صحة المعلومات، وبتسويق الوسائل بالغاية التي يتغيّونها، كتكفير المجتمع

³¹ - انظر: الانحراف الفكري: (faculty.ksu.edu.sa/27846/page)

³² - التدابير الواقية (مرجع سابق) //47-48. والأسلوب اللغوي الصحيح في آخر الفقرة هو: واستبدال توجّهات أخرى معروفة أو غير معرفة بها؛ فالباء يدخل على الأفضل.

³³ - انظر: الانحراف الفكري: (faculty.ksu.edu.sa/27846/page)

²⁸ - انظر: فصول في التفكير الموضوعي/221-222

²⁹ - انظر: تجديد الوعي، أ.د.عبد الكريم بكار/ 145، ط2 عام 1426هـ 2005م.

³⁰ - انظر: المرجع السابق/205-219

لاستحلال دمائه، والرغبة في تطبيق الشريعة الإسلامية للقيام بأعمال إرهابية مختلفة، تُزهق فيها النفوس البريئة، وتُدمر الممتلكات الخاصة والعامة...إلخ.

المطلب الثاني: أسباب الانحراف الفكري

تُوجد عوامل وأسباب كثيرة تراكمت في حياة المسلمين ومجتمعاتهم؛ فقادت إلى الوقوع في الانحراف الفكري، من أهم أنواعها: أسباب داخلية أي داخل مجتمعاتنا، وخارجية.

فأما الداخلية فمنها:

1- أسباب علمية:

أ. تقديم الهوى والظن والعقل على النقل؛ وذلك بردّ النصوص الشرعية الثابتة؛ فالمنحرف فكرياً لا يقتنع بهذه النصوص ولا يرجع عمّا هو عليه من أفكار خاطئة مبناها الهوى والظن.

ب. أخذ العلم الشرعي من غير أهله ولا من مناهله الصافية، وعندئذ يقع في الخطأ في مصادر تلقّيه للعلم، وبنائه الفكري والنفسي، وتحديدده للمنهج السليم في معالجة القضايا أو النهضة في مختلف جوانب الحياة؛ إذ يبني ذلك كلّ على التلقين، والاستظهار، والتقليد الأعمى، والقراءة غير الواعية. ولا يأخذ عن العلماء المشهود لهم بسعة العلم ورسوخه، و القدرة على الموازنة بين المصالح والمفاسد، وبصحة العقيدة، وسلامة المنهج، والتقوى والثبات في مواطن الشُّبه حين تزيع الأفهام. هؤلاء العلماء الذين لهم ولكتبهم العلمية منزلة عالية، ومكانة مرموقة في الإسلام؛ ولذلك أوجب الله الرجوع إليهم في المسائل والقضايا عامة، والمصيرية خاصة {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [الأنبياء 7]. {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر 9]⁽³⁴⁾. لكنّ المنحرفين فكرياً لا يَأْهُون

³⁴ - انظر: العلماء وتحصين الشباب من الفكر المنحرف (الأسس والمحيدات)، د.عبد الرحمن بن معلأ اللويح/11-14، 32-33، بحث مقدّم للمشاركة في مؤتمر دور العلماء في الوقاية من الإرهاب والتطرف، تنظيم

بهؤلاء العلماء بل يبذلون قصارى جهدهم في الطعن فيهم وفي علمهم وإخلاصهم، وفي تشويه سمعتهم، ولا تفتأ تسمع منهم "هم رجالٌ ونحن رجالٌ".

ج. **مُخالفة منهج السلف في التلقّي والاستدلال:** إنَّ لمنهج التلقّي والاستدلال عند أهل السنّة أساليبه وخصائصه، وضوابطه. وقد اعتمد منهجهم في التعامل مع نصوص القرآن والسنّة والإجماع وأقوال العلماء على أصول ثابتة، كتعظيمها، وصحة فهمها، وعدم ضرب بعضها ببعض، والأخذ بالسنّة الصحيحة...إلخ؛ فبالترام القارئ أو الباحث بهذه الأصول ونحوها في التلقّي والاستدلال يسلم له فكره، ويُحسن الاستفادة من المصادر، والتعامل مع النصوص وفق مقاصد الشريعة؛ فالشريعة الإسلامية "مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، بحسب الإمكان، ومعرفة خير الخيرين وشرّ الشرّين حتى يُقدّم- عند التزاحم- خير الخيرين، ويدفع شرّ الشرّين" (35).

أمّا مَنْ خالف منهج أهل السنّة وأصوله في التلقّي والاستدلال فإنّه لا يستقيم منهجه فيهما، ولا في التعامل مع النصوص؛ فينحرف به فكره، ويقع في أخطاء جسيمة، وتجد عنده:

- ردّ النصوص الثابتة لمخالفتها لهواه، مع جرأة الاعتراض عليها وعدم العناية بتنقيح ما يعده من السنّة.

- كتمّ النصوص وتحريفها لفظاً أو معنى أو استدلالاً. أو الاستدلال بها للاعتضاد لا للاعتماد.

مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، نشره شبكة الألوكة
www.alukah.net

35- منهاج السنّة النبويّة في نقض كلام الشيعة القدريّة، ابن تيمية 118/6، تحقيق د.محمد رشاد سالم، ط2 عام 1411هـ 1991م، طبع على نفقة صاحب السموّ الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز بمناسبة افتتاح المدينة الجامعيّة (جامعة الإمام محمد).

- القدح في الصحابة رضوان الله عليهم؛ توطئة وتمهيدا لتسهيل ردّ النصوص التي رووها.

- العبث في الأصول الشرعيّة للاستدلال وتشويهها مع ابتداع أصول جديدة للتلقّي والاستدلال، كتقليد الشيوخ والأئمة عند الرافضة، والصوفيّة، والباطنيّة، وعند جهلة مقلّدة الأئمة الأربعة، والغلوّ في العقل (36).

د. **من الأسباب العلميّة للانحراف الفكري:** قلّة البضاعة في فقه الأولويّات، وهي تُؤدّي إلى أن لا يمتلك الإنسان المنحرف فكرياً مبادئ جيّدة في فقه الأولويّات وبخاصّة إذا تزاومت المشكلات، وكثرت المصايب والإحباطات النفسيّة، أو المصالح والأهداف حتى تبدو صعوبة التحقيق؛ فيكون في حيرة من أمره، يتخبّط، يُصاب بالضبابيّة في الرؤية والفهم، يُقدّم المهمّ على الأهمّ، والمندوب على الواجب، والتكميلي على الضروري، والقابل للتأخير على الواجب تقديمه، ويضيق نظره إلى واقع الحياة الذي لا يكاد يفقه شيئاً منه؛ فيحاولُ حصره في واقع معيّن، ثمّ يسعى إلى إلزام غيره أو المجتمع أو الأمة بموقفه وفهمه، فإذا فشل زرع الكراهيّة للمجتمع والبلد أو الحكومة، أو الأشخاص...إلخ.

هـ. **الغلوّ:** يُعدّ الغلوّ من أهمّ الأسباب التي تتعلّق بالجانب العلمي للانحراف الفكري (37)، "الغين واللام والحرف المعتلّ أصلٌ صحيح يدلّ على ارتفاعٍ ومجاوزةٍ قدر" (38)؛ فالغلوّ مجاوزة حدّ الشيء وتعدّي نهايته. ومن تعريفات العلماء له هو:

36- انظر: منهج التلقّي والاستدلال (مرجع سابق)/62-113

37- جعله الباحث تميم السليمان من مظاهر الانحراف الفكري. وعقد له مطلباً في المبحث الثالث من كتابه، وتناول مظاهره، انظر: التدابير الوقائية/85-89، لكن بدالي جعله من الأسباب، ولا مشاخة في الاصطلاح.

38- معجم المقاييس في اللغة (مرجع سابق)

"مُجاوِزَةُ الحَدِّ بِأَن يُزَادَ فِي الشَّيْءِ، فِي حَمْدِهِ أَوْ ذَمِّهِ عَلَى مَا يَسْتَحَقُّ، وَنَحْوَ ذَلِكَ" (39). وهو: "المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد" (40)؛ إفراطاً أو تفريطاً. وقد درس د.عبد الرحمن بن معلأ اللويح الغلو دراسة مفصلة في كتابين (41).

للغلو نوعان: أحدهما: كلي أو اعتقادي، والآخر: جزئي أو عملي. فالكلي: ما تعلق بكليات الشريعة الإسلامية وأمات مسائلها. والاعتقادي الذي يترتب عليه عمل الجوارح. ومنه: الغلو في البراءة من المجتمع العاصي أي الذي تنتشر فيه معاصي، وتكفير أفرادها، واعتزالهم.

"والغلو الكلي الاعتقادي أشدُّ خطراً، وأعظم ضرراً من الغلو العملي؛ إذ الغلو الكلي الاعتقادي هو المؤدي إلى الانشقاقات، وهو المظهر للفِرَق والجماعات الخارجة عن الصراط المستقيم" (42). فالفرق المخالفة للفرقة الناجية إنما خالفتها في معنى كلي في الدين، وقاعدة من قواعد الشريعة. وضرر الغلو الكلي الاعتقادي عام على الأمة، ومطرّد. أمّا الجزئي فخاص بصاحبه، وضرره نسبي. " وقد قرّر العلماء أنّ الحقّ واسطة بين التفريط والإفراط (...) و به تَعلّم أنّ مَنْ جَانَبَ التفريط والإفراط فقد اهتدى" (43)، ومَن وقع فيهما قاده ذلك -بسبب الخلل في

39 - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، ابن تيمية 293/1، تحقيق وتعليق د.ناصر عبد الكريم العقل، ط5 عام 1415 هـ 1994م، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض.

40 - فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني 278/13، قرأه تصحيحاً وتحقيقاً الشيخ عبد العزيز باز، دار الفكر، بدون ت

41 - أحدهما: مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر، الأسباب، الآثار، العلاج (3 أجزاء) ط1 عام 1419 هـ 1998م بدون مطبوعة. والآخر: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، دراسة علمية حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف والأصولية، ط5 عام 1423 هـ 2002م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

42 - الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة/70

43 - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي 432/1، دار عالم الكتب، بيروت، بدون ت.

البنية الفكرية- إلى الانحراف في القول والعمل. وقد يقع في أشدّ مظاهر الغلو وهو الخروج المُسلَّح على الحُكَّام، واستعمالُ العنف، والاعتیال، والتدمير والتفجير، والقتل، وتحريم تعليم العلوم البشرية التي يحتاج إليها النَّاس في تحقيق مصالح الحياة أو درء مفسادها. إضافة إلى تحريم العمل في الوظائف الحكومية، ومطالبة المجتمع بالمثالية أي الخلو المطلق من المعاصي، والتشديد على النفس في تجنّب أمور الحياة المباحة، وإلزام جمهور النَّاس بما لم يلزمهم الله به، ورفض التيسير بضوابطه في وقت الحرج، والرخص التي رخصها الله رحمةً بعباده (44)، ويضرب بعرض الحائط قوله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة 185]. وحديث عائشة رضي الله عنها: "ما خيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً" رواه مسلم. ونحوهما من الكتاب والسنة. ومِن الغلو التشدّد في غير موضعه. إنّما قيّدنا التشدّد هنا بـ"في غير موضعه"؛ لأنّ من التشدّد نوعاً لا يدلُّ على الغلو المنهني عنه، كالأخذ بالرأي الأشدّ من الآراء؛ لأنّ الصواب قد يكون الرأي الأشدّ، ولأنّ مراعاة الأحوال ودقّة الموازنة بين الملابس العامة والخاصة، قد تُرَجِّح كفته. وإنّما يكون التشدّد في الغلو في غير موضعه من جهة أخرى؛ وذلك حين يصف الشخص مَنْ يُخالفه في هذا الرأي بالمروق من الدين، أو بالإعراض عن كتاب الله، أو أن يجعل رأي مقلّده بمنزلة رأي المعصوم، وينتصر له بغير هُدى من الله (45).

وعند الحديث عن الغلو يجب التنبيه لأمرين، أحدهما: أنّ الغلو أو التطرف يكون تارة في الدين، وهو منهي عنه. ويكون -تارة- في محاربة الدين ومظاهره،

44 - انظر: التدابير الواقية (مرجع سابق) 85-88، والانحرافات الفكرية لدى الشباب وأثرها على الأمن الاجتماعي، د.عبد الحّي القاس عبد المؤمن عمر/17-18، 19، جامعة الإمام المهدي، كلية الشريعة والقانون، السودان، منشور على الشبكة العنكبوتية.

45 - انظر: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة (مرجع سابق) 86، بتصرّف.

والعلاقة بينهما أن كل واحد منهما يغدي صاحبه؛ فالغلُو في محاربة الدين ينتج غلُوًا في الدين وتنطُعًا فيه، وكذلك العكس⁽⁴⁶⁾. والأمر الآخر: أن الغلُو في الأديان الأخرى أشدُّ. فمن الضروري التنبُّه لهذين الأمرين حتى لا نقع في شرك الذين يكادون - في بحوثهم وخطاباتهم ووسائل إعلامهم- يحصرونه على الإسلام؛ إذ من العدل "والتوازن أن يوضع الأمر في نصابه؛ فقد أثبتت الدراسات الإحصائية أن الغلُو عند المسلمين أقلُّ منه عند غير المسلمين، بل غلُو غير المسلمين يصدر عن دول وجمعيَّات، وغلُو المسلمين صادرٌ عن أفراد"⁽⁴⁷⁾، أو جمعيَّات، أو عن مندسِّين في أوساطهم على حين غفلة منهم.

2- أسباب نفسية:

للانحراف الفكري أسباب نفسية، منها:

أ. **عدم تكيف صاحبه مع المجتمع:** من الضروري تكيف الفرد مع أسرته ومجتمعه، والابتعاد عن كل ما من شأنه إحداث مقاطعة بينها وتنافر، كالحسد، والتباغض، وسوء الظن، والفجور في الخصومة. ومن فقد التكيف بهما وقع في الانحراف الفكري. إن كثيرا من المنحرفين فكريًا "يفتقدون هذا التكيف أو التوافق الفكري مع المجتمع الذي يعيشون فيه، وتبقى مشكلتهم في أنهم عند ما افتقدوا هذا التكيف أو التوافق لم يلجأوا إلى الأساليب الشرعية في التغيير أو في التعبير عن رفضهم للناس بل لجأوا إلى العنف [والتكفير] وضرورة هجر مجتمع الكفر"⁽⁴⁸⁾.

⁴⁶ - انظر: الإرهاب أسبابه ووسائل العلاج، عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، المفتي العام للمملكة العربية السعودية/16، بحث مقدّم للدورة 17 للمجمع الفقهي الإسلامي، التابع لرابطة العالم الإسلامي، المنعقدة في مكة المكرمة في: 19- 24/10/1424هـ الذي يوافق 13- 18/12/2003م

⁴⁷ - مشكلة الغلُو في الدين في العصر الحاضر، الأسباب، الآثار، العلاج، عبد الرحمن اللويحي 3/791.

⁴⁸ - المرجع نفسه

ب. **الشعور بالتميش والدونية:** هذا -أيضا- من الأسباب النفسية للانحراف الفكري، إضافة إلى ما قد يستشعره صاحبه من الذنب، أو الظلم، وإهدار الحقوق، وتقييد الحريات، وانغلاق أبواب الحوار والمناقشة في وجهه، وفتح أبوابهما -حسب زعمه- لغيره من غير تثبُّت، ولا بحثٍ عن الحقيقة والدوافع والأهداف؛ فيصاب بالاكْتئاب، والقلق، والحيرة. كل ذلك ممَّا يؤدِّد في نفسه الحقد، والكراهية، للمجتمع أو الدولة؛ فينحرف فكره، ولا يجد أمامه وسيلةً لتحقيق ذاته، وإثبات أهميته، ووجاهة موقفه، إلا اللجوء إلى العنف⁽⁴⁹⁾.

ج. **اليأس والإحباط:** من الأسباب النفسية للانحراف الفكري غلبة اليأس والإحباط على صاحبه؛ وذلك حين تتكاثر عليه أو أمامه البلباء والمصائب مع غياب الحلول السريعة أو الحلول الحقيقية التي يرجوها؛ فتسوِّد في عينيه الدنيا، ويفقد الأمل في مستقبل مُضيء وبخاصة إذا لم يستند في فهمها والبحث عن حلول لها على إيمان راسخ بالقضاء والقدر، وعلم وبصيرة، ولا على أقوال الراسخين من العلماء⁽⁵⁰⁾.

3- أسباب تربوية:

للانحراف الفكري أسباب أخرى تربوية، تتمثل: في تغريب التربية والتعليم، ومن صورته: تغريب العلوم الشرعية والتربية الدينية أو تمهيشهما، أو عدم إبراز أهميتهما بين المناهج والمواد الدراسية في كثير من المجتمعات الإسلامية، أو إظهارها في صورة مواد لا تُقدِّم ولا تؤخَّر حتى في درجات الاختبار، واستنساخ النهج العلماني الغربي.

⁴⁹ - انظر: التداوير الواقية (مرجع سابق) 62/

⁵⁰ - انظر: موقع السكينة: www.assakina.com/studies/5304.html

يَتَوَلَّد من ذلك كَلِّه إبعادُ الشباب عن تحصينه بالعلوم الشرعية فكريًا، وعلميًا، " إنَّ فكرة التغريب المقصود منها أن تحلَّ القِيمُ الخاصَّة بالثقافة الغربية محلَّ قيمنا الإسلاميَّة في التعليم والثقافة، والتربية، [والعلاقات الاجتماعيَّة] وحتى على مستوى السلوك" (51) في فصلٍ تامٍّ بين التربية ومناهجها وبين السلوك. إنَّ هذا لَمَّا يُضعِف الوازع والنازع الدينيَّين لدى الفرد والمجتمع، وسببٌ يقود إلى الانحراف الفكري، إضافة إلى الانحراف الديني أو السلوكي.

4- أسباب اجتماعيَّة:

تتعلَّق الأسباب الاجتماعيَّة للانحراف الفكري بأمرين: الأسرة، والبيئة الخارجيَّة (المجتمع)، وكلتا البيئتين على صلة وثيقة بحياة الفرد، وتؤثِّر في شخصيَّته وتكوينها فكريًا، ونفسيًا، ودينيًا، وفي علاقته بغيره، وفي نظرته إلى الأمور... إلخ.

من المسلم به أنَّ الأسرة تمثِّل الوحدة الاجتماعيَّة والتوافق، والتضامن؛ لذا فإنَّ أيَّ خللٍ فيها يكون له تأثيره على أفرادها، وبخاصَّة غيابُ العواطف النبيلة، والمشاعر الطيِّبة، والحنان، وكثرة النزاع والخصومات فيها، وانفصال الأبوين، أو سوء معاملتهما للأولاد أو إهمالهما لتربيتهم، والانحلال الخلقي في الأسرة، وسوء استغلال أوقات الفراغ.

إنَّ نقص التربية الإيجابيَّة وسيادة الأساليب السلبيَّة التي تربَّى عليها الشاب في أسرته كالرفض المطلق، والقسوة، والتدليل الزائد، والنقد غير البناء لتصرُّفاته وأقواله، والتسيُّب الديني في الأسرة، كلُّ هذه من أكبر الأمور التي تؤدِّي به إلى الاضطراب النفسي، والانحراف الفكري والسلوكي.

أمَّا ما يتعلَّق بالبيئة الخارجيَّة (المجتمع) فَمِنْها: سوء التنشئة الاجتماعيَّة، والفقر، والفساد الخلقي، ووسائل الإعلام ومُخرجاتها، والفساد العقدي... إلخ (52). ومنها: غيابُ الوعي الاجتماعي بعواقب الانحراف الفكري: إنَّ من أهمِّ الأسباب الاجتماعيَّة للانحراف الفكري غيابُ وعي اجتماعي حقيقي بعواقب الانحراف الفكري السيِّئة على الفرد، والأسرة، والمجتمع، والدولة. وهذا ممَّا يساعد على انتشاره واستفحال أمره. فيقدر الوعي بعواقبه وخطورته يُمكن محاصرته، والقضاء عليه، أو التقليل من أضراره على الدين، والفرد، والمجتمع، والدول.

ومنها: التعاملُ غير المنضبط بالشرع في معالجة المنحرف فكريًا؛ وذلك بتعميم الانحراف الفكري على كلِّ مُلتزم ولو كان معتدلاً مستقيماً، وأخذ الناس بالظنون والشبهات والوشايات؛ إذ يتسبَّب عن هذا ازديادُ الانحراف وانتشاره، وجرُّ أشخاص إليه وقد كانوا براء منه (53).

5- أسباب دينيَّة:

يتمثِّل أبرزها في ضعف الوازع والنازع الدينيَّين، والجهل بالعقيدة الصحيحة، وبالتشريع الإسلامي ومقاصده، والأخذ عن غير أهل العلم أو من مصادر ومناهل غير صافية، والجرأة على النصوص، والتعالُّم، والاعتزاز بالالتزام... إلخ.

6- أسباب سياسيَّة:

سوء السياسة والإدارة من الأمور التي تُغذي الانحراف الفكري لا سيَّما إذا استيأس صاحبه من التغيير، أو لا يرى في السياسيَّين والإداريَّين إلَّا الجوانب المظلمة، وكذلك فتح الأبواب على مصارعها للعلمانيَّين والليبراليَّين كي يطعنوا -

52 - انظر: التدابير الواقية (مرجع سابق) /74-69

53 - انظر: الانحراف الفكري مفهومه، أسبابه، علاجه في ضوء الكتاب والسنة. د.طه عابدين طه/34-37، بدون. (على الشبكة العنكبوتية)

جهازاً نهاريًا- في ثوابت الإسلام العقديّة والتشريعيّة، ويُحاربوا قيمه والعادات السليمة وغيرها. وانتشارُ الظلم الاجتماعي والفساد الإداري والمحسوبيّة في توتّي المناصب وفي التوظيف بكلّ أجهزة الدولة. والدفاعُ عن الانحلال الخلقي وعن الفاسدين والمفسدين مع التضييق على الملتزمين. والحرمانُ من أدنى الحقوق الماديّة والمعنويّة أو السياسيّة. والتحاكُمُ إلى القوانين الوضعيّة مع الاستهزاء بالدين الإسلامي وبصلاحيّته لكلّ زمان ومكان.

الأسباب الخارجيّة:

توجد عوامل خارجيّة أي خارج مجتمعاتنا الإسلاميّة تدخل ضمن أسباب الانحراف الفكري، منها:

أ. الغزو الفكري: وهو: "هجماتُ فكريّة متلاحقة ذات صلة بتاريخ المسلمين وحاضرهم، تطرح شبهات وأفكاراً مزيفةً مُستوعبةً تراث الإسلام وأحوال المسلمين"⁽⁵⁴⁾. ومن تعريفاته: "إغارةُ الأعداء على أمّةٍ من الأمم بأسلحةٍ معيّنة، وأساليب مختلفة؛ لتدمير قواها الداخليّة، وعزائمها ومقوماتها، وانتهاب كلّ ما تملك"⁽⁵⁵⁾. ولتعدّد أشكال الهجوم ووسائله وأساليبه وأهدافه فإنّ الغزو الفكري أشدُّ وأقسى من العسكري، وبخاصّة إذا وجد فراغاً واضطراباً فكريّين؛ لأنّك تجد في أجهزة الغزو الفكري جيشاً من الخبراء والعلماء في مختلف العلوم: النفسيّة، والاجتماعيّة، والدينيّة، والسياسيّة، والاستراتيجيّة، واللغات، والتاريخ؛ ولأنّ الأمّة المهزومة فكرياً تسيّر سيرة غازيها؛ إذ من أهداف الغزو الفكري تصفيّة العقول والأفهام لتكون تابعة للغازي.

وقد كان من أهمّ أسباب الغزو الفكري: العداءُ الصليبي للإسلام والمسلمين. الاستعمارُ الغربي للمجتمعات الإسلاميّة. التقدمُ العلمي للغرب وتخلّفُ الشعوب الإسلاميّة عن ركب الحضارة الغربيّة. الضعفُ الفكري والفراغ العقدي. التفكُّكُ الاجتماعي. تشويهُ صورة الإسلام والمسلمين والتشكيك في تاريخ الأمّة وحاضرها وفي مستقبلها زاهر لها ما لم تنحُ نحو الغرب.

أمّا مظاهرُ الغزو الفكري فمنها: حملات التشويه، وإحياء النزعة الجاهليّة الطائفية والقبليّة والقوميّة، والدعوة إلى التحلُّ والإباحة، وإبعاد العلماء المخلصين لدينهم ولوطنهم عن مراكز التوجيه والسلطة مع تمجيد قيادات مُصطنعة، ومحاولة تشويه قيادات دينيّة واجتماعيّة مخلصّة وغيرها، وتمهيد الطريق للسيطرة على أجهزة التشريع واتّخاذ القرار، والإعلام ووسائله، والتعليم والثقافة، واستغلال الخدمات الاجتماعيّة في غير أهدافها الحقيقيّة كالتنصير، والاستشراق، والعلمانيّة، ونشر الرذائل، وإضعاف الانتماء الدينيّ أو الاجتماعيّ⁽⁵⁶⁾.

تبرز علاقةُ الغزو الفكري بالانحراف الفكري: في تشويه الثوابت الإسلاميّة والتشكيك فيها وفي تاريخ المسلمين، وكذلك في الوسائل كالتعليم، والإعلام، والتأليف والترجمة، وتقديم خدمات اجتماعيّة وصحيّة ومساعداتٍ ماليّة وراءها أهدافٌ خبيثة غير المعلنة... إلخ. وفي ظهور جيل خضع واستسلم له، وحدث لهم ردُّ فعل يفتقد إلى التسلُّح بقوة الإيمان وحسن التفكُّه للواقع وللنوازل وإلى التحليل الموضوعيّ والبناء.

⁵⁶ - انظر: وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي، د.حسّان محمد حسّان/10 سلسلة رابطة العالم الإسلامي، مكّة، سنة 1 العدد 5 عام 1401 هـ شعبان. ووسائل مقاومة الغزو الفكري/68-75، ومواجهة الغزو الفكري/18-38.

⁵⁴ - في الغزو الفكري: المفهوم، الوسائل، المحاولات، نذير حمدان/6، مكتبة الصديق، الطائف، بدون ت.
⁵⁵ - مواجهة الغزو الفكري، ضرورة إسلاميّة، د.أحمد عبد الرحيم السايح/9 (نقلا عن الحضارة الإسلاميّة مقارنة بالحضارة الغربيّة، د.توفيق يوسف الواعي، ولم أقف عليه)

ب. ومن الأسباب الخارجية للانحراف الفكري الانفتاح الإعلامي غير المنضبط:

يُعدُّ هذا العصر عصر الإعلام وتعدُّ وسائله وتطوُّرها، وتدقُّ المعلومات. ينشر هذا الإعلام في المواقع المنحرفة والمعادية للإسلام كلَّ ما هبَّ ودبَّ بلا رقابة دينية أو فكر سليم، بل بتحريف وتزييف للقضايا التي تمسُّ المسلمين من قريب أو بعيد، مع تركيز شديد على إشاعة المعارف المتعلِّقة بالعنف والتدريب إلى إمكان صنع أدواته أو تركيبها، والتفوق اللغوي والحضاري، والانحلال الفكري والسلوكي، واكتشاف المجهول مع إهمال مقصود أو غير مقصود للطروحات الفكرية المرتبطة بالفضيلة، والهداية، وحفظ الضرورات الخمس⁽⁵⁷⁾.

المطلب الثالث: آثار الانحراف الفكري وسبل معالجته:

إذا انحرف الفكر بمخالفة عقيدة المجتمع، ومناقضة ثوابت الأمة، ظهر الفساد. وإذا تمكَّن من تحقيق أهدافه كان له تأثيرٌ مُدْمِرٌ، وأحداثٌ وأثارٌ خطيرة لا تقتصر أضرارها على الفرد المنحرف، ولا على الجماعة المنحرفة فكرياً - فحسب - بل تنتشر نيرانه فتحترق الأسرة، والمجتمع، والدولة، والأمة؛ لأنَّ الفكر المنحرف يستهدف كلَّ أولئك في صميم روحه، وأخلاقه، وفكره، وثوابته العقديَّة والاجتماعيَّة⁽⁵⁸⁾.

أولاً: الآثار: من أهم آثار الانحراف الفكري:

1- آثار عقديَّة ودينيَّة:

- زعزعة الوسطية والاعتدال في الدين؛ باستهداف الثوابت العقديَّة، والقيم والأخلاق الحميدة، وإثارة الشبهات.
- تشويه صورة الإسلام الناصعة وقيمه النبيلة، والتنفير منه، والتشكيك فيه.
- إخراج النصوص الشرعيَّة عن سياقاتها، وإتباع المُشْتَبِهات والإعراض عن المُحْكَمَات.
- تحريف المفاهيم والمعتقدات الإسلاميَّة، أو سوء إدراك بعضها، كمفهوم العبادة -مثلاً- هو: اسم جامع لكلِّ ما يُحِبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. إنَّما يكاد يحصره المنحرف فكرياً في العبادات الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم وغيرها. ومن سوء إدراك المفاهيم: الخلط بين الإرادة الشرعيَّة والإرادة الكونيَّة، ووعدُ الله بالتمكين للمؤمنين، حيث يعتقد المنحرف فكرياً حصوله بمجرد التصديق والإقرار لا بالالتزام بمقتضيات الإيمان. ومفهوم الدنيا

57 - انظر: تجديد الوعي (مرجع سابق) /28/

58 - انظر: الانحراف الفكري (faculty.ksu.edu.sa/27846/Pages)

والآخرة بالترغيب عن الدنيا ومتاعها مطلقا، والصحيح في الباب ما في قوله تعالى: {وَابْتِغِ فِيهَا مَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [القصص 77]، وفي قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [البقرة 201]. وكذلك مفهوم الجهاد وشروطه وضوابطه، وتصنيفُ الناس إسلامياً إلى مسلم وكافر، رافضين المسلم أو المؤمن الفاسق. وهو القسم الثالث على مذهب أهل السنة والجماعة وفق نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة، وأقوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين وغيرهم.

2- آثار اجتماعية:

- القيامُ بنشاطاتٍ تُؤدِّي إلى تعطيل مصالح العباد والبلاد، والإضرار بالضرورات الخمس التي أمر الله بالمحافظة عليها؛ وذلك بتشويه الدين وتكفير المجتمع، وشحن العقول بالأفكار والمعتقدات الفاسدة، وسفك الدماء، وانتهاك الأعراض، وتضييع الأموال.

- إثارة الفتن والتضليل، والتغريض بالشباب، وانتهاك حقوق الآخرين بالاعتداء على ممتلكاتهم، أو ذواتهم، أو على مقتدراتهم⁽⁵⁹⁾.

- اللَّعِبُ على أوتار النعرات القبلية والعرقية، أو الجهوية.

ثانياً: سُبُلُ معالجة الانحراف الفكري:

بعد معرفة أهم مظاهر الانحراف الفكري، وأسبابه، وآثاره، ينبغي الوقوف للبحث عن سبل الوقاية منه ومعالجته. ولكي تؤتي المعالجة أكلها يجب الانطلاق

فيها من الكتاب والسنة والإجماع، وأقوال العلماء الراسخين الأتقياء من السلف والخلف، وسدِّ الذرائع، وتحقيق المصالح ودرء المفساد، وما يؤتده العقل السليم الواعي للأحوال المعاصرة وملابساتها. ويَجِبُ الإعدادُ الجيدُ علمياً، وثقافياً، ونفسياً، لمن يتصدى لمعالجة الانحراف الفكري؛ لأنه إنَّما يتصدى لمشكلات متعدِّدة الجوانب؛ ولأنَّ عليه أن يُقدِّرَ الانحرافَ الفكري بقدره بلا إفراط ولا تفريط، وبلا تهوين ولا تهويل. وأن يتحلَّى بقدر كبير من الإخلاص في القول والعمل، وسعة العلم والثقافة، والوسطية والعدل، وفهم المقاصد الشرعية، وفقه الواقع الداخلي والخارجي، والقدرة على فهم الانحرافات وأسبابها، ومظاهرها، وعلى ردِّ الشبهات؛ فكثيرٌ ممَّن يُواجههم ذوو قدرة على المجادلة... إلخ⁽⁶⁰⁾.

أمَّا سُبُلُ معالجة الانحراف الفكري فمتعدِّدة، لكن يجب أن تسير جنباً إلى

جنب، من أهمها: المعالجة الأسرية، والفكرية، والعملية، والسياسية.

أ. المعالجة الأسرية للانحراف الفكري: يجب أن يكون للأسرة-ابتداءً- أثرٌ كبير في تربية الأولاد على الفكر السليم، وإبعادهم عن الفكر المنحرف وأسبابه المختلفة؛ وذلك بأن تكون الأسرة هي القدوة الحسنة لهم، والثروة الخصبة للفكر السليم وللتحصين من الانحراف الفكري، عن طريق التعليم، والتربية، والتدريب على تكوين شخصية سوية، قوية، واعية، مُتَّزنة في تفكيره، وفي أقواله، وفي تصرُّفاته، وفي تعامله مع الآخر سواء كان فرداً، أم مجتمعا، أم دولة، أم أمة... إلخ، موافقا أم مخالفا. "فالوسط الأسري غيرُ اللائق يكون -بطريقة أو بأخرى- مرجعا للطفل في مجال تعلُّم الفكر المنحرف، أو ترسيخه أو ترسُّبه. وكذلك تعلُّم السلوك الانحرافي أو الإجرامي، أو تعلُّم بعض الأنماط السلوكية غير السوية، أو تعلُّم

⁶⁰ - انظر: الأسس والمحددات المختلفة لمواجهة الانحراف الفكري، د.عبد الرحمن معلا اللويحق/11، بحث مقدَّم للدورة التدريبية: دور الإعلام في مجابهة الانحراف الفكري، القاهرة 1-5/2/1431هـ، 16-20/1/2010م (شبكة الألوكة).

⁵⁹ - انظر: التدابير الواقية (مرجع سابق) /103، والانحراف الفكري (faculty.ksu.edu.sa/27846/page)

التصرفات غير المقبولة أخلاقيا واجتماعياً. ولا شكَّ أنَّ الصراعات الداخلية، والخلافات بين الأبوين تنعكس -بالضرورة- على الأطفال" (61).

لا بُدَّ من الاهتمام بالتربية الإسلامية في الأسرة، والمجتمع، والدولة، وبضرورة الالتزام بها في المؤسسات المختلفة؛ فبذلك تتكاتف هذه الجهات الثلاث في ضرب عصفورين بحجر: تحقيق السلامة الفكرية فيها، وسدِّ مداخل الفكر المنحرف و القضاء عليه أو التقليل من خطره.

ب. **المعالجة الفكرية للانحراف الفكري:** تأخذ هذه المعالجة عدَّة جوانب، منها:

1- بيان منهج أهل السنة في التلقِّي والاستدلال في ضوء الكتاب والسنة والإجماع وأقوال العلماء الراسخين قديما وحديثا.

2- بيان الضوابط والقواعد الشرعية في التعامل مع الفتن والبلاءات. والمقصود بالضابط "ما به نعرف ما تُحكّم به مسائلُ الباب الواحد، وتُرجعُ إليه مسائلُ الباب الواحد. وأمّا القاعدة فهي أمرٌ كُلِّي ترجعُ إليه المسائلُ في أبواب مختلفة". ومن أبرز تلك الضوابط:

أولاً: "الرفق والتأني والحلم"، ثلاث خصال محمودة ومُرغَّب فيها في كلِّ وقت لكنَّ الحاجة إليها زمن الفتن أقوى وأشدَّ. أمّا الرفق فكما جاء في الحديث النبوي "ما كان في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه". وأمّا التأني والحلم فهما خصلتان مدحهما الرسول صلى الله عليه وسلم ووصفهما بأنهما من الخصال التي يحمها الله؛ فقد قال لأشجَّ عبد القيس: "إنَّ فيك لخصلتين يحمهما الله ورسوله: الحلم والأناة". ثانياً: "الحكم على الشيء فرغ عن تصوُّره". في الفتن يختلط الحابل بالنابل؛ فتتغيَّر الأحوال، وتتقلَّب الأمور، وتحارُّ العقول، وتدعُر النفوس، فلا بدَّ من تصوُّر

القضايا ومحاولة الإحاطة بجوانبها المتعدِّدة قبل الحكم عليها برفض أو قبول، باستحسان أو استهجان، بتحليل أو تحريم؛ لأنَّ التصوُّر الجزئي لها أو لبعض جوانبها ينتهي بصاحبه إلى الوقوع في الخطأ الشنيع.

ثالثاً: "الإنصاف والعدل" في الأحكام، والأقوال، والأعمال، والتعامل.

رابعاً: "ملازمة جماعة المسلمين والابتعاد عن الفرقة في المواقف، والأقوال، والأعمال"، قال تعالى: **﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾** {آل عمران 103}.

خامساً: "تقويم الرايات التي تُرَفَّع بميزان الإسلام والاستقامة عليه وفق مذهب أهل السنة والجماعة". في الفتن تكثر الرايات، والهيئات، والجمعيات، والاتجاهات، والدعاة، والأصحاب، والمُحلِّلون، والمُفكِّرون، ومن ثمَّ يكون من الضرورة بمكان إحسان التقويم، منطلقاً، ومنهجاً، ووسائل، وأساليب، ورجالا، وسعة ثقافة...إلخ.

سادساً: "لكلِّ مقامٍ مقال".

سابعاً: "التفريق بين تولى الكفَّار وموالاتهم والاستعانة بهم واستئجارهم؛ فالتوليُّ مُكفِّر، والموالاتة غير جائزة، والاستعانة محكومة بالأحوال واختلافها. من فوائد الالتزام بهذه الضوابط والقواعد: الابتعاد عن الوقوع في تصوُّر لا يقرُّه الشرع، والقدرة على الموازنة بين المصالح والمفاسد، والبعُد عن الخطأ في الأحكام وفي التعامل مع الفتن، والبعُد عن الوقوع في الإثم" (62).

3- ومن سبل معالجة الانحراف الفكري: نَشْرُ عقيدة الوسطية والاعتدال فكريا، وقولا، وعملا، وسلوكا؛ باستعمال مختلف الأساليب العلمية، والدعوية،

62 - انظر: الضوابط الشرعية لموقف المسلم في الفتن، معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ/9، وانظر:

والثقافية، والإعلامية... إلخ. فلتحقيق أنواع التوحيد الثلاثة (الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات)، والقضاء والقدر والوعي بأسباب وقوعه وموانعه، أثرٌ بالغ في الوقاية من الانحراف الفكري؛ إذ تُرَبِّي في الإنسان حُسن التوكل على الله، والخوف والرجاء، والرغبة والرغبة، وتغليب المصلحة العامة على الخاصة؛ لأنَّ المسلم إذا صدق توحيدَهُ، وصفت عقيدته، سعى إلى إرضاء الله بتنفيذ الأوامر، والابتعاد عن النواهي؛ فيتولَّد في قلبه الخوف والرجاء، ومراقبة النفس ومحاسبتها⁽⁶³⁾، وإحسان الظنِّ بالله مهما عظمت المصائب وتكالبت البليات والأعداء، ورجاء الهداية والتوبة النصوح للمذنب، والعودة إلى الصواب للمخطئ.

4- تقوية الوازع والنزاع الدينيَّين في النفوس، وبيان أهميَّتهما في تحصين الفرد والجماعة، وفي توجيههم الوجهة السليمة في الاعتقاد، والسلوك، والفكر؛ فهما شرطيان، أمينان، خفيان، ملازمان للفرد والجماعة المستقيمة، أحدهما: يرغَّب في الأمر، ويدفع إليه، ويُسجِّع عليه، والآخر: يمنع ويحذِر. و من المسلم به أنَّ الحياة في مجتمعٍ ما لا قيام لها إلا بالتعاون بين أعضائه، وأساس هذا التعاون نظام أو قانون يُنظِّم العلاقات، ويحدِّد الحقوق والواجبات، وأساس هذا النظام سلطان معنويٌّ وازعٌ نازعٌ، "و ليس على وجه الأرض قُوَّة تكافئ قُوَّة التدئين أو تدانها في كفالة احترام القانون، وضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه، والتثام أسباب الراحة والطمأنينة فيه؛ ذلك أنَّ الإنسان يمتاز عن سائر الكائنات الحيَّة بأنَّ حركته وتصرفاته الاختيارية يتولَّى قيادتها شئ لا يقع عليه سمعه ولا بصره، ولا يُوضع في يده ولا عنقه، ولا يجري في دمه، ولا يسري في عضلاته وأعصابه (...). وإنما هو معنى إنساني روحاني، اسمه الدين والعقيدة (...). إنَّ الإنسان يُساق من باطنه لا من ظاهره، وليست قوانين الجماعات ولا سلطان الحكومات بكافيين وحدهما

⁶³ - انظر: التداير الواقية من الانحراف الفكري/261-267

لإقامة مدينة فاضلة، تُحترَم فيها الحقوق، وتُؤدَّى الواجبات على وجهها الكامل؛ فإنَّ الذي يُؤدِّي واجبه رهبةً من السوط أو السجن أو العقوبة المالية لا يلبث أن يهمله متى اطمأنَّ إلى أنَّه سيُفَلِتُ من طائلة القانون"⁽⁶⁴⁾.

5- توسيع دائرة الثقافة الإسلامية وترسيخها؛ لِتُعَمَّ مختلفَ الفئات في المجتمع، والمستويات، والدوائر، والمواقف، وكُلَّ شؤون الحياة، كُلاً على قدر عقله، ومستواه، وقدرته على الاستيعاب؛ وبخاصَّة مجال حفظ الضرورات الخمس، وتصحيح المفاهيم الخاطئة في ضوء الكتاب والسنة، ومقاصد الشريعة، ومنهج السلف الصالح، والقواعد الفقهية، وغيرها.

6- توسيع دور العلماء وتسهيله؛ فهُم أطباء العقول والقلوب والعواطف؛ لتأصيل الناس على الحقِّ، وأُولا بضبط مصادر التلقِّي، ومنهج الفهم الصحيح، والتحصين من الباطل. وثانياً بمعالجة ما يقع من ضلال وانحراف⁽⁶⁵⁾. "والعلم هو زاد التربية العقلية فلا تربية للعقل مع الجهل؛ فالعلم به تفتِّح الأذهان، وتَسعُ المدارك، وتتنوَّر البصائر، وتتنوَّى الأفهام"⁽⁶⁶⁾. وتنضبط العواطف، وترشد الحماسة.

7- التنوع في وسائل مواجهة الانحراف الفكري، وأساليبها، ورجالها. ولا بدَّ هنا من الاستفادة من وسائل التقنيات الحديثة المتعدِّدة المقروءة، والمرئية، والمسموعة. والاستفادة كذلك من كلِّ شخص أو اختصاص أو وسيلة يمكن أن يُسهم في الوصول بالمواجهة إلى النتائج الحسنة المرجوة.

⁶⁴ - أثر الانحراف الاعتقادي على الإرهاب العالمي، اليهودية نموذجاً، د. سعد علي الشهراني/7-8 عام 1416هـ،

2005م (نقلا عن الدين، د. محمد دراز/98-99، ولم أقف عليه).

⁶⁵ - انظر: العلماء وتحصين الشَّباب من الانحراف الفكري(مرجع سابق) 6/

⁶⁶ - العبادة وأثرها في تربية النفس الإنسانية، د. عبد العزيز عبد الرحمن المحيميد/107 طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1 عام 1424هـ

8- تأكيد أهمية طاعة ولاة الأمر، أهل الحل والعقد من العلماء والأمرء، والتحذير من الخروج المسلح عليهم؛ لما يترتب عليه من نشر الفتن والمفاسد المختلفة، وتعطيل مصالح العباد والبلاد.

ج. **المعالجة العملية للانحراف الفكري:** يجب أن تنطلق هذه المعالجة من قيم الإسلام السامية، وقرن العلاج العملي بالعلاج الفكري، والاستفادة من خبراء وعلماء ومؤسّسات التوجيه التربوي، والديني، والنفسي، والعلمي، والدعوي، والاجتماعي... إلخ⁽⁶⁷⁾.

تشمّل المعالجة العملية على أنواع من أهمّها:

- **الحماية،** وهي بمثابة خطّ الدفاع الأول ضدّ كلّ المخاطر التي قد تُهدّد المجتمع أو الفرد؛ فالوقاية خير من العلاج. وتسعى الحماية لتحقيق ثلاثة أهداف أساس، أولها: تحصين الشباب من هذا الفكر المنحرف قبل انتشاره؛ بالتحذير منه، وبالتوعية بخطورته على الدين، والفرد، والمجتمع، والدولة، بالوسائل المختلفة والأساليب المتنوّعة. الثاني: إعداد الإنسان السويّ الذي يتجنّب سلوك الجريمة والمعاصي التي بها يسوّغ المنحرفون تصرفاتهم. والأخر: تطهير المجتمع من الانحراف الفكري وما ينتج عنه من جرائم متنوّعة؛ وذلك بمقاومته وكشف بطلانه وعواره⁽⁶⁸⁾.

- **نظام العقوبات الشرعية:** التعزير بكلّ أنواعه ودرجاته، والحدود؛ فالعقوبة جزاءً مكرّراً لتحقيق ثلاثة أهداف مهمّة جدّاً: تأديب الفرد الجاني وإصلاح حاله. حماية الجماعة وصيانة نظامها وتماسكها وانسجامها على الحقّ والخير.

⁶⁷ - انظر: الانحراف الفكري (faculty.ksu.edu.sa/27846/page)

⁶⁸ - انظر: التدابير الوقائية من الانحراف الفكري/254

الوقاية من الجريمة بتعطيلها أو تقليلها إلى أقصى حدّ⁽⁶⁹⁾. وكذلك ما يقوم على تحقيق العدل مطلقاً.

- **حُسن الالتزام بالعبادات:** المفهومُ الشامل للعبادة هو: كلُّ ما يحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. وللعبادة أثر بالغ على فكر الإنسان وعقله، وسلوكه، ونفسيّته؛ لأنّها تقوم بوظيفتي "التخلية والتخلية". قال تعالى عن الصلاة -مثلاً-: **﴿ ائْتِ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾** [العنكبوت 45]. والعبادات في الإسلام موزّعة على القلب واللسان والجوارح، ولكلّ واحد منها أثره على الإنسان؛ لذلك تُعدّ العبادة أساساً من الأسس العملية لمعالجة الانحراف الفكري؛ فحُسن الالتزام بالعبادات يُربّي روح الإنسان، وعقله، وجسمه، وسلوكه، تربيةً متكاملةً شاملة لجميع جوانب الإنسان وحياته⁽⁷⁰⁾. إنّه "عن طريق العبادة يتربّى في الإنسان الضمير⁽⁷¹⁾ الحيّ اليقظ الذي يكون له دورٌ في توجيه سلوك صاحبه؛ فإذا حاد عن الطريق أو قصر وقف ضميره مؤثماً له حتى يؤوب إلى الحقّ أو يتغلّب على التقصير، وعلى قدر الانحراف أو التقصير يكون مستوى التأنيب"⁽⁷²⁾.

⁶⁹ - انظر: المرجع نفسه/256-257

⁷⁰ - انظر: العبادة وأثرها في التربية النفسية (مرجع سابق)/112-113

⁷¹ - والمقصود بالضمير هنا- الوازع والنازع "الشعور النفسي الذي يقف من المرء موقف الرقيب؛ يحثُّ على أداء الواجب، وينهى عن التقصير، ويحاسب بعد أداء العمل، مستريحاً للإحسان، مستنكراً للإساءة"، العبادة وأثرها/111 (نقلاً عن: عناصر القوة في الإسلام، السيّد سابق/48، دار الكتاب العربي بيروت عام 1398هـ. ولم أقف عليه)

⁷² - العبادة وأثرها في التربية النفسية / 107

لما كان الجسد أداة التنفيذ للربغبات النفسية والدوافع الفطرية فإنَّ لحسن العبادة أثرا بالغا في ضبط طريقة إشباع تلك الربغبات والدوافع، وفي تربية العواطف، وتوجيه الحالات النفسية الوجيهة الصحيحة؛ فيحُبُّ صاحبها في الله، ويُبغض في الله، ويخلى من الأمراض القلبية كالنفاق، والحسد، والضغينة...إلخ. و من آثار حسن العبادة -أيضا-: الإخلاص الذي يزيل الوسواس والضغينة، ويبعد عن طلب مدح الناس أو تعظيمهم، وزيادة الإيمان، والصدق، والأمانة، والحياء، والسعي إلى بلوغ الكمال الإنساني أو الاقتراب منه، وتحقيق الأمن النفسي، والفكري والثقافي، والاجتماعي، والتحرُّر من العبودية لغير الله تعالى⁽⁷³⁾.

- ومن المعالجة العملية للانحراف الفكري: السعي الحثيث في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وفق ضوابطه وشروطه؛ لأنها من عند الله، ولقطع الطريق والحجّة على المنحرفين فكريا الذين يتعلّلون بعدم تطبيقها، وإن كانوا يجهلون ضوابط تحقيق ذلك وشروطه وتدرّجاته. والسعي -كذلك- في نشر الأخلاق الحسنة وإتمام مكارمها؛ فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلّم: "إنَّما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق". وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم-وهو المعصوم:- "واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت" رواه مسلم.

د. المعالجة السياسية: السياسة في مفهومها الموجز هي حُسن إدارة الشيء، أي القيام على الشيء بما يُصلحه. والقيام على الشيء وتدييره والتصرف فيه بما يُصلحه، من ساس الأمور سياسة تدبّرها وقام بإصلاحها، وساس الناس سياسةً

تولّى رئاستهم وقيادتهم⁽⁷⁴⁾. و من ثَمَّ فإنَّ المعالجة السياسية تفرض حُسنَ تدبير مختلف شؤون الحياة بما يُحقّق مصالح العباد والبلاد، والعدل والمساواة، والأمن والاستقرار. ويدفع عنها الأضرار المختلفة الاجتماعية، والاقتصادية، والأمنية، والظلم السياسي والاجتماعي وغيرهما، والتخويف والإرهاب الحكومي، وتكميم الأفواه أو تحويلها إلى أبواق وطبيلات لها...إلخ. ه. معالجة كلِّ العوامل والوسائل الأساليب التي تمكّن من انتشاره، قولاً، وعملاً، وسلوكاً، مادياً ومعنوياً بالسلم وبالهدوء من إلخ، انطلاقاً من {{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ}} [الأنفال 60].

74 - لسان العرب لابن منظور، مادة سوس.

73 - انظر: المرجع نفسه/154 وما بعدها

المبحث الثاني: عوامل انتشار الانحراف الفكري

المطلب الأول: جهات تقف وراء الانحراف الفكري

المطلب الثاني: علاقة الانحراف الفكري بإثارة الفتن في

المجتمعات وزعزعة أمنها

المطلب الثالث: ضعف التحصين الشرعي

المطلب الأول: جهات تقف وراء الانحراف الفكري

لا يأتي الانحراف الفكري من فراغ بل هناك -إضافة إلى الأسباب- جهات أو مصادر تُرضعه من ثديها وتُغذيه حتى يستوي على سوقه، ويستفحل أمره، وهي جهات متعدّدة المشارب، متنوّعة الأهداف، مختلفة الدوافع، كثيرة الوسائل والأساليب، يعمل بعضها في الظاهر وأخرى في الخفاء، قد تتفق وقد تختلف، تتفاوت في كلّ ما تقدّم، لا يمكن الوقوف عندها كلّها ولا تفصيل القول فيها، وما يُذكر منها إنّما هو غيضٌ من فيضٍ من أبرزها:

أ. المرجئة والمعتزلة: المرجئة تقول: لا يضرُّ مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة؛ وذلك أخذاً بنصوص الوعد، كحديث: "مَن مات وهو يَعْلَمُ أن لا إله إلا الله دَخَلَ الْجَنَّةَ" رواه مسلم. وتركاً لنصوص الوعيد التي فهموها على غير مرادها كحديث: "لا يدخل الجنة قاطع" رواه البخاري. وفي هذا الاعتقاد انحرافٌ فكري يؤدّي إلى استهانة بالمعاصي، وتهوينٍ من شأنها، بل وتشجيعٍ عليها. صار هذا الفكر زادا دسماً للإقدام على الكبائر دون تخوُّف. والإيمان عند أهل السنة اعتقادٌ بالقلب، وقولٌ باللسان، وعملٌ بالجوارح، يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي.

أمّا المعتزلة فيقولون: إنّ مرتكب الكبيرة في منزلة بين منزلتين، أي لا مؤمن ولا كافر. وإذا مات ولم يتب خُلِدَ في النَّار. في هذا الاعتقاد انحراف فكري يؤدّي صاحب المعصية من التوبة والمغفرة؛ فیدفعه ذلك إلى التماذي في المعاصي والكبائر⁽⁷⁵⁾.

وقصّة الرجل ممّن قبلنا الذي قتل تسعة وتسعين ثمّ أراد أن يتوب فوقع على مُفْتٍ مُؤَيَّسٍ من رحمة الله أفتاه بالألّا توبة له؛ فكملّ المئة به، قصّةٌ معروفةٌ،

⁷⁵ - انظر: سبل الوقاية من الانحراف الفكري وتحقيق الأمن الوطني من خلال مقرّر التوحيد في المرحلة الثانوية في المدارس السعودية، بحث للمشاركة في مسابقة الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني بدول مجلس التعاون الخليجي، إعداد د.سليمان قاسم العيد/45، عام 1425هـ. (على الشبكة العنكبوتية)، ومنهج التلقي والاستدلال/72

ثابتة بصحيح السنّة. ومذهب أهل السنّة أنّ مثل هذا الشخص مؤمن عاصٍ، إن مات ولم يتب كان تحت مشيئة الله تعالى إن شاء غفر له فأدخله الجنة مباشرة، وإن شاء عذبه بمعصيته ثمّ أدخله الجنة.

ب. العولمة: العولمة (Globalization /Mondialisation): جعلُ الشيء عالمياً، والعالم كلّ منظومة واحدة متكاملة. أو السعي نحو السيطرة على العالم وجعله في نسق واحد⁽⁷⁶⁾. يدير فيه القوى الكبرى كلّ شيء بالباطل غالباً أو بالحق.

والعولمة بجميع أنواعها: الثقافية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والأمنية، والتربوية، وغيرها، من الجهات التي تقف وراء الانحراف الفكري؛ لأنّ العولمة بهويّتها الغربية تسعى حثيثاً إلى جعل العالم قرية كونية واحدة، في تداخل واضح بين أمور الاقتصاد، والسياسة، والثقافة، والسلوك والأخلاق. لا حدود ولا حواجز بين الدول أو المجتمعات، ولا خطوط حمراء للدول الضعيفة تحُول دون تنقّل رؤوس الأموال، والاستثمارات، والشركات المتعدّدة الجنسيات، والعادات الاجتماعية، والثقافات، والأخلاق، والأفكار أيّاً كان نوعها، والحياة المادية، والإعلام بجميع قنواته ووسائله، وبعض المنظّمات الحقوقية والإغاثية، والمؤسسات الدولية التي أخذت على عاتقها فرض مبادئ العولمة وقيّمها، وتغريب الإنسان وبخاصّة المسلم عن دينه وتاريخه، وثقافته وحضارته، وقيمه وتعاليمه⁽⁷⁷⁾.

والعولمة تنتقص من معالم سيادة الدول، وقامت مفاهيمها بدور خطير على الدول وبخاصّة في العالم الإسلامي. واعتبر الغرب بقيادة الولايات المتحدة وحلفائها العولمة فرصة حاسمة لإعادة تشكيل بُنى الدول.

⁷⁶ - انظر: التدابير الواقية من الانحراف الفكري/188

⁷⁷ - انظر: التدابير الواقية من الانحراف الفكري/188-190، والانحراف الفكري)

وبالعولمة تغيرت استراتيجيات الدول المستعمرة من الاحتلال المباشر إلى الاحتلال الحضاري والاقتصادي، والثقافي، والاجتماعي، والتدخلات بحجة أسباب إنسانية، وتطلّعات طوائف موالية لها أو مستعدة لخدمتها. "وكان الأخطر هو أن جرى اعتماد مبدأ التدخل العسكري في الدول لإحلال الديمقراطية وفق المفهوم الليبرالي الغربي" ولإعادة التأسيس -وفق رؤاها- بعد فوضى خلّاقة تُدمج الحابل في النابل، وتُحَيّر الألباب، وتُذهل المرضعات عمّا تُرضع⁽⁷⁸⁾.

بذلك كلّه وبسبب تحديات العولمة للثقافة الإسلامية وتعاليم ديننا القائمة على الجمع بين الدنيا والآخرة { وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } [البقرة 201] فإنّ العولمة تهدد خطير للعقيدة الإسلامية، ومن عوامل نشر الأفكار المنحرفة، وتسهيل الوصول إليها عبر أدواتها، وأساليبها، وقنواتها المتعددة. بل وفرضها أحيانا.

ج. التيارات الهدامة: من مصادر الانحراف الفكري والجهات التي تقف وراءها: تياراتٌ هدامة داخلية وخارجية، لها رجالها، ووسائلها، وأساليبها، ومراكزها، وميزانياتها الضخمة، كالعلمانية/اللا دينية، والحدّثة، والتغريب، والتنصير، والاستشراق، وحركات التنوير، ووحدة الأديان أو ما اصطلح عليه مؤخراً بالأديان الإبراهيمية... إلخ؛ إذ تقوم هذه التيارات وغيرها بنشاطات مختلفة تُؤدّي إلى انحراف فكري بين كثير من الشباب الإسلامي، كالحرب النفسية؛ ببذر اليأس والانهزامية، ونشر الشائعات، وتحريف مفاهيم إسلامية ثابتة (الولاء والبراء، الجهاد، صلاحية الشريعة الإسلامية لكلّ زمان ومكان)، والدعوات إلى التغريب عقلا وفكرا وسلوكا، والإغراءات المادية والجنسية، وإنشاء الجمعيات

78 - البيان، إصدار المنتدى الإسلامي، سنة 35 عدد 395 رجب 1441 هـ مارس 2020م/21، 25، مقال: الدولة الوطنية (القومية) في العالم الإسلامي، طلعت رميح.

السرية تحت أسماء مغرية وتشجيع الانضمام إليها، والاستهزاء والسخرية من أحكام الإسلام، واحتقار المتمسكين به وقذفهم بالصفات السيئة (الرجعية، الجمود، التخلف، الظلامية)، وسوء استغلال وسائل الإعلام.

ومن أهم أهدافهم: هدم الإسلام وتعاليمه أو تمييعها على الأقل، وهدم الأخلاق والتقاليد الصحيحة الأصيلة، وإثارة الفتن والاضطرابات، والفرقة والتنافر. ويستعملون الكتب، والصحف، والمجلات، ووسائل الإعلام المتنوعة وبخاصة وسائل التواصل الاجتماعي⁽⁷⁹⁾.

د. الصوفية: العلم عندهم باطن وظاهر، الباطن لهم والظاهر لغيرهم. وأهم مصادر التلقّي عندهم هو الكشف، فهو مصدر وثيق للعلوم والمعارف. ومن الانحرافات الفكرية في الكشف:

- أنهم يأخذون من النبي صلى الله عليه وسلم يقظةً ومناما.
- يأخذون عن الخضر عليه السلام أحكاما شرعية وعلوما دينية، والأوراد والأذكار.
- الإلهام: وبه يأخذ الولي العلم من الله تعالى مباشرة.
- الفراسة: وتختص بمعرفة خلجات النفس وأحاديثها.
- الهواتف: أي سماع الخطاب من الله تعالى، أو من الملائكة، أو صالح الجن، أو من أحد الأولياء... إلخ.
- الإسراءات والمعارج: أي صعود الأولياء إلى العالم العلوي.
- الرؤى والمنامات: وبناء الأحكام الشرعية عليها⁽⁸⁰⁾.

79 - انظر: التدابير الواقية من الانحراف الفكري/110-112

80 - انظر: المرجع السابق/143-146

- الدعاية المغرّضة التي يقوم بها المتصوّفة ومراكزها - إفريقيا ودوليا- منذ أحداث 11 سبتمبر 2001م. تُقدّم فيها نفسها ومعتقداتها على أنّ فكرها (السلبي) هو البديل للفكر التكفيري الإرهابي (السيّي) الذي تزايد تضيق الغرب عليه وعلى مراكزه ومدارسه ومؤسّساته ورجالاته، وحتى جمعياته الخيرية، منذ تلك الأحداث. وقد وجدت هذه الدعاية آذانا صاغية لدى كثير من سياسي مالي ودول المنطقة، والسلطات التنفيذية، مثل ما وُجدت عند غيرهم بدول إسلامية أخرى وغيرها، إلاّ من رجم رُبك.

بما تقدّم كلّه وغيره انحرفت الصوفيّة عبر تاريخها فكرا واعتقادا. وتعدّ غالبية الصوفيّة من الجهات التي تقف وراء الانحراف الفكري في المجتمعات الإسلامية. وهي تسعى -بقوّة- في نشرها، وفي الركون إلى الجمود الفكري، واحتلال عقول الأتباع؛ بالخضوع المطلق للوليّ أو الإمام، وإطلاق يده في ممتلكات تابعيه وبخاصّة الماليّة، والبيعة المستدامة له. فكان للصوفيّة أثرٌ في الانحراف الفكري وانتشاره وما يترتب عليه من نشر الفرقة، والفتن، والاضطرابات، والخرافات والبدع... الخ.

هـ. الشّيعية: وقعوا في انحرافات فكرية، لبعضها جذور نصرانية ومهودية، وإن حاولوا عزّوها إلى آل البيت وبخاصّة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ويبدلون الغالي والنفيس في نشرها بين المسلمين وإقناعهم بها، منها:

- الإمامة بالنصّ: فقد جعلوها لعليّ رضي الله عنه بالنصّ والتعيين، واستدلّوا بروايات ضعيفة أو محرّفة عن دلالاتها.

- عصمة الأئمة: حيث اعتقدوا عصمة أئمّتهم -عليّ وأولاده- من الخطأ والخطيئة والنسيان. وهذا الموقف مطابق لموقف اليهود والنصارى من بابواتهم؛ فالبابا معصوم، وقراراته نهائية.

- فكرة الرّجعة: أي عودة الميّت أو المختفي إلى الظهور في هذه الحياة⁽⁸¹⁾.
- التّفية: وهي أصل راسخ من أصول عقيدة الشيعة، وتركها بمنزلة ترك الصلاة.
- العداوة الشديدة لأهل السنّة واعتقاد قتلهم قربةً إلى الله؛ لرفضهم ونقضهم لها.
- الطعن في الصحابة ولعنهم، وبخاصّة كبارهم؛ فيترتب على ذلك نشر فكرة التشكيك فيهم وفيما نقلوه إلينا من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، المصدر الثاني للتشريع الإسلامي.

- نشر دعايات مُغرّضة -إفريقيا ودوليا- مفادها أنّ البديل الآمن للفكر العنيف التكفيري (السيّي) هو الفكر الشيعي (السلبي).

إنّ هذه الأفكار والمعتقدات الشيعية قائمة على الانحراف الفكري، يعقدونها ويلتزمون بها، ويدعون إليها ويعملون لها، مع تقليد أعى للشيوخ، وتحريف نصوص ثابتة عن دلالاتها أو ردّ نصوص أخرى، واستباحة دماء المسلمين السنّة وبلادهم... الخ.

كلّ أولئك وغيرها تجعلهم في الجهات التي تقف وراء الانحراف الفكري، ونشر الفتن والاضطرابات في المجتمعات الإسلامية، وزعزعة الأمن والاستقرار، والتحالف - أحيانا- مع الديد أعداء الإسلام.

و. قوَى الهيمنة في العالم: إنّ هذه القوَى تتبى قضايا الانحراف الفكري، وتدعمها، وتُدافع عنها وعن أصحابها؛ لتسويغ خططها وتنفيذها، وإحكام السيطرة الثقافية والاقتصادية والعسكرية وغيرها. ومن ثمّ تبحث عن أسباب ثقافية، ودينية، واجتماعية، وسياسية، وحضارية، تُمكن لها. كما تقوم مراكزها -محلياً

⁸¹ - انظر: التدابير الواقية من الانحراف الفكري/134-142

وخارجياً- بإعداد تقارير وبحوث ودراسات غير موضوعية أحيانا كثيرة في مجال صراع الحضارات والثقافات، وبخاصة الحضارة الإسلامية وثقافتها مع غيرها؛ فتجد ضالتها ووسيلتها الفضلى في المنحرفين فكريا في المجتمعات الإسلامية وفي كتاباتهم ومنشوراتهم وخطاباتهم⁽⁸²⁾.

المطلب الثاني: علاقة الانحراف الفكري بإثارة الفتن في

المجتمعات وزعزعة أمنها

توجد علاقة متينة بين الانحراف الفكري وإثارة الفتن في المجتمعات، وزعزعة أمنها واستقرارها، ونشر الفوضى والاضطرابات. ويمكن إبراز تلك العلاقة في عدة أمور، منها:

- زَيْغُ التصوُّر أو وقوعه فيما لا يقره الشرع، سواء ما تعلَّق بالشخص نفسه، أم بأسرته، أم بمجمعه، أم بأُمَّته. ويترتَّب على كلِّ واحد منها أضرار خطيرة.
- الانطلاقُ في العمل أو الحكم من الخطأ؛ فالحكم على الشيء فرغٌ عن تصوُّره، "والحاكم أو المفتي أو المتكلِّم في المسائل الشرعية لا يجوز له أن يتكلَّم - رعايةً لحقِّ نفسه، ورعايةً لِحِلاص نفسه من الإثم، ثمَّ رعايةً لحقِّ المسلمين جميعاً، وتبريراً من القول على الله بلا علم- إلَّا إذا حصل له(....) تصوُّر القضية المطروحة تماماً بحيث لا يلتبس عليه بقضية أخرى، ولا تشترك في تصوُّره وفهمه بمسألة أخرى"⁽⁸³⁾. ويستقصي ملبساته والأحوال.
- ارتكابُ ما يُضِرُّ بالدين، والعقل، والنفس، والمال، والعرض، والمجتمع؛ فالانحراف الفكري من أخطر أنواع الانحراف التي تهدِّد المجتمع في أمنه واستقراره، ووحدته وتماسكه، وفي جوانب حياته المختلفة السياسية، والثقافية، والدينية، والخلقية، والاقتصادية.
- انتشارُ الفرقة والتشردم والتناحر، والضغينة والعداوة، والحقد والكراهية، وسوء الظنِّ، بين أفراد المجتمع. والفرقة بجميع أنواعها - في الأفكار،

⁸² - انظر: الأسس والمحددات المختلفة لمواجهة الانحراف الفكري/19

⁸³ - الضوابط الشرعية لموقف المسلم في الفتن/21-22

المطلب الثالث: ضعف التحصين الشرعي

إن معرفة ما يجب على المكلف في عباداته وفي معاملاته، وفي الاعتقاد، ومقاصد الشريعة، أقوى ما يساعد على إيجاد حصانة شرعية من الانحراف الفكري.

وللتحصين أكبر الأثر في منع الانحراف الفكري أو القضاء عليه؛ فالوقاية خير من العلاج. و أهم أنواعه: التحصين بالعلم الشرعي؛ ولذلك كان ضعف التحصين فيه ذا أثر بالغ في الانحراف الفكري. ويتمثل هذا الضعف في عدة أمور:

1- قلة البضاعة في فقه الاستضعاف: إن من مقاصد الشريعة الإسلامية التدرُّج ومراعاة حالة الاستضعاف وحالة التمكين. وقد عرف التشريع الإسلامي أو السياسة الشرعية ما يُسمى بـ"فقه الاستضعاف"، ويُقصد به: "معرفة الأحكام الشرعية التي يُطالب بها المسلم وقت ضعفه"⁽⁸⁶⁾. وفي التشريع الإسلامي شواهد كثيرة على الاعتداد بحال الضعف ومراعاته، وعدم جعله كحال التمكين⁽⁸⁷⁾. ينطلق من التخفيف والتيسير الذي لا يُقصد به إلغاء أحكام الشرع التي قد استقرت وأحكمت، بل المقصود أن أحوال مراعاة الشارع للمستضعفين أول نزول الشرع تفتح الباب أمام العلماء المجتهدين؛ لمراعاة حالهم وفق ما تقتضيه مقاصد الشريعة⁽⁸⁸⁾، بضوابط من أهمها: أن الأصل هو الالتزام بالنص ما لم يوجد عارض له؛ إذ لا اجتهاد مع النص. وتحديد الضرورة بقدرها. والتفريق بين الوسائل والمقاصد؛ فالمقاصد هي الأفعال التي يتعلّق بها الحكم لذاتها، وهي متضمّنة لمصلحة أو مؤدّية إلى مصلحة. وأمّا الوسائل فهي "الأفعال التي لا تُقصد لذاتها"

⁸⁶ - انظر: مجلّة البيان، السنة 31، العدد 344، ربيع الآخر 1437هـ يناير- فبراير 2016م/7 بحث: (فقه

الاستضعاف، د.هاني عبد الله الجبير). وانظر المرجع السابق/7-10

⁸⁷ - انظر: المرجع السابق/7-10

⁸⁸ - المرجع نفسه/8

أو في الأقوال، أو في الأعمال- بلاءً يبتلي بها الله من خالف أمره، واهتدى بغير هداة (84).

- كثرة الرايات التي تُرفع باسم الإسلام في مجتمع واحد مع ادّعاء صاحب كلّ راية أن الحق والصواب معه دون غيره؛ فينتشر التعصّب، واتباع الهوى، والطائفية والقبلية، والتشكيك في ثوابت الأمة أو تنزيلها منزلة المتغيّرات. وتهتزّ قناعات الفرد والمجتمع في الراية الصحيحة، وفي الثوابت، وفي العقيدة والفكر، وفي صلاحية الإسلام لكلّ زمان ومكان.

- نشرُ الفزع والخوف في المجتمعات، واللجوء إلى العنف في القول، والفعل، والسلوك، مع النفس، والأسرة، والمجتمع، و الدولة، والعالم.

يتربّط على هذه الأمور وغيرها البلبلة، وغياب الإنصاف والعدل والثقة، وانتشارُ التعدي على الحرمات، والظلم، وهضم الحقوق، وتعطيل المصالح ونشر المفساد، والجريمة، وزعزعة أمن الأسر والمجتمعات واستقرارها، وإضعاف الحكومة.

ف"الانحراف الفكري يُعدُّ من أهمّ مهديدات الأمن والنظام العامّ، ومن أبرز وسائل تقويض الأمن الوطني بمقوماته المختلفة، حيث يهدف إلى زعزعة القناعات الفكرية، والثوابت العقديّة، والمقومات الأخلاقية والاجتماعية. ولا شكّ في أنّ جميع الانحرافات الفكرية والسلوكية، والنشاطات المضيرة بمصالح الناس ومقاصد الشرع، يكون وراءها فكرٌ منحرف"⁽⁸⁵⁾.

⁸⁴ - انظر: الضوابط الشرعية لموقف المسلم في الفتن/26

⁸⁵ - الانحراف الفكري (faculty.ksu.edu.sa/27846/page)

وإنما للتوصلُ بها إلى غيرها، ويُغتفر فيها ما لا يُغتفر في المقاصد. ومن الضوابط - أيضا-: ضرورة تقديم محبة الله ورسوله على كل شيء؛ فلا تحمل المسلم مشاعرُ الخوف والضعف والهزيمة النفسية إلى تطلب الرخص والبحث عنها ولو لم تتطلمها الأحوال⁽⁸⁹⁾.

2- غلبة أنواع من الجهل على المنحرفين فكريًا: كالجهل بالحكم الشرعي، والجهل بدلالات النصوص ومقاصد الشريعة، والجهل بأسلوب تنزيل الحكم على الواقع، والجهل بأصناف الناس.

إن علماء السلف الصالح قد بينوا خطورة الجهل بالحكم الشرعي، وخطورة عدم الإنصاف عند الحكم. فالجهل والظلم هما أصل كل شرٍّ، وعنهما يصدر كلُّ قول وعمل قبيح، ومن اجتمعا فيه فلا مَطْمَع في استقامته واعتداله ألبتة⁽⁹⁰⁾.

والمسلم مُطالبٌ بالعدل في كل شيء حتى في تعامله مع أعدائه فكيف في تعامله مع المسلمين؟ يقول ابن القيم: "اعلم أن الباب الأعظم الذي يدخل منه إبليس على الناس هو الجهل. فهو يدخل منه على الجهال بأمان، وأما العالم فلا يدخل عليه إلا مُسارفة. وقد لبس إبليس على كثير من المتعبددين بقلة علمهم؛ لأن جمهورهم يشتغل بالتعبُّد ولم يُحكِّم العلم"⁽⁹¹⁾.

- و من الجهل الغالب على المنحرفين فكريًا: الجهل بانقسام الناس إلى مؤمنين، ومؤمن عاصٍ، وكفار منافقين وغيرهم. و عدم تنزيلهم أو سوء التنزيل لهذا التقسيم على الواقع؛ إذ يرمون من لا يوافقهم إمامًا بالنفاق أو الكفر، ولا يرضون

89 - مجلة البيان عدد 344 (مرجع سابق) 10-12 بتصرف.

90 - انظر: دور العلماء في تحصيل الشباب/16-17

91 - تلبس إبليس، ابن القيم الجوزي عبد الرحمن بن علي أبو الفرج/165، تحقيق د.السيد الجميلي، عام 1405م-1985م، دار الكتاب العربي، بيروت.

بمؤمن عاصٍ. وكذلك الحكم على المجتمعات المعاصرة بالجاهلية الأولى وتكفير من لا يتركها.

- إذا كان من القواعد المطردة أن الحكم على الشيء فرع عن تصوُّره فإنَّ من الجهل الذي يقع فيه المنحرفون فكريا من هذه الناحية: بناء حكم شرعي على استقراء ناقص للأدلة، أو على استقراء ناقص لمختلف الملابسات والأسباب والأحوال المتعلقة بالمسألة.

- و من الجهل الغالب الأخذُ بظواهر نصوص من غير اعتداد بنصوص أخرى؛ فيتجرأ صاحبه على إصدار أحكام مطلقة أو عامة أو جازمة في الأمور الاعتقادية أو غيرها من ظواهر بعض النصوص دون علم أو اعتداد بباقيها، ولا بالبحث عن أقوال الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، والعلماء الراسخين في هذا العصر أولي العلم والحكمة والإصلاح؛ فيقع في أخطاء شنيعة، ويحدث أضراراً جسيمة في الدين، وفي الأنفس، والأموال، والأعراض، وفي البلاد... إلخ⁽⁹²⁾.

- وأخطر أنواع الجهل الجهل بعقيدة أهل السنة والجماعة وبمنهجهم في التلقِّي والاستدلال، وفي التعامل مع النصوص. هذه "هي الحارس وصمام الأمان من كل انحراف؛ فالجهل بها يؤدي إلى (...) تنكُّب الصراط المستقيم والمنهج القويم"⁽⁹³⁾ وإلى الانحراف الفكري وما يترتب عنه.

كلُّ ما تقدّم جهلٌ عامٌّ بالإسلام وبمقاصد الشريعة، ينتج عنه "فقدانُ الحاجة الفكرية والعملية التي يمكن من خلالها معالجة المشاكل والقضايا

92 - انظر: الانحراف الفكري لدى الشباب/8

93 - الغلو في الدين: المظاهر، الأسباب، العلاج، د.محمد أحمد لوح/5-6 بتاريخ 8/11/2014م (منشور على الشبكة)

الحضارية المستجدة في عالم الإنسان (...). والانطلاق في عالم المتغيرات بثبات دون انكسار وانحراف⁽⁹⁴⁾ في الفكر، أو السلوك، أو الحكم، أو العمل.

3- افتقاد القدرة على الموازنة: إذا كان المنحرف فكريا لا يمتلك حصانة في العلم الشرعي فإنه لا يمتلك -أيضا- القدرة على الموازنة بين الأدلة والنصوص حتى لا يضرب بعضها ببعض، ولا القدرة على الموازنة بين المصالح والمفاسد، والمكاسب والخسائر، و لا القدرة على تمييز الوسطية والاعتدال من الانحراف والغلو والإرهاب، والإفراط والتفريط، ولا القدرة على التفريق بين الثوابت والمتغيرات.

4- الضعف في فقه الأولويات: من ضعف التحصين الشرعي أن يكون الشخص ضعيفا في فقه الأولويات؛ لأن ديننا يقوم على اليسر، ورفع الحرج، والرفق، وهي من أهم وسائل فقه الأولويات؛ وذلك بتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، والأخذ بأخف الضررين، وتقديم درء المفاسد على جلب المصالح، وغيرها من القواعد الفقهية وضوابط السياسة الشرعية التي تُعين على فقه الأولويات.

أما المنحرفون فكريا فلا يمتلكون القدرة على الاستفادة من هذه القواعد والمقاصد الشرعية؛ فيتسرعون في تقديم ما تحقق المصلحة بتأخيره أو العكس، أو تقديم تحقيق مصلحة على درء مفسدة؛ فيكون ضررهم أشد مما يسعون في تحقيقه من مصالح؛ إذ يتغافلون عن المفاسد أو الأضرار في الدين والأموال والأعراض والنفوس، التي تترتب على عملهم.

⁹⁴ - انظر: الانحراف والتطرف الفكري/2

المبحث الثالث: دور الفرق في الانحراف الفكري

المطلب الأول: أثر الرافضة في انتشار الانحراف الفكري في المجتمعات

المطلب الثاني: أثر الخوارج في انتشار الانحراف الفكري في العصر الحاضر

المطلب الثالث: الانحراف الفكري وأثره في نشأة الإرهاب

المطلب الأوّل:

أثر الرافضة في انتشار الانحراف الفكري في المجتمعات

الرافضة من أهمّ الفرق - قديما وحديثا- التي انحرفت فكريا، ولها -أيضا- أثرٌ بارز في انتشار الانحراف الفكري في المجتمعات المتعدّدة وإقناع كثير من المنحرفين بها؛ وذلك عن طريق نشر أفكارها المنحرفة ودعمها، والدفاع عنها، ومحاربة مَنْ يُخالفها، ويظهر أثرهم في نشره من عدّة جوانب:

- العِصمة المطلقة: زعمت الرافضة الإماميّة عصمةً لأئمّتهم -علي وأولاده وأئمّتهم بعدهم- كعصمة النبي صلى الله عليه وسلم، بل أوجبوا الرجوع إليهم في جميع ما جاءت به الرسل، ورَتَّبوا على ذلك أنّهم لا يعتمدون على المصادر الأصليّة للتشريع في الإسلام: القرآن، والحديث النبوي، والإجماع. ويرفضون القياس مهما كان واضحا جليًّا، ولا ينظرون في دليل ولا تعليل إذا كان خلاف ما عندهم⁽⁹⁵⁾.
والمُنحرفون فكريًّا في العصر الحاضر تشبَّعوا هذه الفكرة وألبسوها قادتهم؛ إذ يتمسّكون بأقوالهم، ولا يُخالفون آراءهم، وينطلقون منها للحكم على الأفراد والمجتمعات، وللتعامل معها، ويضربون النصوص الثابتة بعرض الحائط: إذ لم توافق آراءهم.

- التُّقِيّة: وهي تعني -عندهم- "أن تقول شيئا وتُضْمِر شيئا آخر، أو تقوم بعملٍ عبادي أمام سائر الفرق الإسلاميّة وأنت لا تعتقد به ثمّ تُؤدِّيه بالصورة التي

⁹⁵ - انظر: منهاج السنّة النبويّة 1/69، 6/381، ومجموع الفتاوى، ابن تيمية 13/209، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد العاصمي، دار عالم الكتب، الرياض، عام 1412هـ 1991م، ومنهج التلقّي والاستدلال/

تَعْتَقِدُ بِهِ فِي بَيْتِكَ"⁽⁹⁶⁾. والتُّقِيَّةُ أصل راسخ من أصول عقيدة الرافضة، حتى إنَّ مَنْ خَرَجَ عَنْهَا فَقَدْ خَرَجَ -عندهم- عن دين الله وعن دين الإمامية. ينشرونها في المجتمعات قولاً وعملاً، و يستدلُّون في تسويغها بقوله تعالى: { وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً } [آل عمران 28]، وَيُرِيدُونَ عَنْ إِمَامِهِمُ الْخَامِسِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ قَوْلَهُ: "التُّقِيَّةُ دِينِي وَدِينُ آبَائِي، وَلَا إِيْمَانُ لِمَنْ لَا تُقِيَّةَ لَهُ"⁽⁹⁷⁾.

وقد كان من أثرها في انتشار الانحراف الفكري أنَّ المتَّصِّفين بهذه الصفة يستعملونها -حال الضعف- في إخفاء أهدافهم الحقيقية، وفي تغليف النفاق والحقد بغلاف التدين الصحيح، والمحبَّة، والرغبة في تحقيق المصالح ودرء المفاسد. فإذا قويت سواعدهم كَثُرُوا عن أنياب العدو والحقد، والقتل، والتخريب.

- تَأْلِيَهُ الْإِمَامُ: هذه العقيدة ممَّا أثرت به غلاة الرافضة في انتشار الانحراف الفكري في المجتمعات. ومصدرها فكرة الحلول والتناسخ، يقول ابن خلدون: إنَّ من الشيعة "طوائف -يُسَمَّوْنَ الْغَلَاةَ- تَجَاوَزُوا حَدَّ الْعَقْلِ وَالْإِيْمَانِ فِي الْقَوْلِ بِالْوَهْيَةِ هُوَلَاءِ الْأُئِمَّةِ، إِمَّا عَلَى أَنَّهُمْ بَشَرٌ اتَّصَفُوا بِصِفَاتِ الْأَلُوْهِيَّةِ أَوْ أَنَّ الْإِلَهَ حَلَّ فِي ذَاتِهِمُ الْبَشَرِيَّةِ، وَهُوَ قَوْلٌ بِالْحُلُولِ يُوَافِقُ مَذْهَبَ النَّصَارَى فِي عَيْسَى صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ"⁽⁹⁸⁾ ويقول د.موسى الموسوي: "الشيعة هي الطائفة الإسلامية الوحيدة التي سلَّمت نفسها بلا قيد وشروط، و [لا] حدود وقيود، و [لا] سؤال وجواب، إلى قياداتها

⁹⁶ - الشيعة والتصحيح: الصراع بين الشيعة والتشيع، د.موسى الموسوي/52 عام 1408هـ 1988م بدون مطبعة.

⁹⁷ - التدابير الواقية من الانحراف الفكري/138

⁹⁸ - مقدمة ابن خلدون/2، 590، مَهْدٌ لَهَا وَحَقَّقَهَا زَعْلَقَ عَلَيْهَا د.علي عبد الواحد وافي، ط3، عام 1401هـ، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة،

المذهبية تَرَكَلَهَا بِأَقْدَامِهَا فِي سَاحَاتِ الْوَعَى تَارَةً، وَسَاحَاتِ الْإِرْهَابِ وَالْغِيْلَةِ تَارَةً أُخْرَى"⁽⁹⁹⁾. ولعلَّ غلاة الصوفية تأثرت بهم في تقديس الأولياء والأئمة والأقطاب، والزعم بأنَّه يُكشِّفُ لَهُمْ مَعَانٍ بَاطِنِيَّةً فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ لَا يَعْلَمُهَا غَيْرُهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الظَّاهِرِ الَّذِينَ يُسَمُّونَهُمْ عُلَمَاءَ الشَّرِيعَةِ⁽¹⁰⁰⁾.

إنَّكَ تَجِدُ الْمُنْحَرِفِينَ فِكْرِيًّا فِي هَذَا الْعَصْرِ إِمَّا أَنْ يُقَدِّمُوا أَقْوَالَ قَادَتِهِمْ عَلَى النُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ الثَّابِتَةِ، أَوْ يِعَارِضُوا بِهَا تِلْكَ النُّصُوصَ، أَوْ يُنْقِرُوا مِنْهَا وَمِنَ الْاسْتِدْلَالِ بِهَا، أَوْ يَطْعَنُوا فِي زُوَاتِهَا الثَّقَاتِ. ثُمَّ يَأْخُذُونَ فِي نَشْرِهَا فِي الْمَجْتَمَعَاتِ وَيَبْذِلُونَ الْغَالِي وَالنَّفِيسَ فِي الْعَمَلِ بِهَا.

- نَشْرُ الْجَرَاءِ عَلَى النُّصُوصِ الثَّابِتَةِ: وذلك إمَّا برفضها وردِّها أو بليِّ أعناقها لِتَتَّفَقَ مَعَ أَفْكَارِهِمْ وَمَعْتَقَدَاتِهِمْ. وَأَثْرُ ذَلِكَ بَارِزٌ وَوَاضِحٌ فِي الْمُنْحَرِفِينَ فِكْرِيًّا، وَفِي الْيَسَارِيِّينَ، وَالْعِلْمَانِيِّينَ، وَالتَّنْوِيرِيِّينَ وَأَمْثَالِهِمْ؛ إِذْ يَتَجَرَّأُونَ عَلَى رَدِّ النُّصُوصِ الثَّابِتَةِ وَأَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ الْأَفْذَادِ، أَوْ الْإِعْتِرَاضِ عَلَيْهَا بِعُقُولِهِمُ الْمَحْرِفَةِ، حَتَّى زَعَمَ قَوْمٌ مِنْهُمْ " أَنَّ الدِّينَ تُرَاثٌ مُقَدَّسٌ لِكَنِّهِ لَيْسَ صَالِحًا لِهَذَا الزَّمَانِ؛ وَلِهَذَا طَالَبُوا بِفِصْلِهِ عَنِ جَمِيعِ شُؤْنِ الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالسِّيَاسِيَّةِ، وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ، وَالْإِعْلَامِيَّةِ (...). وَغَيْرِهَا"⁽¹⁰¹⁾.

- وَمِنْ أَبْرَزِ مَظَاهِرِ أَثْرِ الرَّافِضَةِ الْإِمَامِيَّةِ فِي انْتِشَارِ الْانْحِرَافِ الْفِكْرِيِّ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ: أَنَّهَا تَرَى فِي كُلِّ الْحُكُومَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي قَامَتْ بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -مَا عَدَا سِنَوَاتِ حُكْمِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- تَرَى فِيهَا إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ حُكُومَاتٍ غَيْرَ شَرِيعِيَّةٍ، وَحُكَاْمُهَا غَيْرُ شَرِيعِيِّينَ، ظَلَمَةٌ، مُتَغَلِّبَةٌ، لَا

⁹⁹ - الشيعة والتصحيح/120

¹⁰⁰ انظر: منبج التلقي والاستدلال/104، 106، والتدابير الواقية من الانحراف الفكري/139، 140-141

¹⁰¹ - منبج التلقي والاستدلال/66

المطلب الثاني:

أثر الخوارج في انتشار الانحراف الفكري في العصر الحاضر

تعدُّ الخوارج خروجًا مُسلِّحًا من أهمِّ الفرق التي لها أثر بارز في انتشار الانحراف الفكري في العصر الحاضر. ويُقصد بالخوارج عند كثير من المؤرخين والباحثين- تأثرًا بالشهرستاني- " كلُّ مَنْ خرج على الإمام الحق الذي اتَّفقت عليه الجماعة سواء أكان الخروجُ في أيَّام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم من التابعين بإحسان والأئمة في كلِّ زمان" (103). يظهر أثرهم في انتشار الانحراف الفكري من عدَّة جوانب، أهمُّها:

- القولُ بجاهليَّة المجتمعات وتكفيرها واعتزالها، و محاربة من لا يكفِّرها أو لا يعتزلها.

- رفع شعار "لا حكم إلا لله"، وقد بنوا عليه التكفير بالذنوب؛ فترتَّب عليه استباحة دماء المسلمين المخالفين لهم، وعدُّ ديارهم ديار حرب، ومن ثمَّ استحلُّوا قتالهم، وغصبُ ممتلكاتهم، وانتهاكُ أعراضهم، ومعاملتهم معاملةً أسوأ من معاملتهم للكفَّار.

- منهجهم في التعامل مع النصوص: الأخذُ بنصوص الوعيد، كقوله تعالى: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ} [النساء 14]. فصاحب الكبيرة -عندهم- كافر خالد مخلد في النار. ومن منهجهم تركُ نصوص الوعد كقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء 48]. "والتحقيقُ الجمعُ بين نصوص الوعد والوعيد، وتفسيرُ

يستحقُّون من الشيعة الولاء، والطاعة الصادقة، والتعاون على الخير، إلا بما تفرَّضه التُّقية والطمع⁽¹⁰²⁾. وهذا أكبر دافع لهم -دائما- إلى زعزعة الأمن والاستقرار، وإشاعة الفوضى والتدمير في هذه الحكومات تحت مسوِّغات متعدِّدة، ومُسمِّيات كثيرة.

تستعمل الرافضة وسائل كثيرة لنشر الانحراف الفكري في المجتمعات المعاصرة وللدفاع عن أصحابه، أبرزها: وسائل الإعلام الحديثة وبخاصَّة القنوات الفضائية الكثيرة جدًّا التي يملكونها، فكم من قنوات تنشر هذا الفكر، وتنشر كراهيَّة المجتمعات والحكومات الإسلامية غير الشيعيَّة؟ وقد اتَّبعَتْ هذه القنوات في الوقت الحاضر استراتيجيَّة جديدة وهي استضافة علماء شيعة لاستنطاق بعض مصادر مخالفهم بصورة سلبية تتمثَّل في تصيُّد العبارات وإخراجها عن سياقها، إمَّا لتأييد مواقفهم وآرائهم السيِّئة، أو لإظهار نوعٍ من التناقض بين آراء مخالفهم؛ لاستحداث البلبلة ولضرب بعضها ببعض.

ومن وسائلهم: المدارس والجامعات، والجمعيات الاجتماعية والصحية، والمراكز الثقافية في السفارات الإيرانية وغيرها. ومنها: الدخول في شراكة اقتصادية وتجارية، وصحية، وزراعية، مع بعض الحكومات واستغلال ذلك في تأليبها على غير الشيعة وبخاصَّة أهل السنَّة. ومن وسائلهم -أيضا- الدخول في تحالفات مع غلاة الصوفيَّة من القبوريين وعُباد الأولياء والأقطاب، وتمويل نشاطاتهم وتجمُّعاتهم المختلفة ماديًّا، ودعمهم إعلاميًّا. ولا تتردَّد في احتضان المنحرفين فكريا و لو حين.

¹⁰² - انظر: الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإماميَّة الاثني عشرية، السيّد مجب الدين/16-17، 18-19، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، بدون ت.

¹⁰³ - الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني 1/114، تحقيق محمد سيد كيلاني، عام 1404هـ، دار المعرفة، بيروت.

المطلب الثالث: الانحرافُ الفكريُّ وأثره في نشأة الإرهاب

يتفق الباحثون في الإرهاب على وجود صعوبة بالغة في تحديد مصطلح الإرهاب تحديداً دقيقاً؛ لاختلاف وجهات النظر التي تنطلق منها تعريفاته؛ ولما في بعضها من تضليل وتزييف؛ بسبب تخصيصه بجماعات، أو منظمات، أو أفراد، أو دين، أو دول، دون أخرى. نكتفي بوصف الإرهاب وبعض صوره لدى المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وذلك في دورته السادسة عشرة عام 1422هـ، بأنه هو: "العدوان الذي يُمارسه أفراداً أو جماعات أو دول؛ بغياً على الإنسان-دينه، وعقله، وماله، وعرضه- ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الجِرابة وإخافة السبيل وقطع الطريق، وكلُّ فعلٍ من أفعال العنف أو التهديد يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدفُ إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم أو أحوالهم للخطر. ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأماكن العامّة أو الخاصّة أو تعريض أحد الموارد الوطنيّة أو الطبيعيّة للخطر. فكلُّ هذا من صور الفساد في الأرض التي نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عنها"⁽¹⁰⁶⁾. ولعلك ترى أنّ في الوصف بيانا لأنواع الإرهاب وصوره.

أمّا أثرُ الانحرافِ الفكري في الإرهاب ونشره فيمكن إبرازُ بعض جوانبه فيما يأتي:

- يتولّد من الانحراف الفكري اعتقادٌ منحرفٌ. والمدقق في الإرهاب والتطرّف الذي أصبح ظاهرة عالميّة في العصر الحديث يجد أنّ العامل العقدي يمثّل العامل الأوّل والأهمّ في الإرهاب. وما ذلك إلاّ لأهميّة الاعتقاد أو الدين. تُؤكّد ذلك الدراسات العلميّة الميدانيّة المتعدّدة، منها -على سبيل المثال- الدراسة التي أعدّها سالم

بعضها ببعض من غير تبديل شيء منها، كما يُجمع بين نصوص الأمر والنهي من غير تبديل شيء منها"⁽¹⁰⁴⁾.

ولا شكّ في أنّ المنحرفين فكرياً من جماعات الإرهاب والعنف والقتال وغيرهم في العصر الحاضر قد تأثروا بهذه الأفكار المنحرفة، فتجدهم يتشدّدون في الدين مع غلظة في التعامل مع المسلمين، وخشونة في الأسلوب، وتنطّع في المنهج، ينتهي بهم ذلك كلّهُ إلى التكفير والتفجير والتدمير؛ فترهق الأرواح، وتتلّف الممتلكات، وتنتهك الأعراض، ويُزعزع الأمن والاستقرار في المجتمعات.

- الجرأة على الأئمة والعلماء الراسخين: بالظن والتسفيه، والرمي بالسوء، ولا غرابة؛ لأنّ "الخوارج جَوّزوا على الرسول نفسه أن يجورَ ويضلّ في سنّته، ولم يوجبوا طاعته ومتابعته، وإنّما صدّقوه فيما بلّغه من القرآن دون ما شرعه من السنّة التي تُخالف - بزعمهم- ظاهر القرآن"⁽¹⁰⁵⁾.

أبرز وسائلهم في نشر الانحراف الفكري في العصر الحاضر هي وسائل الإعلام المختلفة وبخاصّة القنوات الفضائيّة، والشبكة العنكبوتيّة، ومواقع التواصل الاجتماعي، والكتب، والدبلوماسية، والإغراء المادي، والدعم الاقتصادي، والتعليم، والتهديد، والعنف... إلخ.

¹⁰⁴ - منبج التقي والاستدلال/73 (نقلا عن التفسير الكبير لابن تيمية 249/4، ولم أقف عليه)

¹⁰⁵ - مجموع الفتاوى 73/19

¹⁰⁶ - الإرهاب أسبابه ووسائل العلاج، عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ/12

البراق"و التي أجمع معظم أفراد عينة البحث على دور العامل العقدي في تكوين السلوك الإرهابي لكافة المنظمات المتطرفة الإرهابية" (107).

- ينتج الإرهاب عن فكر خاطئ؛ فالعمليات الإرهابية لا يقوم بها أصحابها إلا بعد إعداد ذهني ونفسي وفكري يُحدث خللا فكريا، وعقديا، ونفسياً، سواء كان المُعدُّ جاهلاً؛ فيتصوّر الأمور على خلاف الواقع، أم صاحب هوى؛ فينسى الحق أو يتناساه، أو يسيئ الظنّ بالناس والمجتمع؛ فيكيل لهم التهم (108). والذين يجنحون من المسلمين إلى الإرهاب بمختلف أنواعه "قومٌ ذُوو فكر محدود، وعقل ظاهري، وبعيد عن ساحة الإسلام بمعطياته الشاملة، فهم فئة متشدّدة في الدين وتصوّره؛ لاعتقادهم بأنّ الإسلام يجب فرضه في الواقع" (109) وبأيّ ثمن ووسيلة.

- ينزع الفكر المنحرف بصاحبه إلى تسويغ الإجرام بمسوِّغات واهية، صادرة عن عقول منحرفة، ونفوس ميّالة إلى الشرّ والإجرام، وفرض أفكارها بكلّ الوسائل والأساليب، وربّما إشباع رغبات مخفية كالانتقام، وحبّ السلطة والسيطرة والقيادة.

إنّ الانحراف العقدي الذي يتولّد من الانحراف الفكري يُعطي الإرهابي التشبُّثَ الفكري، والعناد، والخروج عن قطعيات الدين، وعن المجتمع، وتسويغ أعماله الإرهابية بالقرآن والأحاديث التي يُسيء فهمها ويُزّلّها في غير منازلها؛ فيؤدّي كلُّ ذلك إلى الإرهاب.

- تشويه حقيقة الإسلام في بنائه العقدي، والدعوي، والسلطوي. وإتاحة الفرصة للمتريّصين بالمسلمين ودولهم.

¹⁰⁷ - انظر: أثر الانحراف الاعتقادي على الإرهاب العالمي، اليهودية نموذجاً، (مرجع سابق) /11.

¹⁰⁸ - انظر: الإرهاب، أسبابه ووسائل العلاج/17

¹⁰⁹ - التفجيرات والتهديدات التي تواجه الأمنيين (مرجع سابق)/19

- الأعمال الإرهابية كالتدمير والتخريب، والفضوى، وزعزعة الأمن والاستقرار.

هذه الأعمال وغيرها إنّما هي -أيضاً- من وسائل الانحراف الفكري إلى تحقيق أهدافها، مهما كانت الأسباب والمسوّغات. فليس من المبالغة القول بأنّ الإرهاب بجميع أنواعه، وأدواته، وأساليبه... إلخ، هي الوسيلة الفضلى لأغلب المنحرفين فكرياً في ترجمة انحرافهم إلى واقع؛ فالغاية -عندهم- تسوّغ الوسيلة أيّاً كانت.

المطلب الرابع: نماذج من الفرق المنحرفة في العصر الحاضر:
شهد العصر الحاضر فرقا منحرفة كثيرة، بعضها امتداداً لفرق قديمة، وأخرى حديثة. يجمعها جميعا الانحراف الفكري وما ينتج عنه من أعمال لها آثار سيئة، وأضرار جسيمة، على الأفراد والمجتمعات، والدول، وعلى الضرورات الخمس التي يجب المحافظة على سلامتها... إلخ. من أبرز الفرق المنحرفة في العصر الحاضر:

1- الشيعة وغلالة الصوفيّة: وقد تقدّم الحديث عنهما.

2- العلمانيّة: العلمانيّة (أو اللادينيّة أو الدنيويّة) -سمّاها أحد الباحثين بـ"الجاهليّة الحديثة"⁽¹¹⁰⁾. أهمُّ أسسها فصلُ الدين عن مختلف شؤون الحياة؛ فلا يكون للدين أيُّ أثر في تسيير شؤون الحياة السياسية، والاجتماعيّة، والثقافية، والاقتصادية... إلخ. وإنّما تُقام الحياة وتُدار شؤونها بالعلم الوضعي أو العقل. ويلزم من الأخذ بها -عند معتنقيها- الارتقاء في أحضان الغرب وكيفية تسييره لشؤون الحياة، وإن كان الواقع الغربي في أواخر القرن العشرين إلى الآن يُخالف هذا الأساس تطبيقاً؛ إذ ظهر للدين وللمتديّنين الغربيين أكبرُ الأثر في تسيير سياساتها المختلفة داخليّاً وخارجيّاً.

وفي تسمية هذه الحركة بـ"العلمانيّة" نسبةً إلى العلم تمويهً وتزييفاً، وتضليلً؛ إذ توحى بالتضادّ بين الدين والعلم، وافتراض وجود صراع بينهما، وأن لا علاقة للدين بالحياة الدنيا. ورمي المتمسك بدينه في مختلف شؤون حياته بالتخلّف والجهل والجمود. وكثيرٌ من المسلمين الذين اعتنقوا أفكار هذه الحركة وأرادوا تطبيقها في المجتمعات الإسلاميّة هم منحرفون فكرياً، ولديهم عداوة شديدة للدين ولأثره في شؤون الحياة، يدفع كثير منهم:

¹¹⁰ - انظر: التداير الواقية من الانحراف الفكري/151

- غلبة البدع والأهواء، وقلةُ الفقه في الدين، والقناعة التامة بأنّ الغرب لم يتقدّم مادياً وعسكريّاً إلاّ بإبعاد الدين عن شؤون الحياة.
- يزعمون السعي في المساواة بين المواطنين؛ بالدفاع عن حقوق الأقليات غير المسلمة من النصارى واليهود، والشيعة، والحركات المنحرفة عن دين المجتمع من اليساريين وغيرهم؛ ولذا تسعى لإيجاد تشريعات وقوانين تزعم بها تحقيق المساواة بين المواطنين.

اشتهر العلمانيون وأشباههم الليبراليّون في العالم الإسلاميّ بأمر منها: الاستهانة بالدين وبتوابته وفضائله، والسخرية والاستهزاء بالمتمسكين بالدين، وإثارة الشبهات، ونشر الرذائل باسم الحرّيّة الخاصّة أو الشخصيّة، والإعجاب الشديد بمظاهر الحياة الغربيّة والدعوة إليها⁽¹¹¹⁾.

و قد بلغت الجرأة بالعلمانيين وأشباههم إلى اعتبار الدين تراثاً مقدّساً، و ردّ النصوص الصحيحة والاعتراض عليها وعدّها غير صالحة لهذا الزمن؛ ولهذا طالبوا بفصل الدين عن جميع شؤون الحياة⁽¹¹²⁾.

مثلاً حركة التنوير؛ إذ تُركّز على المنهج التجريبي بصفته منهج العلم الوحيد؛ فتقرُّ ما يُقرُّه هذا المنهج، ولا علاقة لله -عندهم- ولا لتعاليم دينه بالحياة. كما أنّها تدعو إلى العصريّة العمليّة والتضحية في سبيل ذلك بالدين، وتطوع النصوص الشرعيّة ذات الدلالات القطعيّة⁽¹¹³⁾.

¹¹¹ - انظر: المرجع السابق/150-153

¹¹² - انظر: منهج التلقي والاستدلال/66

¹¹³ - انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي 2/

3- القاعدة بجميع أجنحتها:

وهي منظمة إرهابية، مسلحة، وحركة متعددة الجنسيات. لعلَّ ما بين عام 1987 إلى منتصف 1992م هو مرحلة التأسيس والتدريب للقاعدة؛ حيث أنشئت أول مجموعة للقاعدة بعد نشوب الحرب بين فصائل المجاهدين الأفغان، ثمَّ اتَّجهت إلى الصومال، وضمتَّ الجنسيات المختلفة التي شاركت في الجهاد الأفغاني، وتحوَّلت إلى الحرب ضدَّ أمريكا ومَن تصفهم بعملائها من الدول الإسلامية.

قامت بتفجيرات العليا في الرياض، ونيروبي، ودار السلام في أواخر التسعينيات، وفي عدن 2000م، وفي معظم الدول الإسلامية وغيرها. ثمَّ جاءت أحداث 11 سبتمبر 2001م وما تبعها من غزو أفغانستان والعراق، وتحالف القاعدة وطلبان في أفغانستان وباكستان، وهروب (13) من أعضاء قاعدة اليمن من سجن الأمن السياسي عام 2006م. وتتحالفت قاعدة اليمن والسعودية عام 2007م في تنظيم سُمِّيَ بـ"قاعدة الجهاد في جزيرة العرب"، واستمرت في عمليَّاتها الإرهابية، وفي التجنيد من كل الجنسيات.

وإذا كانت الأفكار والمعتقدات، والوسائل، واحدة في كل الفروع فإنَّ الأهداف قد اختلفت في أوَّل الأمر باختلاف البلدان؛ ففي أفغانستان هدفت إلى مساعدة طالبان ضدَّ الأمريكيان؛ تمهيدا لإعادة إمارته الإسلامية التي سقطت عام 2001م. وفي تحالفها مع طالبان باكستان هدفت إلى إحداث أكبر ضرر بأمريكا ومصالحها. وفي شبه الجزيرة العربية أعلنت أنَّ هدفها الأساس هو طردُ المشركين من الجزيرة العربية مهدِّ الإسلام، وإسقاط الحكومات المتعاونة مع أمريكا⁽¹¹⁴⁾. وتكاد تكون أمَّ الحركات والجماعات الإسلامية المسلحة التي تلجأ إلى الإرهاب بجميع

¹¹⁴ - انظر: خارطة تنظيم القاعدة العالمية، موقع السكينة: WWW.assakina.com/files/13140.html

صوره في سعيها للتغيير، أو تطبيق الشريعة، أو الانتقام من الحكومات والمجتمعات الإسلامية التي تكفَّرها، أو من الأعداء، وتستبيح لنفسها استعمال السلاح والعنف، والتفجير والتدمير، والقتل...إلخ.

كلُّ ذلك بسبب الانحراف في الأفكار والمعتقدات، وفي فهم نصوص الشريعة ومقاصدها وفي تنزيلها على الواقع، وفي ردِّ النصوص التي تُعارض نصوصهم التي أخذوا بها؛ فأضرتَّ بالإسلام والمسلمين في كل بقاع العالم.

4- تنظيم الدولة: (115)

كان هذا التنظيم يُسمَّى "الدولة الإسلامية في العراق والشَّام"، ويُعرف اختصاراً وإعلامياً بـ"داعش"، وتعود أصوله إلى تيارٍ سلفيٍّ "جماعة التوحيد والجهاد" أسَّسها أبو مصعب الزرقاوي في العراق عام 2004م بعد غزو أمريكا لها، ثمَّ أعلن عام 2006م البيعة لابن لادن؛ فأصبحت "تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين"، ثمَّ انفصلت عن القاعدة. وفي 2014/6/29م - عقب الانتصارات التي حقَّقتها في العراق - أعلن عن "الخلافة الإسلامية" وأنَّ أبا بكر البغدادي خليفة المسلمين. يرى هذا التنظيم أنَّه يُمثِّل الدولة الإسلامية؛ ولذلك فهو الأجدر بالبيعة والولاء، ودعا المجاهدين للهجرة إليها. ويضمُّ عناصر من جنسيات مختلفة معظمهم من سوريا والعراق. ويُقدِّر بعض التقارير عدد أعضائه من غيرهما -

¹¹⁵ - انظر بحثنا: مَن له إعلان الجهاد (تنظيم الدولة الإسلامية نموذجاً) بحث مقدَّم إلى الدَّورة الشَّرعية: منهج الخوارج (عارودمار) بماكو 20-22/10/1435هـ، 17-19/8/2014م: تنظيم دعاة وزارة الشؤون الإسلامية بالرياض، سيأتي - إن شاء الله - ذكره في المبحث الرابع، المطلب الرابع: جهود المؤلف في مواجهة الانحراف الفكري في بلده.

وبخاصة الدول الغربية- بما بين ثلاثة إلى خمسة آلاف⁽¹¹⁶⁾. ولا تخلو من مدسوسين من المخابرات الغربية وغيرها. وأياً كان الأمر فإن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام ارتكبوا- ولا يزالون- أعظم الكبائر وهم يحسبون أنفسهم مجاهدين:

- أكبر هذه الكبائر هتك حرمة الضروريات الخمس التي أجمعت الأمة الإسلامية على وجوب حفظها: النفس، والعقل، والدين، والمال، والنسب. وتؤلب أعمالهم الشنيعة وجرائمهم الفظيعة على المسلمين أعداءهم وأعاونهم المترصين بهم لمزيد من الفتك بهم في داخل بلادهم وخارجها.

- لا مجال للموازنة بين مكاسمهم وخسائرهم التي تمتد إلى الأمة كلها، وقد يكونون مستدرجين من قبل الأعداء بهذه المكاسب للتمكّن منهم أكثر؛ ولتسويغ نشب مخالهم في المجتمعات الإسلامية؛ فينال العدو من الأمة بسببهم ما لم يكن يحلم ببعضه.

- يغلب على انطلاقهم الفكري تأويل غير سائغ، و تقرير: إمّا تحكيم الشريعة بشكل كامل -كما حكم بها الخلفاء الراشدون- أو لا يحكم بشيء؛ فتعطيل شيء من الشرع لأي سبب من الأسباب يعني -عندهم- تعطيل الشريعة كلها! وذلك كله انحراف فكري؛ إذ لم يميّزوا بين القدرة على تطبيقها مع توفر شروطها وضوابطها والعجز عن تطبيقها مع التسليم بل الاعتقاد بصلاحيّتها لكلّ زمان ومكان، وبين الإنكار المطلق لتطبيقها ولصلاحيّتها.

<http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2014/6/14>

- لا يُقاتل هذا التنظيم ونحوه تحت راية حاكم مسلم له الحق في إعلان الجهاد بشروطه وضوابطه الشرعية، وبعد الموازنة بين المكاسب والخسائر. فلا بدّ من حاكم، ولا بدّ من دولة مستقلة رايةً، وأرضاً، ومجتمعاً، وسلطة.

- يُنكّل هذا التنظيم وغيره بأهل الذمّة، والمعاهدين، والمستأمنين الذين يزورون دولنا بإذن من سلطاتنا، وفي ذلك نكوث عن العهد بين المسلمين ودولتهم وبين الكفار الذين يعيشون بينهم أو يزورهم بعهد. وقد وردت النصوص الصحيحة بعصمة دمائهم، وتأكيد الوفاء بالعهد معهم، والوعيد الشديد لمن يتسبّب في أذاهم في أنفسهم أو أموالهم أو أعراضهم.

- الغالبية العظمى من الذين يحترقون -في أموالهم وأعراضهم وأنفسهم- بيران هذا التنظيم وأمثاله هم المسلمون أفراداً، أو مجتمعات، أو دولاً. و من أهمّ ضوابط الجهاد القتالي تمايز الصفوف بين معسكر المسلمين ومعسكر الكفار حتى لا يُقتل مسلم. ثم إنّ هؤلاء المسلمين المتضرّرين لا علاقة لهم بفسق الحاكم الذي يُسوّغون به خروجهم المسلّح، فكيف إذا كان من المجمع عليه أنّ فسق الحاكم لا يسوّغ عزله أو الخروج عليه؛ لأنّ فسقه قد لا يتعدّاه إلى الأمة كلها؛ ولأنّ المفاصد التي تترتّب على الخروج المسلّح أعظم، والأضرار أشدّ، وتأتي على الحرث والنسل. ومن مقاصد الشريعة دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما. كما "أنّ السكوت عن المتغلب وعدم الخروج عليه ليس إقراراً لظلمه، ولا دفاعاً عنه، ولا دَعماً له، هو فقط مراعاة لما يُحقّق مصالح الأمة، وهذه الإضاعة الساطعة تُبَدّد سحابة سوداء من الأوهام المتراكمة التي تُوهِم أنّ الفقهاء في

موقفهم هذا يدافعون عن الظالم، ويُشِرِّعون لظلمه، ويؤيدونه، ويقفون معه... إلخ" (117).

يَتَّبِعْنَ مِمَّا تَقَدَّمَ وغيره بُعدُ هذا التنظيم بعدًا شاسعًا عن الجهاد الشرعي، ويظهر للعيان شناعة الأخطاء والكبائر التي وقع- ولا يزال- يقع فيها هذا التنظيم في البلاد الإسلاميَّة وخارجها. قال د. أحمد الريسوني في صحيفة "التجديد" 2014/7/1م: "إنَّ إعلانَ الخلافة الإسلاميَّة ليس أكثرَ مِنْ وَهْمٍ، وسراب، وأضغاث أحلام، سواء مِنْ ناحية الواقع العملي أو مِنْ الناحية الشرعيَّة" و "إنَّ البيعة المزعومة تَمَّتْ مِنْ أشخاص مجاهيل لشخص مجهول في صحراء أو كهف من الكهوف؛ فلا تُلْزَمُ ولا تُعْنَى إِلَّا أصحابُها" (118). وأصدر الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الذي يرأسه الشيخ د.يوسف القرضاوي بيانًا في 2014/7/3م أعلن فيه "أنَّ إعلانَ فصيل معيَّن للخلافة باطل شرعًا، لا تترتَّب عليه أيُّ آثار شرعيَّة، بل تترتَّب عليه آثار خطيرة على أهل السنَّة في العراق والثورة في سوريا)). ووجد في الإعلان دلالةً على "الافتقار إلى فقه الواقع، وأشبهه بالانقضاض على ثورة الشعب التي يشارك فيها أهل السنَّة بكلِّ قواهم" (119). وغيرها من الهيئات والمراكز العلميَّة، والشخصيَّات الإسلاميَّة في مختلف أنحاء العالم.

¹⁰⁹ - انظر: فقه التعلُّب بين مدرستي الغلوِّ والتشويه، د.فهد العجلان، موقع "التقرير"

5- بُوكُو حرام:

(جماعة أهل السنَّة للدعوة والجهاد) بدأت في نيجيريا، واشتهرت بـ "حركة بوكو حرام" لكنَّ الاسم الحقيقي الذي يُطلِّفه أعضاؤها على أنفسهم، ولا يقبلون بديلا عنه، هو: "جماعة أهل السنَّة للدعوة والجهاد"، وإنَّما اشتهر إطلاق "حركة بوكو حرام" عليهم من قِبَل الإعلاميين. وهي مركَّبة من الكلمة الهوساويَّة "بوكو" التي تستعمل لـ "نظام التعليم الغربي"، ومن الكلمة العربيَّة "حرام": فتؤتي الكلمتان بالترجمة الحرفية معنى: "نظام التعليم الغربي حرام". ومن خلال المحتوى الدلالي والسياقي تؤتيان دلالة "اتباع النظام التربوي على السياق الغربي حرام"؛ فهذا هو الذي يعبر عن الفكرة التي يُردِّدونها في المجتمع وبين طلبة المعاهد والجامعات والمريِّين. وهي النصح بعدم اتِّباع المنهج الغربي في التربية والتعليم. وقد حدَّد زعيم الحركة محمد يوسف - في إحدى محاضراته- المقصود بهذا المصطلح بأنَّهم يعنون به نظام الدراسة في المدارس التي أسسها المنصِّرون، وكذلك مناهجهم في كل المراحل الدراسيَّة، والخدمة الوطنيَّة.

ومَهْمَا يَكُن مِنْ أمرٍ فقد اشتهر المصطلح الأخير "حركة بوكو حرام" بشكل كبير بعد الاشتباكات التي وقعت في شعبان 1430هـ/يوليو/أغسطس 2009م بين الشرطة وأتباع محمد يوسف في ولايتي بورنو ويوبي.

أمَّا التأسُّس الفعلي للحركة فيعود إلى ما بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م، وبخاصَّة عام 2002م؛ إذ شهد شهر يناير من هذا العام بداية أعمالها التفجيريَّة، والاختطاف، والقتل، وردَّات فعل الجيش النيجيري.

من أهمِّ مبادئها:

- الحاكميَّةُ لله تعالى وحده، وتحريمُ الديمقراطية، وتكفيرُ الرؤساء

المنتخبين بالديمقراطيَّة.

- تحريم التعلّم في المدارس النظامية في جميع المراحل؛ لأنّ المنصّرين هم الذين أنشأوها؛ ولانتشار الاختلاط والتبرج فيها، ودراسة موادّ وأفكارٍ مضادّة للدين الإسلامي.

- المواجهة لإزالة الحكومات الظالمة وتطبيق الشريعة بقوة السلاح.

- إنكارُ ورفض العمل في الوظائف والإدارات الحكومية وبخاصّة الحكومات الديمقراطية⁽¹²⁰⁾. ومن عام 2012م إلى اليوم دخلت الحركة نتيجةً لأفكارهم المنحرفة في أعمال إرهابية إجرامية كثيرة، وأعمال خطف وتفجيرات متعدّدة، وزهق الأرواح، وانتهاك الأعراض، وتهجير المواطنين بالآلاف، وتدمير الممتلكات العامّة والخاصّة، لم تسلم منهم المساجد والمدارس والأسواق، وتعطيل المصالح العامّة، وزعزعة وحدة الدولة، وازدياد انتشار الفساد بأضرّبه في الحياة العسكريّة، والاجتماعية، والسياسيّة، والأخلاقيّة، والاقتصاديّة؛ بدعوى محاربة الجماعة. إضافة إلى توطيد علاقتها بتنظيم "داعش" وتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي. يتولّى قيادتها أبو بكر شيكاوا. وازدادت أعمالها عنفا، واتّسع مداها وضراوتها بين عام 2014-2020م لتشمل بشكل مباشر الكامبيرون، وتشاد، والنيجر، إضافة إلى نيجيريا. فقتلت فيها الآلاف من المدنيين، ومئات الجنود. واختطفت العشرات ومنهم البنات في المدارس، وأهلكت قرى كثيرة، ومساجد وكنائس وأسواقا، تدميرا أو حرقا. وكان أكبر انتكاسة تعرّضت لها ما وقع في أوائل أفريل 2020م على يد الجيش التشادي بعد أن كانت قد قتلت منه ما لا يقلّ عن مئة جندي في أواخر مارس من العام نفسه. وقد أعلنت تشاد تطهيرها من هذه الجماعة.

¹²⁰ - انظر: مجلة قراءات إفريقية العدد 12 ربيع الآخر- جمادى الآخرة 1433هـ أبريل - يونيو 2012م، بحث: جماعة بوكو حرام، نشأتها ومبادئها وأعمالها في نيجيريا، د.أحمد مرتضى/13-14، 20-21.

إنّ الذين تأخذهم الحماسة الدينيّة غير المنضبطة من الحركات التي تسمّي نفسها جهاديّة والمنتشرة في أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي، هي نماذج من الفرق المنحرفة في العصر الحاضر، وبخاصّة تنظيم الدولة الإسلاميّة في العراق والشام (داعش)، والقاعدة وأعوانها، وبوكو حرام، وغيرها ممّا يأتي، يرتكبون أعظم الكبائر وهم يحسبون أنفسهم مجاهدين. والأعمال التي يقومون بها منافية لحقيقة الإسلام، وللواقع، وللتاريخ الإسلامي بعد الخلافة الرّاشدة حيث تجد " أنّ الحُكّام كانوا يقعون في مظالم، ويتوسّعون في نهب الأموال، ويصدر من كثير منهم موبقات وكبائر وانحرافات، إنما تجد في نفس الوقت أنّ العدل كان قائماً، والجهاد مستمراً، والشعائر ظاهرة، والحقوق مكفولة، ولل قضاء الشرعي العادل في زمانهم هيبة وسطوة وقوة"⁽¹²¹⁾. وهي منافية -أيضا- لمقاصد شرعيّة مهمّة، مثل: درء المفسد أو تقليلها مقدّم على جلب المصالح أو تكميلها، والمسلم الكيس من أخذ بخير الخيرين وتفادى شرّ الشرّين، والضّرر لا يُزال بضرر أشدّ منه، وغيرها.

كمّ انتشر في هذا الزمان الاستهانة بحرمة الدماء المعلومة من الدين بالضرورة، وحرص عليها حرصا شديدا القرآن والسنة والإجماع والفترة الإنسانيّة السويّة. فنظّم قتل الآلاف، وتجرح الآلاف، وتعتقل الآلاف، ونُسكت المعارضين، باسم الإرهاب ومحاربتهم، وإنّما قالو "لا" للذي يفرضه النظام، أو اعدلوا واتّقوا الله. وجماعات تسمّي نفسها إسلاميّة تقتل الآلاف، وتشرّد، وتتهب أو تُخرّب الممتلكات العامّة والخاصّة، وتزعزع أمن البلاد والعباد والحكومات والمتجمعات والأُسَر. وجماعات تفعل كلّ تلك الأمور أو أشدّ باسم الانفصال واختصاص قبيلتها أو شعبها -فحسب- ببعض البقاع أو بأكثريتها فيها؛ فالسعي لاستقلالها، وإن كان

112- فقه التغلّب (مرجع سابق)

الحقّ منهم ومنهما براء. فحار الباحثون والمحلّلون المحقّقون المدقّقون في "أين صُنِعوا؟ ومن الذين قدّمهم هديّة لنا؟ وكيف فهموا أنّ قتل النفس يفتح باب الجنّة؟ (...)" ومن أيّ كتاب وأيّ سنّة استباحوا الدماء؟"⁽¹²²⁾.

وأخرون اتّخذوا الدين بقرةً حلوباً للاستزراق واكتساب متاع الدنيا، تجارّتهم رابحة في أوساط الجهلة والعامة، وأنصاف العلماء والعقلاء، والعملاء.

وقد تبين لك الكثير من انحراف وتحريف وتزييف الجميع؛ لشيء في نفس يعقوب غير ما يُبديه، ويردّ عليهم سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسامة - وقد قتل رجلاً بعد أن نطق بكلمة الشهادة برغم أنّه أوجع القتل في المسلمين الأخير- قال له: "كيف تصنع بـ"لا إله إلاّ الله" إذا جاءتك يوم القيامة"؟ كرّرها ثلاثاً، رواه مسلم⁽¹²³⁾. حسبنا الله ونعم الوكيل.

لقد شاركك كلُّ هذه الحركات والجماعات المسلّحة، الانفصاليّة وغيرها، ومنها التي يأتي الحديث عنها في مالي، شاركت جميعاً - بقصد أو بغير قصد، عن قرب أو بعد- في تنفيذ مشروع برنارد لويس BERNARD LOUIS، لتفتيت العالم الإسلامي إلى دويلات، وهو مستشرق بريطاني الأصل، يهودي الديانة، صهيوني الانتماء، أمريكي الجنسية، وُلد في لندن 1916م. أحد أبرز منظري "صراع الحضارات" منذ عام 1990م. مُستشارٌ للرئيس الأمريكي بوش الأب والابن ولوزير الدفاع، ومُخطّط مشروع "تفتيت العالم الإسلامي من باكستان إلى المغرب" الذي بدأ العمل عليه في عام 1990م. كرّمته الإدارة الأمريكيّة في 2006/5/1م في حفل مهيب بمجلس الشؤون العالميّة في فيلادلفيا. من نظريّاته في مقابلة مع

¹²² - شرح أحاديث من صحيح مسلم، دراسة في سمت الكلام الأوّل، د. محمد أبو موسى 1/ 159-160 وما بعدها، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1 عام 1436هـ 2015م

¹²³ - انظر تحليلاً مفصّلاً لروايات الحادثة في شرح أحاديث من صحيح مسلم 1/ 167-184

وكالات الإعلام بتاريخ 2005/5/20م: "العرب المسلمون قوم فاسدون ومفسدون، فوضيؤون، لا يمكن تحضّرهم"، وإذا تُركوا يفاجئون العالم المتحضّر بالدمار؛ "ولذلك فإنّ الحلّ السليم للتعامل معهم هو إعادة احتلالهم واستعمارهم، وتدمير ثقافتهم الدينيّة وتطبيقاتها الاجتماعيّة، وفي حال قيام أمريكا بهذا الدور فإنّ عليها أن تستفيد من التجربة البريطانيّة والفرنسيّة في استعمار المنطقة لتجنّب الأخطاء والمواقف السيئة التي اقترفتها الدولتان". "إنّه من الضروري إعادة تقسيم الأقطار العربيّة والإسلاميّة إلى وحدات عشائريّة، وطائفيّة، ولا داعي لمراعاة خواطهم أو التآثر بانفعالاتهم وردود الأفعال عندهم". "ولذلك يجب تضيق الخناق على هذه الشعوب ومحاصرتها، واستثمار التناقضات العرقيّة، والعصبيّات القبليّة والطائفيّة فيها"⁽¹²⁴⁾.

¹²⁴ - مقال: مخطط تفتيت العالم العربي والإسلامي، فتحي شهاب الدين، وتفصيل السيرة الذاتية ومشروعه في الموسوعة الحرّة ويكيبيديا.

المبحث الرابع: الانحراف الفكري في مالي

المطلب الأول: واقع الانحراف الفكري في مالي

المطلب الثاني: نماذج من الانحراف الفكري في مالي

المطلب الثالث: جهود العلماء والدعاة في مواجهته في مالي

المطلب الرابع: تجارب من جهود المؤلف في مواجهته

المطلب الأول:

واقع الانحراف الفكري في مالي

يُنطبق على واقع جمهوريّة مالي كلّ ما تقدّم تفصيل الحديث فيه حول الانحراف الفكري من مظاهر، وأسباب، وعوامل انتشار، ونماذج، وآثار، وعلاج. لكنّ الحديث عن واقع الانحراف الفكري في مالي يستوجب تقسيم هذا الواقع إلى طورين: الأوّل ما قبل أحداث عام 2012م، والآخر ما بعدها إلى يومنا هذا.

ففي الطور الأوّل نجد منذ الخمسينيّات من القرن العشرين الميلادي بوادر وجود الانحراف الفكري في مجتمع مالي؛ وتتمثّل في حوادث عظيمة مؤسفة جدًّا أصابت أهل السنّة ومساجدهم ومدارسهم من غلاة الصوفيّة بإيعاز وتأييد من رجال الاستعمار الفرنسي، لا سيّما في بماكو عام 1957م. وقد عدّ كثير من الباحثين ما بين عامي 1956-1975م أصعب الأوقات التي مرّت بها النهضة السنيّة الحديثة والمعاصرة في كثير من دول غرب أفريقيا -على تفاوت- كمالي، وساحل العاج، وبوركينا فاسو، وغينيا كوناكري، والنيجر، وغانا، ونيجيريا، والسنغال، وغيرها⁽¹²⁵⁾. وصلت في بماكو عام 1957م إلى إحراق بعض مساجدهم وممتلكاتهم، وإغلاق بعض مدارسهم. ولم يتمكّنوا إلاّ عام 1968م من إقامة أوّل مسجد جامع لهم في حيّ كينزن بوغو في بماكو. ولم يكن كثير من الأقاليم الأخرى أحسن حالا من بماكو.

وظهر خطابٌ دينيٌّ متشديدٌ يتساهلُ كثيرا في تكفير المسلم بالذنوب حتى بعض التي ليست من الكبائر.

¹²⁵ - انظر: مدخل إلى دراسة مذهب أهل السنّة والجماعة بغرب أفريقيا/57

وفي منتصف السبعينيّات من القرن العشرين الميلادي ظهر في مالي، وبخاصّة شرقه، حركة الخوارج التي أطلقت على نفسها الجمعيّة الإسلاميّة: (جمعيّة أنصار السنّة)، اعتنقت أفكارا، ومارست أعمالا، جعلت مخالفهم يطلقون عليهم "الخوارج" سيأتي التفصيل.

ومن ثمانينيّات القرن الماضي شهد البلدُ نشاطا مكثّفا لجماعة التبليغ التي من أسسها تحريم الالتحاق بالوظائف الحكوميّة، بل مطالبة من فيها بتركها، والتشديد على النفس في تجنّب أمور الحياة المباحة. جلب هذا الفكر المنحرف فقرا مُدقعا على بعض كبار الموظّفين وعوائلهم في الداخل والخارج الذين انقادوا للجماعة فتركوا وظائفهم؛ ليبتعدوا عن الحرام -بزعمهم- وكذلك مبالغة الجماعة وتشدّدتها في خروجات هذه الجماعة وضرورة المشاركة فيها، الأسبوعيّة منها والشهريّة والسنويّة. إضافة إلى الإضرار العامّ بالمسلمين حين يتركون مناصب النفوذ والإدارات لغيرهم. ولا تزال الجماعة نشطة وقد شهدت تغييراتٍ طالت كثيرا ممّا سبق ذكره وغيره.

استمرّ في هذه المدّة أيضا- خطابٌ دينيٌّ متشديدٌ يتساهل كثيرا في تكفير المسلم.

وظهرت في نهائيّات الثمانينيّات من القرن الميلادي الماضي بمالي جماعةٌ تنتسب إلى الإسلام سمّت نفسها أو سُمّيت بـ "دين الحفاة sen lankolo diné" تأسّس على يد شيخ إبراهيم خليل كوناتي تمكّنت من استقطاب بعض الأتباع في أماكن مختلفة في سنوات 1990م وما بعدها. داخل مالي وفي الدول المجاورة ساحل العاج، وبوركينا فاسو، وغينيا. تقوم فكرة الجماعة على رفض كل ما هو حدائي (جديد أو معاصر) وإنتاج غربي، من ملابس، ومساكن، ومأكّل، ومراكب... إلخ.

ومن هنا جاء أصل تسميتها بدين الحفاة لرفضها أن ينتعل أفرادها النعال؛ تشدداً في الابتعاد عن منتجات الحضارة الغربية، وصل بهم الأمر إلى رفض أن تطأ أقدامهم الشوارع المعبدة، أو أن يصلوا في المساجد بحجة أنها مبنية بمواد غريبة؛ فاختارت العيش في القرى والمخيمات والأرياف، أو في الأحياء النائية عن داخل المدن، والهدف من ذلك كله - حسب زعمهم - هو تشكيل مجتمع مسلم مثالي.

اضطرت الحكومة إلى مواجهتها لأسباب منها: أن هذه الجماعة لا تعترف بشرعية الدولة ومؤسساتها. وترفض دفع الضرائب إلى الدولة. كما ترفض مشاركة أطفالهم في حملات التطعيم التي تُنظّمها الدولة ضدّ بعض الأمراض. وقد بدأت المواجهة معهم في عام 1998م بعد أن قتل أتباعها أحد القضاة في مدينة جويلا Dioila شرقتة، فاعتقلت الحكومة رئيسها ومؤسسها وكثيراً من أتباعه؛ فتوقف زحفها في مالي وفي الدول المجاورة، ولا يزال لها بقية في إقليم سيكاسو.

وفي مقابلهم خطاب علمانيّ مُتشدّد في الهجوم على الإسلام وتعاليمه وازدادت أوارها بما يجري في الدول الغربية منذ أحداث 11 سبتمبر 2001م.

ومن واقع الانحراف الفكري في البلد قبل أحداث عام 2012م بحوالي عشر سنوات أن الحركات الجهادية كانت قد ثبتت أقدامها في صحراء مالي، وهي تقوم بالشحن بالأفكار المتطرفة، والمعتقدات المنحرفة، والاستقطاب والتدريب، وبتهريب البضائع والمخدرات، واختطاف الأجانب، وتجمع الأسلحة في مخازن. سيأتي التفصيل.

أضف إلى ذلك ازدياد عدد الشباب المقتنع بأفكارهم المنحرفة وبخاصة القاعدة، و مخالفة منهج أهل السنة والجماعة في التلقي والاستدلال، وضرورة تطبيق الشريعة بقوة السلاح، وإقامة إمارة إسلامية. مع ضعف تحصيل العلم

الشرعي لديهم ولدى كثير من المتصدين للفتاوي، وسيطرة أنواع الجهل السابقة عليهم.

أما الطور الثاني للانحراف الفكري في واقع مالي فيبدأ بسيطرة الحركات المتطرفة المسلحة عام 2012م على مدن شمال مالي بالتعاون مع الحركة الانفصالية وداعميها؛ بحجة تطبيق الشريعة وإقامة إمارة إسلامية؛ فشهد البلد واقعا جديدا مريرا نتيجة الانحراف الفكري الخطير عند الانفصاليين والجهاديين على حدٍ سواء. ذلك الانحراف الذي ترك-ولا يزال- آثارا سلبية كثيرة وسيئة جسيمة على البلاد والعباد، في مختلف جوانب الحياة، يمكن أن نُظهر بعضا من واقعه فيما يأتي:

(1) تكفير المجتمع الإسلامي في مالي، والدعوة إلى اعتزاله، ورمي الحكومة بالتبعية المطلقة للغرب الذي يجب تحرير البلاد منهم ومن الموالين لهم، والعمل - ماديا ومعنويا - على التحاق الشباب بالحركات المسلحة.

(2) استباحة دماء المسلمين وحمل السلاح لتطبيق الشريعة وإقامة إمارة إسلامية، مهما يكن ما يترتب عليه من الأضرار؛ فالغاية تُسوِّغ الوسيلة، كالقتل والتدمير، واختطاف الأجانب لطلب الفداء، والتجارة في الممنوعات أو تهريبها من أجل كسب الموارد المالية لتمويل نفسها وأعمالها، وشراء الدمم والنفوس الضعيفة والفقيرة في مختلف الأجهزة وشرائح المجتمع.

(3) الجهل بالعلم الشرعي وبمقاصد الشريعة، وبشروط الجهاد الشرعي وضوابطه، وبفقه الواقع وفقه الأولويات، مع عجز شديد عن الموازنة بين المكاسب والخسائر.

(4) كان من الآثار الدينية والاجتماعية لما قامت به الحركات المسلحة في شمال

مالي:

- انتشارُ الاقتناع بأفكار حركات العنف المسلَّحة وبخاصَّة ما يتعلَّق بتطبيق الشريعة، وإقامة دولة إسلامية، ومحاربة الوجود الغربي في البلاد بقوة السلاح؛ إذ من شأن تحقُّق هذه الأمور القضاء على الفساد المُستشري بمختلف أجنحته في المجتمع.

- عودةُ الحرب على المدارس القرآنية لا سيَّما بعد عرض التلفزيون الوطني في 2013/1/25م وفي 2013/1/27م نماذج من تلاميذ هذه المدارس الذين استقطبتهم الحركاتُ الجهادية، والزعم بأنَّ مُعلِّمهم يبيعونهم بثمان زهيد للحركات المسلَّحة⁽¹²⁶⁾.

- تأليبُ غلاة المتصوِّفة للحكومات على أهل السنة، واقتراحُ أنفسهم بديلا إسلاميا مسالما، متسامحا أو متساهلا، ملتزما بإسلام الآباء، بعيدا عن الإسلام المستورد من خارج بلادنا الذي ينزع إلى العنف والقتل والتدمير.

- إتاحةُ الفرصة للحركات التنصيرية لنشر مدارسها وجامعاتها ومؤسساتها، وأن تجول وتصل في الأحياء و في مخيمَّات المواطنين المُشردين الفقراء لعرض معتقداتها باسم تقديم الخدمات الإنسانية.

- انتشار الانحلال الخلقي في المدن والأماكن التي تتواجد فيها القوَّات الأُممية.

5) ومن واقع الانحراف الفكري في مالي بعد أحداث 2012م: سوءُ استغلال بعض الأحداث كالتفجيرات للتطرُّف في محاربة الدين جَهارة نهارًا، وللهجوم على

¹²⁶ - انظر: قراءات إفريقية، العدد 16، ربيع الآخر- جمادى الآخرة 1434هـ أبريل - يونيو 2013م / 54، بحث:

الأثار الدينية والاجتماعية للأزمة في مالي، د.عبد الرحمن عبد الله سيبي.

الشعائر الإسلامية والمطالبة بمنعها رسميًا، من ذلك: الدعوة إلى منع الحجاب الشرعي بحجة أنَّ جماعة بوكو حرام تستعمل فتياتٍ متحجَّباتٍ للقيام بالتفجيرات. والأغرب أنَّ بعض رؤساء المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا تبنَّوا الفكرة وحاولوا إقناع الآخرين بها في اجتماعهم بأبوجا في شهر يناير 2016م. فقد أعطى هذا الموقف شجاعةً معنويةً للتغريبيين والعلمانيين والعملاء. ولا شكَّ في أنَّ المجرمين يستعملون السكِّين في القتل والجرح فهل يُمكن منع تداول السكِّين بحجة منع أولئك من استعماله في الجرائم؟؟

ومن سوء استغلال تلك الأحداث للإساءة إلى الإسلام: الهجومُ على اللحية والملتحنين بحجة أنَّ الجهاديين والتفجيريين مُلتحون، والواقع يكذبهم؛ إذ مُعظمُ من قاموا بالتفجيرات في مالي وبوركينا فاسو وساحل العاج وغيرها شباب غير مُلتح، بل يتقمَّصون -أحيانا- حال الشباب المائع؛ لئلا يُلفتوا الأنظار إليهم.

ومنه: محاربةُ التعليم الإسلامي العربي السنيِّ ومؤسساته في الداخل والخارج باقتراح بدائل عنه، كإنشاء جامعة وطنية للدراسات الإسلامية تتولَّى تعليم أبناء مالي الإسلام التقليدي الموروث عن الآباء؛ وذلك للحيلولة دون هجرتهم إلى المشرق، حيث يدرسون المناهج السلفية المتطرِّفة ثمَّ يعودون بدين جديد. والحقُّ أنَّ وراء الأكمة ما وراءها؛ ذلك أنَّ المؤسسات الأهلية للتعليم العالي الإسلامي العربي إنَّما يُسيطر عليها في مالي أهل السنة ومناهجهم مع الانفتاح التام لكلِّ من يريد اكتساب العلم، كجامعة الساحل، وجامعة طوبى، ثمَّ جامعة الملك خالد بن عبد العزيز. وأقسامُ اللغة العربية الحكومية لا تكاد تجد فيها موادَّ دينية وبرغم ذلك يظهر بين خريجيها -أحيانا- مُنحرفون فكريًا، أكثرهم صوفيَّة، وشيعة، ثمَّ سنة.... إلخ.

المطلب الثاني:

نماذج من الانحراف الفكري في مالي

تتضح النماذج بذكر جماعات في مجتمع مالي تُوجد لديهم انحرافات فكرية وما يترتب عليها قولاً، وعملاً، وسلوكاً، ونشرًا لها.

الأول: غلاة ينتسبون إلى السنة (الخوارج)، كطائفة أطلقت على نفسها الجمعية الإسلامية: (جمعية أنصار السنة) غالبيتها من سنغاي بطوائفهم. وقد ظهرت منتصف السبعينيات من القرن الميلادي الماضي في شرق مالي وبالتحديد في مدينة غاو. تكفر من لا ينتهي إليها، ولا تزوجهم، ولا تأكل ذبائحهم، ولا تصلي خلفهم أو في مساجدهم؛ إذ تعدّهم مشركين أو مرتدين، تستبيح أعراضهم وأموالهم ونفوسهم، فأقامت الحدود - حسب زعمها - على أتباعها، وبخاصة حدّ الردّة-الخروج منها- ففرقت بها بين الرجل وأهله، كما أوجبت الهجرة إلى مراكزها في تجمّعات خاصة، وبيوتات منتشرة في بعض دول الجوار: غانا، والنيجر، الهدف منها جميعاً الانفصال عن المجتمع، والإبقاء على الصلة القوية بأمرها، أو من ينوب عنه، والطاعة المطلقة له. اتخذت من إحدى القرى غربي مدينة غاو مقرّها الرئيس، سمّته بدار السلام. وكوّنت شبه قوّة مسلّحة بالأسلحة البيضاء (العصي، والسيوف، والسكاكين، ونحوها).

فأنت ترى أنه يغلب عليها فكر الخوارج، وتكفير المجتمع واعتزاله، والتدمير والتخريب، مع قلة بضاعة زعمائهم العلمية؛ فأحدثت الفتنة الدينية، والانشقاق الاجتماعي، والخلل الأمني والثقافي، وعدم الاستقرار الاجتماعي والديني، في شرق مالي. وكان لذلك كلّ آثاره السيئة دينياً، واجتماعياً، وعلمياً، وسياسياً... إلخ. وهي مع ما سبق كلّ تعدّد نفسها الطائفة السيئة الخالصة. ووجدت تشجيعاً مادياً ومعنوياً من بعض الوفود الإسلامية التي زارتهم في الثمانينيات؛ طمعا في إمكان

وصّل الأمر بوزير الشؤون الدينية والعبادة بمالي تشيرنو هاس جالو في يناير عام 2020م إلى محاولة تقديم مشروع قانون 2020 إلى الجمعية الوطنية يحتوي على بنود كثيرة تُضيق الخناق على الجمعيات الإسلامية، تأسيساً، وتسييراً، وتمويلًا. وتقييد تنظيم المواعظ والمحاضرات بالإذن من البلدية، ومنع الجلوس للجمعة والصلاة خارج أسوار المسجد في الساحات والشوارع القريبة منه... إلخ.

التوصُّل بذلك إلى إصلاحها؛ بحملها على نبذ معتقداتها المنحرفة المخالفة لأهل السنة. أطلق عليهم مخالفيهم - من أهل السنة وغيرهم - الخوارج؛ لكون معتقداتهم وأعمالهم التي سبق بعضها موافقة في الجملة لعقائد الخوارج.

كادتْ تذبُّ ؛ لخروج كثير منها، والتصحيحات التي شهدتها نتيجة تعلم بعض أبنائها (سابقا) في الجامعات الإسلامية، وازدياد الوعي الإسلامي الصحيح في المنطقة، والمواجهة العلمية والفكرية لهم على المستوى الداخلي والخارجي، ومُحاورة مشهودة لأمرها أمام لجنة علمية من كبار العلماء برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله - رئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المفتي السابق للمملكة العربية السعودية، الذي كان يبعث الوفود العلمية والدعوية إلى غرب أفريقيا للإرشاد والفتوى، وإصلاح ذات البين؛ وذلك أواخر عام 1412هـ وأوائل 1413هـ⁽¹²⁷⁾. لكن لا يزال منها بقايا منتشرة في شرق مالي وفي غانا.

ولمَّا سيطرتْ الحركات الجهادية المنحرفة على شمال مالي عام 2012م كان أعضاؤها هي وبعض من جماعة التبليغ أوائل من انضموا إليها؛ إذ رأوا فيهم تحقيقا لأحلامهم ومساعدتهم منذ عشرات السنين. ولمَّا حُزِرَ الشمال من أيديهم تعرَّض مركزهم دار السلام للتفتيش والاعتقال العشوائي من الجيش المالي والفرنسي.

الثاني: غلاة الصوفية، منها: طوائف من القادرية والتيجانية والحملية، ومنها: حركة أنصار الدين الدولية بزعامة عثمان مدني حيدرا. وقد أضافت إلى اسمها كلمة "الدولية" لتمييز نفسها عن حركة أنصار الدين الطارقية الجهادية

¹²⁷ - انظر التفاصيل عنها في بحثنا: المراسلات العلمية وأثرها التعليمي والدعوي بغرب أفريقيا، رسالة ابن باز نموذجاً، مجلة قراءات أفريقية، عدد 3، ذو الحجة 1429هـ، ديسمبر 2008م/8-15، وفي كتابنا مدخل إلى دراسة مذهب أهل السنة والجماعة بغرب أفريقيا.

التي ظهرت في شمال مالي مع أحداث عام 2012م بقيادة إيد أغ آلي. وفي هذا الكتاب يُقصد بـ"أنصار الدين الحيدرية" الأولى، وبـ"أنصار الدين الإيادية" الأخيرة؛ نسبةً إلى زعيميهما.

لكثير من غلاة هذه الحركات نشاطات ثقافية، واجتماعية، وإعلامية، واسعة؛ لاستقطاب الشباب والعامّة، ونشر أفكارها ومعتقداتها. وتجد تعاطفاً وتأييداً كبيرين؛ نتيجة ما يسود كثيرا منها من البدع والخرافات، وإدعاء معرفة الغيب، وجلب نفع أو دفع ضرر، وتقديس الأولياء، وإقامة الزيارات الموسمية لضرائحهم، وأحيانا مسابرة تيار الهجوم على المذهب السني في وسائل الإعلام الحكومية والأهلية، الداخلية والخارجية، وغيرها.

لم تأل جماعة أنصار الدين الحيدرية والحركات الصوفية الأخرى وأتباعها جهداً منذ أحداث عام 2012م في إبراز نفسها في صورة من يُمثلون الإسلام الحقيقي (إسلام التسامح Islam de la tolerance) وهو -عندهم- ما كان عليه الآباء من إسلام مبناه التيسير. ثمَّ الهجوم على السنة والسلفية، ورميها بأنّها دين جديد مُستورد من الشرق، يعتمد التشدد والتكفير، والعنف، ويُخالف الإسلام الذي كان معروفاً في المنطقة. وقد بذلت جهوداً كبيرة لتفريق صفوف المسلمين و الجمعيات الإسلامية الحكومية التي ليست تحت قيادتها... الخ. إضافة إلى المحاولات الكثيرة لتلك الحركات الصوفية في تأليب الإدارات الحكومية على السنة وعلى القيادات السنية البارزة، وعلى مساجدهم التي رأت فيها - مثل التغريبيين والعلمانيين العملاء - مخازن للأسلحة؛ فقامت السلطات الأمنية بحملات تفتيشية واسعة شملت أحد عشر مسجداً لأهل السنة، منها مسجد الإمام محمود ديكو الرئيس السابق للمجلس الأعلى الإسلامي، لتقوم بعد ذلك بتبرئة المساجد وأهلها، ويُعلن أحد قيادات الشرطة في عملية التفتيش أنّهم لم

يجدوا فيها إلاّ مصاحف ومَن يقرأ فيها. إضافة إلى عودة ظهور مصطلح " الوهابي " إلى الساحة بعد أن كاد يختفي فيها باستعمال الجميع لمصطلح " أهل السنة " (128).
 وإذ قَوِيَ انتشارُ شَرِّ جماعةِ أنصار الدين الدوليَّة، وعَمَّتْ مَصَائِبُهَا وبَلَايَاها المجتمعَ الإسلامي في مالي وبخاصَّة أهل السنة، والمجتمعات الإسلاميَّة في الدول المجاورة لمالي، لا سيَّما الناطقة بالbamبرية في ساحل العاج، وبوركينا فاسو، وغينيا (129)؛ بزعامة عثمان مدني حيدرا، المولود في 12/5/1955م بِـ تَماني، دائرة بارويلي، منطقة سيغو. وانتشر لها أتباعٌ في دول مختلفة بأفريقيا وغيرها، ويخطُبُ وُدَّ زعيمها كثيرٌ من قيادات الصوفيَّة في مالي وتَنضوي تحته؛ وإذ لا تقلَّ أضرارُها وإضرارُها بالإسلام والمسلمين عن غيرها، ونالت شهرةً بسبب مخالفات زعيمها للكتاب، ولصحيح السنَّة، والإجماع، وأقوال السلف الصالح والخلف من العلماء الراسخين، بل والهجوم عليها أحيانا؛ وبكثرة الغوغائيين والوُصُوليين حول زعيمها الذي ازداد طغيانا، ومكابرة، وتلوثًا، منذ تولَّيه رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى في مالي عام 2019م.

لِكُلِّ ما تقدَّم نُركِّز في هذه العُجالة على نشأتها، وأهمَّ معقداتها ومبادئها، وعوامل الانحراف وأسبابه عند علمائها ودُعائها، مع الإشارة إلى التصدي لها.
 لقد كفانا الباحث والأستاذ إبراهيم جاكيتي الكثير؛ بالجهد العلمي الموثوق، القيم والرصين، والنقد الموضوعي، للفرقة وما يتعلَّق بها وبزعيمها وأتباعه. وذلك

128 - انظر: قراءات إفريقية، العدد 16، ربيع الآخر- جمادى الآخرة 1434هـ، أبريل - يونيو 2013م / 53، بحث: الآثار الدينية والاجتماعية للأزمة في مالي، د.عبد الرحمن عبد الله سيبي.

129 - مُنَع - بقرار رسميّ وبتوعية من الجمعيات السنيَّة وغيرها في البلدين لحكومتها- مُنَع زعيمها من إقامة احتفالاته بالمولد النبويّ في ساحل العاج وبوركينا فاسو في 2019م، بتوعية من الجمعيات السنيَّة وغيرها في البلدين لحكومتها.

في كتابه القيم "الرَّدُ المُدْمِم" (130). مستفيدا من علماء ودعاة كثيرين قبله في الردّ بالتأليف، والأشرطة، وغيرهما، على زعيمهم ومتعقدات فرقته، تأتي -إن شاء الله- الإشارة إلى بعضهم، كما استفاد فيه من خبراته لمعايشته نشاطات الجماعة المختلفة التي تملأ السمع والبصر، ومن ملحوظاته القيمة، وتعليقاته العلميَّة، التي تُبرز شخصيَّته. فكان أبرزَ مصادر ومراجع كتابه والتوثيق العلمي فيه:

1) صوتيات زعيمها عثمان مدان حيدرا، القديمة والحديثة، وأقواله المسجَّلة على شرائط باللغة البامبرية، لدى الكاتب الكثير، جدًّا منها، ولا يزال بعضها منتشرًا حتى على مواقع التواصل الاجتماعي. والاعتراف سيِّد الأدلَّة، ومن فيك تُدان. وبخاصَّة أنَّه لم يرجع عنها.

2) شواهدُ حيَّة ودقيقة ممَّن انسحبوا من الجماعة لما تبَيَّن لهم الحقُّ ك"عبد الكريم فومبا" المعروف بِـ "لاجي بابلو"، الذي كان يسكن في مدينة بواكي بساحل العاج ثمَّ استقرَّ في باماكو منذ عام 1999م. هذا الرجل الذي يعدُّه كثير من الباحثين المؤسِّس الحقيقي للجماعة ومُؤمِّلها الرئيس قبل أن يرجع إلى الحقِّ لأسباب منها: تبَيُّن حقيقة معتقدات الجماعة وزعيمها واتِّجاهها، وتحويل الزعيم لها إلى ملكيَّة خاصَّة، بل حتى الذين بايعوه إنَّما هم ملكٌ له خاصٌّ (131).

3) الأدلَّة النقلية، والعقليَّة، والواقعيَّة، الصحيحة التي جمعها من المصادر والمراجع، ومن صوتيات وكُتُب المدافعين عنها والرَّادِّين على زعيم الجماعة.

130 - عنوانه الكامل: الردُّ المُدْمِم على الفرقة المسماة ب(أنصار الدين) لعثمان مدان حيدرا، أبو بلال إبراهيم جكتي الفانوي، ط1 عام 1444م، بدون م.

131 - انظر: الردُّ المُدْمِم /24-25، 30

4) مقابلات شخصية، من أهمها مقابلته لـ "لاج بابلو" السابق ذكره، في بيته بـماكو، بتاريخ 25 جمادى الأولى 1439هـ، 11 فبراير 2018م. واللقاء ببعض المنسحبين في إذاعة صوت القرآن في بماكو. وقد احتوت المقابلة على معلومات دقيقة وقيمة وكاشفة، تناولت موضوعات مهمة عن الجماعة. ولا يُنبتك مثل خبير، وليس من رأى كمن سمع.

5) الظاهر المعروف لدى عامة الناس، والخفي المعروف لدى الخاصة، والمسكوت عنه من حياة الجماعة⁽¹³²⁾.

تأسست جماعة (أنصار الدين) في حدود عام 1991م، ومزّت إلى الآن بعدة تطورات في الغلو، والتطرف، والتشقق، والانسحاب منها -لأسباب مختلفة- بالعشرات من مختلف شرائح المجتمع⁽¹³³⁾.

من معتقداتها ومبادئها:

1. البيعة لزعيمها: يقصدون بها أنه يجب على كل شخص يريد أن يكون مسلماً- ابتداءً أو استمراراً - مبايعته الزعيم أو من سبق ذلك الشخص من أتباعه على ترك المنهيات الستة التي وردت في نهاية سورة الممتحنة [الآية 12] في بيعة الرضوان⁽¹³⁴⁾. والهدف الأساس من هذه البيعة أمران: أحدهما: طمأنته الزعيم بأنه لن يترك جماعته أبداً ولن يتحوّل عنها تحت أي ظرف. والآخر: استحكام سيطرته ونفوذه على أتباعه واستعدادهم التام لتفديته بالروح، والدم، والمال، والأهل... إلخ.

¹³² - انظر: المرجع السابق /5، 9، 21-22

¹³³ - انظر: المرجع نفسه/26-27

¹³⁴ - {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبَنَاتٍ يَفْتَرِيهِنَّ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ قَبَائِعِهِنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}{.

وَلِكَيْ تَصَحَّ البيعة يقوم الشخص بلعن نفسه والدعاء عليها بالهلاك والثبور في الدنيا والآخرة إن هو حان الزعيم. وعليه لا يكفي عند الجماعة النطق بكلمة الشهادة للدخول في الإسلام ولا للاستمرار الصحيح فيه، بل لا بد من هذه البيعة⁽¹³⁵⁾. وهذا مناقض لنصوص القرآن، وصحيح السنة، وإجماع الأمة قديماً وحديثاً على أن الدخول في الإسلام إنما هو بالنطق بكلمة الشهادة.

2. تكفير صاحب الكبيرة وخلوده في النار: وعندئذ يستبيحون دماء مخالفيهم وأموالهم.. إلخ، وبخاصة أهل السنة والجماعة، على منهج الخوارج. وشرائط زعيمهم بالمبرية التي يدعو فيها إلى قتل أهل السنة وهدر دمائهم، وإحراق مساجدهم، وبيوتهم، والسيطرة على ممتلكاتهم، وتأليب الحكومة عليهم، بالعشرات.

3. الإسلام عندها حسنُ الخلق لا الصلاة ولا غيرها: إن زعيم الجماعة ودعاتها لا يُدخّر جهداً في تكرار هذه الفكرة والدعوة إليها في كل مناسبة، ومهاجمة الصلاة والمصلين، وأن لا فائدة من كثرة المساجد في البلاد. والقرآن، وصحيح السنة، وإجماع الأمة، على أن الصلاة هي الحد الفاصل بين الإسلام والكفر.

4. إنكار نزول عيسى عليه السلام، ووصف ما ورد فيه من أحاديث بالإسرائيليات.

5. القول بخلق القرآن.

6. جواز رؤية الله في الدنيا. وكم زعم حيدراً أنه صعد إلى السماء وسلّم على

الله وخاطبه وجها لوجه.

¹³⁵ - انظر: الرد المدمم/24، 31-36، 53

7. اعتقاد أنّ الزعيم معصوم عن الخطأ في كلامه، ومواعظه، وتبليغه للدين. بل يكاد أبنائه الثلاثة في الأونة الأخيرة يكونون أشدّ منه شططا، وأوسع منه مدى في الخزعبلات والافتراءات واختلاق الأكاذيب ونشرها باسم الدين.

8. لا يولد الإنسان على الإسلام، أي ينكرون ما جاء في حديث الفطرة، وغيرها كثير⁽¹³⁶⁾. لَسْنَا بصدّد مناقشتها والردّ عليها في هذه العجالة، وإنّما بيان مدى انحراف هذه الجماعة عقدياً، قولاً وعملاً، وسلوكاً، وأسلوباً ووسائل، وما يترتّب على كلّ ذلك من تكفير المسلمين المخالفين لهم وإباحة دماءهم، وأموالهم، وتشويه مفاهيم الإسلام حتى بعض المعلوم منها بالضرورة، والطعن في العلماء المخلصين زورا وبهتانا، وإثارة الفتن في المجتمع الإسلامي، وتشتيت كلمة المسلمين، وتحريض الحكومات عليهم وعلى علماءهم، ومساندتها هي والمنظّمات الغربيّة والمحليّة المشبوهة في كلّ قراراتها التي يجد فيها بقيّة المسلمين حرباً على دينهم، أو تمّيبها وتلاعبا به، وإشاعةً للتناقضات عنه... إلخ.

من عوامل أو أسباب الانحراف عند الجماعة: الجهل بالعلوم الشرعيّة؛ فذو و الثقافة الإسلاميّة الواسعة منهم قليلون، والمُختصّون منهم أقلّ من أصابع اليد الواحدة. والتشددُ الأعْمى تجاه مخالفيهم. وغلبةُ الهوى، والسعيّ الحثيث وراء متاع الدنيا كالشهرة، والجاه، والمال... إلخ. والإكثارُ في كلامهم وخطابهم من استعمال كلمات حقّ يريدون بها الباطل. والتعالّمُ والتعالّي والغرور. والتحامُلُ على العلماء والدعاة المعارضين لمنهجهم وفكرهم المنحرف. والتقولُ على الله ورسوله. ونشرُ الأكاذيب على العلماء الأعلام وعنهم من مالي وخارجة⁽¹³⁷⁾. ومُسايرةُ التيّار

¹³⁶ - انظر: الردّ المدمدم /31-55، 60-73

¹³⁷ - انظر تفاصيلها في المرجع السابق /55-69

العَلَماني والليبرالي الهدّام الحكومي وغيره في محاولة تمّيب مفاهيم الإسلام وأحكامه، وزعزعة ثوابته.

وإليك نموذجين من ضلالات الزعيم الشديدة وأتباعه، ففي أحد فيديوهاتِه -وقد شاهدتهُ بنفسِي- يروي أحدُ الدجّالين أمامه بعضَ كرامات الزعيم فيقول: إنّ هناك بئراً بإحدى قُرى سيغو لا يقع فيها شيءٌ ثمّ يخرج، وقع الزعيم فيها فأرسل الله جبريل عليه السلام وقال له: أخرجْه من هذه البئر فلو مات انتهى الإسلام وقُضي عليه. والزعيمُ فرِح، مُنبسِط، ضَحوك، ينظر في وجوه القوم!!!!!! هل انتهى الإسلام بموت الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام وأوليائه الأتقياء؟.

والآخر: في كلّ احتفالاته بالمولد النبوي التي تُقام في أكبر ملعب رياضي في بماكو (26 مارس) تُنشر براميل في أجزاء الملعب ممتلئة بالماء، وآخر أمام الزعيم الذي يُحرّك شفّتيه ثمّ يَنفُث فيه فتَنزِلُ البركة في البراميل الأخرى بل و في قارورات المياه -أيضاً- التي يحملها أغلبُ الحضور في الملعب وخارجه. ما أغلى وأعزّ وأُنفع هذا الماء عند القوم لكلّ شيء!!!. قلتُ لِنفسي رُبّما سيُطلب منهم في السنوات القادمة البقاء في بيوتهم وتشغيل الإذاعة أو قناتهم وفتح قارورات المياه؛ إذ ستطير البركةُ إليها بعد نَفْث الزعيم في البرميل الذي أمامه!!!!!!

ألّمُ يعتقدوا -ومعهم الزعيم- تفضيلَه على الرسول صلى الله عليه وسلم في وُقوع المعجزات والكرامات؟؟؟؟؟ في الأحاديث الصحيحة أنّه صلى الله عليه وسلم مع صحابته كان معهم طعامٌ قليل فتفل فيه فأكلوا وبقي، كما في حديث جابر بن عبد الله المتَّفَق عليه يوم الخندق، وورد مثل هذه الكرامة النبويّة عن أبي طلحة رضي الله عنه عند البخاري، وعن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما، متَّفَق عليه، وعن سمرة بن جندب رواه أحمد. وفي بعضها كان معهم لَبَنٌ قليل لا

يكفي القوم، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه ومعه أهل الصفة في وعاءٍ من لبنٍ فتفل فيه فشربوا وارتوؤا وبقي، رواه البخاري. وفي بعضها ماء قليل، كما جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، يوم الحديبية؛ إذ وضع يده في ركوة الماء ففار الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم؛ فشرب الناس وتوضؤوا وبقي منه، ومثله عن ابن عباس رضي الله عنهما، رواه أحمد. وعن ابن مسعود رضي الله عنه رواه البخاري.

فَأَنْتَ تَلْحَظُ فِيهَا كَلِمًا:

- وقعت في حضر أو في سفر.

- أَنَّ العَدَدَ فِي كُلِّ قِصَّةٍ جَمْعٌ غَافِرٌ مِنَ النَّاسِ، مَا بَيْنَ سَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ إِلَى ثَلَاثِمِئَةٍ. بَلْ قَالَ جَابِرٌ فِي أَحَدِهَا كُنَّا مِئَةً وَخَمْسِينَ وَلَوْ كُنَّا مِئَةً أَلْفَ لَكَفَى.

- الحضور بين يدي الرسول ومباشرته الطعام أو اللبن أو الماء. وليس كما عند زعيم أنصار الدين طيران البركة أو نزولها في البراميل الأخرى والقارورات داخل الملعب وخارجه!!!!

عُلَمَاءُ وَدَعَاةٌ بَيَّنَّا زَيْفَ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ وَأَبَاطِيلَهَا:

- طائفةٌ من كبار علماء مالي ودعاتها أرادوا -في بدايات نشر أباطيل زعيمها كإنكار رفع المسيح إلى السماء، وأنَّ الإسلام إنما هو الخلق لا الصلاة... إلخ- أرادوا مقابلته لمحاورته وإقامة الحجّة عليه، لعلّه يعود إلى رشده. ثمَّ رجّعوا عن الفكرة لتلاً يرفعوا من شأنه ويُشهره؛ ولما عُرف عنه من المعاندة، والمكابرة والغرور، وسرعة التملُّس. منهم: الشيخ يعقوب كمارا، والدكتور إسحاق كوني، والدكتور آدم سنكري، والشيخ محمد سيلا، رحمهم الله، ومحمد شريف حيدرا⁽¹³⁸⁾.

- طائفةٌ قاموا -ولا يزالون- بالردِّ على ضلالات الجماعة وزعيمها من مختلف الطوائف الإسلامية في مالي وغيره، وهم بالعثرات، شيوخا وشبابا، تغمّد الله من توفّي منهم، وحفظ الأحياء وبارك فيهم⁽¹³⁹⁾. وقد صدّق من قال: "لا نعرف عالماً مُعتمداً في مالي ولا في الدول الناطقة بالمبارية (جولا/ماندينغي) إلا وقد قام ببيان ضلالات دين القوم للمسلمين"⁽¹⁴⁰⁾. وتشهد القنوات الفضائية والإذاعات الإسلامية، ووسائل التواصل الاجتماعي (الواتساب، التلغرام، الفيسبوك...) جهدا كبيرا جداً في بيان ضلالاتهم، والردِّ عليهم، وكشف مواقف زعيمهم المتذبذبة. وقد ألفت كتبٌ كثيرة تردُّ على الجماعة⁽¹⁴¹⁾. أمّا الأشرطة فحدّث فلا حرج.

كَادَتْ ضَلَالَاتُهُ وَخِرَافَاتُهُ تَجِدُ مَوْطِئَ قَدَمٍ فِي مَدِينَةِ غَاو لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ ثُمَّ تَصَدَّى الْمَشَايخُ لَهُ. فقبل حوالي أربع سنوات حاول شابٌّ غرُّ غرْسُ اسمه ماموتو كوناتي Mamoutou Konate الدعوة له، وهو حرّفيٌّ يسكن عند أخيه الموظّف الحكومي، بدأ بالاستماع إلى أشرطة حيدرا جنب السوق الكبير، يتجمّع حوله الأطفال، ثمَّ أخذ يدعو وينتسب إليه، وينشر خرافاته في أشرطة، ويكتسب

¹³⁹ - منهم: المشايخ: سعد توري، عاقب صُوصو، يعقوب كمارا، محمد كونتاو، سيدي محمد يوسف جيري، إسماعيل درامي، الحاج عيسى ساكو، يعقوب دوكوري، أبو بكر ساكو، إبراهيم سوكوري، سعيد جونغو، مصباح واغي، محمد تراوري الكبير، عبد الوهاب سيلا، هود كوني، إدريس كوناتي، محمد حيدرا، محمد ماحي واتارا، عبد الناصر سماكي، د.عثمان صالح تراوري، عبد الله كويتا، د.إسماعيل جالو (غينيا)، جبريل واتارا (ساحل العاج)، آدم جاكيتي، وغيرهم كثير. انظر: المرجع نفسه/76-79

¹⁴⁰ - انظر: الرد المدمدم/80

¹⁴¹ - منها: البيعة في الإسلام محمد كوناتي، أدلّة المرسى في نزول عيسى محمد كونتاو، البيعة في الإسلام أبو بكر بنكي ساكو، شبهات خطيرة والردّ عليها بالأدلة الثابتة تتعلّق بما يأتي: الصلاة- البيعة- ترجمة القرآن في الصلاة- الخلود في النار، يعقوب دوكوري، البيعة معناها ومدلولاتها، وزبدة القول الصحيح في أخبار سيّدنا المسيح عليه السلام، كلاهما لمصباح واغي، النصوص الواردة في البيعة جمعا وتخريحا ودراسة فقهية آدم جاكيتي، فرقة أنصار الدين وموقفها من البيعة دراسة نقدية، والردّ المدمدم، كلاهما لإبراهيم جاكيتي. انظر: المرجع

أغراراً مثله. وكان من ضلالاته القول بأنَّ الكعبة بدعة، والقرآن بدعة؛ لأنَّهما ليسا على الصورة والهيئة التي تركهما عليها الرسول صلى الله عليه وسلم. وأنَّ كلَّ مساجد غاو مساجد ضرار؛ لكثرتها وإقامة الجمعة في أغلبها. يُعدُّ الشيخ ألفا عمر المهدي ميغا أبرز مَنْ تصدَّى له، ووقف لبيان ضلالاته؛ فردَّ على أشرطته شريطاً شريطاً، وفي الإذاعات المحليَّة؛ فتنبَّه له المجتمع وبخاصَّة الشباب وخاف على نفسه؛ فشكا الشيخ إلى الإدارات الحكوميَّة العليا، لكنَّها وقفتُه عند حدِّه؛ فبَحَّ صوته، يتحَيَّن الفرص، ولجأ إلى العناية بالمقابر وتجهيز الطوب لها... إلخ. لكنَّه لا يزال فتنة نائمة.

الثالث: التمدُّد الشيعي المتنامي: (142)

من حيث الوجود التاريخي:

إنَّ هذه الفرقة بمختلف طوائفها غريبة على البيئة الإسلاميَّة في جمهوريَّة مالي؛ فالتشيع -عقيدة- لم يكن معروفا لدى النَّاس في مالي. وُجدت هذه الغربة برغم وجود مظاهر منتشرة قبل العصر الحديث يُفترض فيها التمهيد له (143).

142 - انظر التفاصيل في: التمدُّد الطائفي في أفريقيا: التَّشيعُ في مالي، دراسة ميدانية تحليلية، إعداد/ د.هارون ميغا ود.عبد الرحمن سيبي، باحثان من جمهوريَّة مالي، ذي القعدة 1430هـ، أكتوبر 2009م. وهو بحث مشترك قام به الباحثان بالتعاون مع د.الخضر عبد الباقي محمد، مدير المركز النيجيري للبحوث العربيَّة، في إطار تعاون مركزه مع بعض الهيئات والمؤسسات الإسلاميَّة. وقد جاءت معلومات هذه الدراسة حصيلة بحث ميدانيّ اتخذ الاستبانة أداة له؛ لمعرفة مدى تمدُّد الطائفة الشيعيَّة في الساحة، وعلاقتها بمختلف الطوائف الدينيَّة انظر: المرجع السابق.

143 - منها: أ - قِدَم الاتصالات بين المنطقة والدول التي أقامها الخوارج الإباضيَّة وبعض الشيعة في شمال أفريقيا، كالتي كانت في فزان، وغدامس، وبعض واحات الجزائر، من القرن الثامن الميلادي، وكذلك الدولة الفاطميَّة. ب- الانتشار الواسع للانتساب إلى آل البيت في مالي ودول المنطقة. ج- تقدُّس الأولياء والطاعة المطلقة لهم، والقبوريَّة. د- الزعم - في القصَّة المنتشرة في الكتب والبحوث والدراسات - بإسلام ملك مملكة مالي على يد رجل إباضي أو شيعي. وقد تمَّ تفنيد هذا الزعم. انظر بحثنا: التاريخ الإسلامي في غرب أفريقيا تحت

وبرغم وجود اتصال فرعي من بعض الشيعة الإيرانيين الذين كانوا يزورون مالي، أو الشيعة العرب اللبنانيين والسوريين الذين يحملون جنسيَّات غربيَّة وبخاصَّة الفرنسيَّة وقيمون في المنطقة للتجارة والصناعة وغيرهما، منهم مَنْ تجنَّس، لكنَّهم بقوا في التُّقية حتى ثورة آية الله الخميني وإعلان قيام جمهوريَّة إسلاميَّة في إيران. تُعدُّ هذه الثورة أهمَّ الأحداث التي أدَّت إلى انتباه معظم المسلمين في مالي إلى الشيعة والتشيع. استمرَّت الحال حتى انطلاق الحراك الديمقراطيَّ 1991م والتطوُّرات الآتية.

ولعلَّ أوَّل اتصال في العصر الحديث للتشيع ببعض طوائف مالي كان عن طريق القنوات الدبلوماسية، وافتتاح السفارة الإيرانيَّة فيه، والتركيز على جوانب تهمُّ -كثيراً- حكومات دول المنطقة كالمشاريع الاقتصادية والتنمية الزراعيَّة، والصحة والمستشفيات، والتربية والتعليم، وإنشاء المدارس والجامعات، وإقامة المراكز الثقافيَّة التي تُحاول - بدرجة أولى- جذب أبناء التعليم الإسلامي العربي، وتقديم المنح الدراسيَّة في معظم مجالات التعليم للدراسة في غانا، أو لبنان، أو إيران، أو في الجامعات الوطنيَّة، والاستفادة من وسائل الإعلام الحرَّة في نشر مبادئها ولو بمقابل ماديّ وشراء الدمم.

ثمَّ شهدت السنوات الأخيرة نشاطاً شيعياً كبيراً في مالي؛ لأسباب منها:

- إقبال الشَّباب المتعطِّش لمواصلة تعليمهم على المركز الثقافي الإيراني الغنيّ بالكتب الفكريَّة والعلميَّة بصفة عامَّة، والشيعيَّة بصفة أخصَّ، مع نشر الكتب التي تحارب مذهب أهل السنَّة، وتقديم المنح الدراسيَّة لبعضهم في جامعات مالي،

مطارق الباحثين، قراءات أفريقيَّة، العدد1، رمضان 1425هـ أكتوبر 2004م 12-15، وكتابنا: مدخل إلى دراسة مذهب أهل السنَّة والجماعة (مرجع سابق)

والعناية بالخدمات الاجتماعية كالمستوصف الإيراني. ومُنذ تطبيق المركز للمنهج الحكومي العربي أو الفرنسي في الثانوية صار عددٌ من خريجه يلتحقون بمختلف الأقسام في التعليم العالي.

- قُوَّةُ صلة الحركة الشيعية بالدبلوماسية الإيرانية التي تحضن الحركة وترعاها في كلِّ مكان، وتُساعد في إقامة المراكز، والمدارس، والمساجد، في كثيرٍ من مناطق مالي.

- تقوية العلاقات السياسية والاقتصادية والتجارية، والمشاريع الاستثمارية مع إيران التي لا تألو دبلوماسيتها جهداً لنشر التشيع وتمويله، وإقامة المشاريع لأتباعه والعناية بهم، والإغراءات المادية والمعنوية المختلفة.

- تقوية علاقتها بالحركات الصوفية ومشايخها ومراكزها لوشائج قرابة بينها تتمثل في الهرمية، وإقامة المزارات وتقديسها، والإفراط في تقديس الشخصيات، والتغني بحب الرسول صلى الله عليه وسلم وحب آل البيت، ومفهوم الولاية، والمظاهر الاحتفالية الصاخبة. قال أحد الشيعة في مالي عن علاقة الشيعة بالطوائف الصوفية: " لهذه الطائفة علاقات متينة مع الطوائف الصوفية المتعددة؛ لوجود بعض العوامل المشتركة بينهما من حيث العقائد، والاعتراف بالمشيخة"⁽¹⁴⁴⁾.

و في الأونة الأخيرة يظهر بجلاء -في مالي وبخاصة بماكو- قُوَّةُ التعاون بين الصوفية وبخاصة جماعة أنصار الدين الحيدرية والشيعة ممثلةً في أبرز قادتهم المتشيع أبو جعفر محمد جباتي، المولود في بماكو 1969م، وهو رافضي، مُتشدِّد، مُتواطئ مع زعيم جماعة أنصار الدين الدولية في نشر الخرافات، والبدع،

والضلالات بين المسلمين، ويُعدّ من أكبر المدافعين عن زعيمها في المناسبات المختلفة، والمواقف المتعددة، ويهاجم مخالفيه ويطنع فيهم، ويستعمل التقية مع أهل السنة في جعل نفسه معتدلاً. كما أنّه من أبرز حاضري تجمّعات جماعة أنصار الدين وزعيمها، والمشاركين في محاضراتها ومناسباتها، ولهُ دروسٌ ومحاضرات في قناتها الفضائية "الشريفة CHERIFLA". "والمُتشيّعون أمثال أبي جعفر جباتي يتودّدون إليه، ويستدرجونهُ بالتزلف، ويمدحونه بما ليس فيه؛ بُغية تشييعه، أو إضافة التشيع إلى فرقته إن لم يتمكن تشييعه كما يُراد"⁽¹⁴⁵⁾. ولا أدلّ على هذا من أنّ زعيم أنصار الدين أخذ -منذ سنوات قريبة- يُردّد في مناسبات كثيرة بعض معتقدات الشيعة.

من مظاهر قُوَّة الصلة والتعاون بين زعيم الجماعة والشيعة:

- تنظيم الندوات والمحاضرات العامة المشتركة، يُلقى كلماتٍ فيها علماء الطائفتين، وبخاصة ما يُنظّمها جماعة أنصار الدين، يحضرها ويشارك فيها أعضاء من العاملين في السفارة الإيرانية ومركزها الثقافي. وفي استعمال قيادات الشيعة المكثف لقناة "الشريفة CHERIFLA" الفضائية الحيدرية.

- العداوة المشتركة بين الطائفتين للمذهب السني، والتعاون في محاربتة. عبّر أحد أتباع الإثني عشرية في جمهورية مالي عن عقيدة راسخة عندهم وهي موقفهم العدائي الشديد من أهل السنة بقوله: "وأبغض المذاهب إليها المذهب الوهابي المشهور بين المنتسبين إليه بمذهب أهل السنة والجماعة. ولعلّ ذلك البغض ناتج عن الانتقادات الشديدة الدائمة التي يُوجِّهها أنصار هذا المذهب إلى الشيعة

¹⁴⁴ - التمدد الطائفي في أفريقيا: التشيع في مالي (مرجع سابق) 8/

¹⁴⁵ - الردّ المُدمِّم/207

الإمامية" (146). وقد ظهر نفاقهم الواضح وأنانيتهم وتمسكهم بمصالحهم الخاصة، في الحراك الاجتماعي والسياسي (5 يونيو 2020م) ضد الفساد المشتري في كل أجهزة الدولة، والظلم، والمحسوبية، والتمهيش للمواطنين المخلصين، ودفع القبائل إلى الاقتتال، وهبوطها إلى الهاوية التي تزداد عمقا ليل نهار من كل النواحي. بل هاجموا بضراوة الإمام محمود ديكو، ولمّا انتقد شيخهم عثمان حيدرا عن عدم التنديد بمهاجمة قوات الأمن لمسجد السلام وقتل الأبرياء فيه، ردّ بأنه يعمل تحت الماء!!!!!!.

الرابع من نماذج الانحراف الفكري في مالي: التّغريب في أوسع معانيه وأكبر جوانبه الثقافية، والاجتماعية، والتربوية والتعليمية، والأخلاقية، والاقتصادية، والسياسية، والموقف من الثوابت، وبمختلف وسائله وأساليبه ورجالاته، وبخاصة في ظلّ العلمانية والديمقراطيات التحررية بأحزابها الكثيرة، وأفكارها المنحرفة حول ضرورة عدم إقحام الإسلام في قضايا الحياة وشؤون الدولة، وفي الاستهزاء بالمتمسكين به، واللعب على وتر الأقليات الدينية وغيرهم لتحقيق مكاسب في مختلف المجالات. فقومنا مهورون ومغتربون بالجانب المادي والتفوق التكنولوجي، متغافلون عن الفكري وتأثيراته القاتلة.

إنّ الفكر الغربي مُغرّم بالهدم دائما، ولا يؤمن بثابت مّا، وبخاصة عند ما يتعلّق بفكر أو ثقافة أو حضارة، مخالفة لفكرهم وثقافتهم؛ فـ "لقد أصبح الفكر في الغرب بدعة تُشبه بدعة الثياب، والطعام، وأنواع السلع كافة، والإنسان الغربي الكفور بكلّ قيمة، النّفور من كلّ ثابت من الثوابت -الدينية والبشرية- يلعن في يومه ما صنعه في أمسّه، وفي غده ما اكتسبه في يومه، وهو يميل إلى تحطيم كلّ شيء بعد أن يفرغ من التسليّ به حيناً من الدهر. تهاوى المدارس

والمذاهب واحدة بعد الأخرى ويظلّ الإنسان الغربي جموحا لا يعرف اليقين، شرودا لا يستقرّ على شاطئ" (147). وكلّ ذلك وأكثر ما يريده لنا تغريبنا باسم الحداثة والمعاصرة.

من الانحراف الفكري عندهم: سعيهم الحثيث -باسم علمانية الدولة- في إصدار قوانين مناقضة لثوابت الإسلام في موضوعات متعدّدة، منها في أيام الرئيس أحمد توماني توري محاولة قوية لإقرار وثيقة تنظيم الأسرة 2009م برغم ما فيها من مخالفات صريحة لكثير من ثوابت الإسلام، بل محاربة له، وهو دين أغلبية الشعب، وعدم الاعتراف باعترافات المسلمين بوساطة المجلس الأعلى الإسلامي حول بعض البنود كالمساواة بين الذكور والإناث في الميراث، وبين الأبناء من زواج شرعي وأبناء من خارج بيت الزواج، وعدم الاعتراف قانونياً بالزواج الإسلامي، والحرية المطلقة للمرأة حتى في نفسها... إلخ. وكذلك منع تزويج البنات قبل سنّ (18) وتغريم المخالف، وقد تغافلوا عن أنّ من تحمّل منهنّ بسبب الزنى في المدارس الإعدادية والثانوية كثيرات جدّاً، وسنّ أغلبنّ ما بين 12 و17 سنة!!!!!!.. وقد بيّنت في بحث آخر أنّ رفض الرئيس التوقيع على الوثيقة برغم تأييد (117) برلمانياً له من (140) نائبا، بضغط المجتمع الإسلامي وقيادة المجلس الأعلى الإسلامي، كان موقفه هذا من أهمّ أسباب تكالّب الأعداء على إسقاط حكومته عن طريق فرنسا وعملائها، والمتمردين الانفصاليين الطوارق والعرب، والحركات الجهادية Narcoterroristes، والانقلابيين... إلخ.

147 - الحداثة في الشعر العربي المعاصر، حقيقتها وواقعيتها، رؤية فكرية وفنية، د.وليد القصاب/84، دار القلم، ط1 عام 1417هـ/1996م دبي، الإمارات العربية المتحدة.

146 - انظر: التمرد الطائفي في أفريقيا: التشيع في مالي (مرجع سابق) /8.

أُنْعِمَ النظر كيف شدّد أحدهم الإنكار على الرئيس أحمد توماني توري لتراجعه عن التوقيع على الوثيقة المذكورة أعلاه متسائلا باستغراب شديد: كيف تراجع دولة علمانيّة أمام جمعيّة أو ممثليّة دينيّة؟

Comment un Etat Laic recule devant une représentation reilgieuse ? (148).

فعند هؤلاء الغلاة من العلمانيّين والعملاء لا بدّ من الطلاق البائن والفصل التامّ بين السياسة والدين حتى تكون الدولة علمانيّة خالصة. هذا عندهم أحد الشروط أو الضوابط الأساس لبناء جمهوريّة ولتقدّم مالي. ومن ثمّ يستكثرون على دارسي اللغة العربيّة والعلوم الإسلاميّة مجرد الحديث عن حسن إدارة شؤون الحياة والدولة (السياسة). ومن فعل ذلك سارعوا في رمي المخلصين منهم لشعبهم ووطنهم بالسعي في أسلمة الدولة أو بالإرهاب؛ حسدا من عند أنفسهم، وتنفيذا لأجندة خارجيّة. والأدهى والأمرّ أنّهم لا يصنفون بقيّة من يتحدّث في السياسة أو يمارسها من الدارسين باللغات الأخرى لا يصنّفونهم وفق تخصّصاتهم وإيدلوجيّاتهم. والمتخصّصون منهم في العلوم السياسيّة وإدارة شؤون الدولة ممّن يصولون ويجولون أقلّ من أصابع اليد الواحدة إن لم يكن معدوما. كما أنّ الثقافة العامّة عند بعضهم ضئيلة أو سطحيّة وبخاصّة ثقافة قبول الآخر المخالف الذي يتجنّبون بها؛ ولذلك تجد الصراع حتى بينهم شديدا لا يكادون يجتمعون على كلمة سواء فيما يتعلّق بالمصلحة العامّة. وبرغم ما تقدّم كلّهم يحكرون الأمر على أنفسهم وكأنّه ليس لدارسي العلوم الإسلاميّة والعربيّة حقوق وواجبات كغيرهم من مواطني الدولة!!!! ويرؤن في موقف غيرهم مواصلة خاطئة في تجاهل أو إنكار تعاضّم الدور

الديني في السياسة حتى لو صدر من علمانيّين عقلاء وخبراء (149). وأكبر دليل حيّ موافقهم من حراك يونيو 2020م بقيادة الإمام محمود ديكو رغم تسليم الجميع بحقيّة أغلب مطالبه.

وجدوا في الجهاديّين Narcoterroristes من يستعملون الدين سياسيا. ويرون أنّ هؤلاء الجهاديّين Narcoterroristes إنّما يركبون موج الدين لمواصلة نشاطهم في تهريب المخدرات، ولفرض رؤاهم الإسلاميّة المتشدّدة في مالي التي عرفت منذ القدم إسلاما مالكيّا Malékite، متسامحا (أو متساهلا) Tolérant معتدلا Modéré. كما يجد أولئك الغلاة العلمانيّون في مخالفة ثوابت الإسلام دين الأغلبيّة تقويةً لأسس جمهوريّة تجعل المواطنين متساوين في الحقّ والواجب. وأنّ المسلمين لم ينضجوا بعد في إدراك أو قبول هذه المخالفة التي يرون فيها وسيلة للتطوّر. وكذلك سعيهم بلا هوادة في التسوية المطلقة -لدرجة المناصفة- بين الأغلبيّة المسلمة والأقليّة النصرانيّة في مالي حتى في الأمور التي تتعلّق بالدين. وهم بهذا يتناسون القاعدة التي يأكلون بها ويشربون، ويديرون، بل ويتاجرون بها ويُسوّقون لها في إدارة مختلف شؤون المجتمع والدولة، وهي (حكم الأغلبيّة). ثمّ في الوقت نفسه يبذلون قصارى الجهد ويستعملون الوسائل المختلفة والأساليب المتعدّدة لتعطيل تطبيق مصطلح أو قاعدة "الأغليّة" الذي يتشدّقون به إذا ما تعلّق الأمر بالإسلام ومبادئه، والحيلولة دون الأخذ بها في مختلف شؤون الحياة، أو السعي في توعية الأغلبيّة بحقوقهم التي يقتضيها هذا المصطلح مهما كانت الضمانات التي تقدّمها الأغلبيّة المسلمة لاحترام الأقليّات وحقوقهم، متجاهلين أنّ المصلحة العامّة مقدّمة على المصلحة الخاصّة، وأنّ الحرّيّة الفرديّة

149 - انظر: المرجع الفرنسي نفسه/67

148 - انظر: Le Mali Révé Essai Mohamed Amara P/68_70 LHarmatta 2016

مؤطرة بعدم الإضرار بالحرية العامة. وكذلك تأويلاتهم المسوغة لكل فاسد باسم الحرية الشخصية إلا إذا لمست -أو كادت تلمس- مناصبهم أو مصالحهم الشخصية.

ومن نشاطات غلاة العلمانية التواطؤ -أواخر 2018م- مع الساعين لإدخال تعليم اللواتية والجنس في منهج المرحلة الابتدائية، حيث فضح الله لجنة تربوية كانت تعمل على البرنامج في مدينة سيغو، أغلبهم ماليون وامرأتان من هولندا الممولة للمشروع؛ فقام المسلمون ضدها في أوائل 2019م. ثم فضح الله جماعة ترعى اللواتية وراء الكواليس باعتقال عشرات الشباب الملوطين بهم (أي يفعل بهم اللواتية) وأعمارهم بين 10-18 سنة تحت حماية شخصيات نافذة، وبغطاء أنشطة ثقافية واجتماعية في أعلى الفنادق، وأرقى الأماكن، مقابل مبالغ عالية، واستعمال مراهم وأدوية... إلخ. وقد ضبطت الشرطة مجموعة كبيرة منهم ببماكو في يناير 2020م؛ بسبب تبليغ من الأهالي.

إن هؤلاء التغريبيين العلمانيين والليبراليين والعملاء أشد -بذلك كله- علمانية من أساتذتهم العلمانيين في الغرب الذي في دوله كلها خطوط حمراء لا يمكن أن تلمس باسم العلمانية أو الديمقراطية أو الحرية الشخصية، بل لم يعرفوا منها إلا ما جاء من العلمانية الفرنسية مع أنها أسوأها وأخبثها؛ لأنها لا ترضى عن الشخص إلا بالانسلاخ التام من ثقافته الأصلية وبخاصة الإسلامية حتى يجد منها إشارة خضراء بالاندماج فيما يسمى الجمهورية.

الخامس: الحركات المسلحة الانفصالية والجهادية:

يوجد عدد كبير من الحركات التي حملت السلاح على مالي والماليين تحت مسميات مختلفة، ولأهداف وأغراض متعددة، اتفقت أو اختلفت؛ انطلاقاً مما ترسخ فيهم من أنواع الانحراف الفكري:

أولاً: الحركة الانفصالية الطارقية (الحركة الوطنية لتحرير أزواد (MNLA):

ظهرت نواتها الأولى في نوفمبر 2010م، ثم أعيد تنشيطها في 16 أكتوبر 2011م. تأسست من اندماج فصيلين: الحركة الوطنية الأزواذية وتحالف الطوارق شمالي شرقي مالي للتغيير، الذي يرأسه الراحل إبراهيم باهنغا. وقع الوثيقة عنه خلفه حمّ أغ سيد أحمد، ثم انضم إلى فصلين القائد العسكري القادم من ليبيا بالرجال والسلاح محمد أغ ناجم؛ فتركت من قوميين، وليبراليين، ومستقلين، وآخرون لا يعرف لهم انتماء إيدلوجي معين. أيدتها في البداية حركة أنصار الدين الأغالية، كما سيأتي.

أغلب عناصرها من قبيلة إيدنان برغم نفها القبليّة أو الطائفية عن نفسها. تولّى أمانتها العامّة محمد أغ علي، سيطرت على معظم شمال مدن مالي بمساعدة الحركات الجهادية، وأعلنت استقلال دولة (أزواد) عاصمتها غاو. ثم دخلت مع هذه الحركات في معارك ضارية أجبرتها على الانسحاب إلى كيدال واتخاذها مركزاً⁽¹⁵⁰⁾. شاركت في اتفاقية الجزائر 2015م.

¹⁵⁰- انظر: الطوارق من الهوية إلى القضية، الأستاذ إكناته ولد النقرة/110-111، من إصدارات المركز الموريتاني للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط1، طوب بريس، الرباط.

هدفها الأساس هو الانفصال -بأيّ ثمن- عن دولة مالي التي تعدّها احتلالاً لأقاليم الشمال. وإلاً ففدرالية مغلّفة تؤدّي إلى دولة داخل دولة، وهذه التي جاءت في كثير من بنود تلك الاتفاقيّة، كشرطة إقليمية غير الشرطة الوطنيّة، وجيش خليط، ثلثاه منهم ومن حلفائهم، والباقي من الجيش الوطني الماليّ، واختبار والي المناطق وبخاصّة كيدال ونحوها منهم... إلخ.

فما أعلنت عنه في بيانها الصادر من مؤتمرها الأوّل بتاريخ 15-17 أفريل 2011م، وما قامت به من تدمير الممتلكات العامّة والخاصّة، وتقتيل لغير الطوارق والعرب، وحرّك سياسيّ إقليميّ ودوليّ، واستنجاد بالدول العربيّة والغربيّة، والتعاون مع بعضها -بل العمل وفق إشارته- وبخاصّة فرنسا، كلُّ أولئك يصبُّ في تحقيق هذا الهدف.

تنطلق الحركة الانفصاليّة من فكرة قديمة جديدة، وهي ضرورة أن تكون السّلطة بيد البيضان، أو الانفصال. وهي الأساس والمنطلق في كلّ تمرّدات الطوارق والعرب التي عرفتها جمهورية مالي قبيل الاستقلال إلى الآن، يدعمهم دائماً فرنسا، والجزائر، وموريتانيا، سيأتي الدليل بالأسنة بعض القوم. كلُّ حاجة في نفس يعقوب يُبدي دائماً خلافه ويُلمّعه، ويُراهن عليه.

إنّ فكرة إقامة دولة صحراوية للطوارق والعرب تمتدّ من تشاد (تبيستي) فالنيجر (أزواغ AZAWAGO) فشمال مالي (أزواد AZAWADO) ثمّ موريتانيا، أو ما يُسمّى بالصحراء الشرقيّة، والصحراء الشماليّة، والصحراء الغربيّة، ليست الفكرة وليدة اليوم ولا الأمس، بل هي مشروع فرنسيّ منذ عام 1956م حيث اكتشف البترول في جنوب الجزائر وله امتداد واسع في المناطق الشماليّة لمالي. وتقضي بإنشاء منظّمة موحّدة لمناطق الصحراء (O CRS) Organisation Commune des Regions Sahariennes.

المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية أو جمهورية الطوارق، وجمهورية الصحراء، حدودها ما تقدّم وتُسمّى "الدولة الوطنيّة لمناطق الصحراء

"Territoire National des regions Sahariennes."

من شروط تحقيقها على أرض الواقع: بقاء الكيان خاضعاً للحماية الفرنسية لمدة ثلاثين (30) عاماً؛ لتهيئة أهلها للاستقلال التام.

ومن أهدافها: محاولة فرنسا محو آثار تفجيرات القنبلة الذريّة الفرنسية عام 1952م التي لاقت استياءً إقليمياً ودولياً واسعاً، وسبّبت حرّجا أخلاقياً ودبلوماسياً بالغاً. والتغطية على إخفاقات فرنسا العسكريّة دولياً، وغيرهما.

وبعد جولات من الحوار والأخذ والردّ من قبل الزعماء الممثّلين لمختلف القبائل بالمنطقة رُفِض المشروع بالإجماع ومطلقاً في اجتماع مع الإدارة الفرنسيّة عام 1959م. وكذلك كان موقف دول الجوار المطلّة على الصحراء؛ خوفاً ومصلاً، كالجزائر (الثوّار)، وموريتانيا (المختار ولد داداه)، ومالي (موديبو كيتا)، والنيجر (جوري هماني)، وتشاد (فرانسوا تنبلباي). وأيدته المغرب وتونس وغيرهما. ثمّ أُعيد عرض المشروع لكن تمّت تصفيته في جلسة الجمعية الوطنيّة الفرنسية في 26 مايو 1963م، وكان ممثّل الحكومة الفرنسية وزير الدولة هوفوت بوني، وممثّل مستعمرات السافانا⁽¹⁵¹⁾.

وقامت حركةً سياسيّة في البرلمان الفرنسي الذي يُمثّل فيه أبناء مستعمراتها للمطالبة بعدم انضمام الطوارق والعرب في الشمال إلى دولة مالي، بل الاستقلال عنها، قادها نائبان في البرلمان الفرنسي حبيب مصطفى وافي ومحمد محمود ولد الشيخ قاضي تنبكتو، وكان أكبر مسوّغ وأهمّه عدم انسجامهم مع السودان لا ديناً، ولا جنساً، ولا لغة. جاء هذا في رسالتهما الموجّهة للجنرال ديغول بتاريخ (30 أكتوبر

¹⁵¹ - انظر التفاصيل في: الطوارق من الهوية إلى القضية/15، 88-90، 91-92

1957م) "إنَّ من واجبنا الانفصالَ عن السودان؛ لأننا نعتقد أن ليس بإمكاننا - ونحن البيضان من عرب وبربر، لا نزيد على ربع المليون من السكَّان بين ثلاثة ملايين ونصف من السودان- أن نحافظ على ديننا، وجنسنا، ولغتنا؛ فبقاؤنا معهم معناه زوالنا قريبا كعنصر يجب بقاؤه كملجأ للإسلام والعربية". والسؤال ما ذا كان دين هؤلاء السودان غير الإسلام الذي دخل مناطقهم من القرن الأول الهجري؟ جاء جوابُ ديغول في رسالة إلى القاضي محمد محمود بتاريخ 18 ديسمبر 1957م "لقد سجَّلتُ باهتمام عرض طلباتهم والمستندات التاريخية التي اعتمدها لتلك الغاية"⁽¹⁵²⁾. وكلُّ تمرُّداتهم اللاحقة استمداً واقعيُّ لهذا الموقف والخطاب العنصري. أمَّا الاحتجاجُ بإهمال مناطقهم، وبمعاناة شعهم، ونحوهما؛ فذرٌّ للرماد في العيون؛ إذ هم أقلية حتى في شمال مالي.

ثمَّ زادوا -حديثا- على ذلك الموقف المستمدَّ والمستمرَّ:

أ. القياس على موريتانيا: حال موريتانيا حيث تسيطر أقلية بيضانية على أغلبية سودانية؛ فكَم نسبة البيضان في موريتانيا الذين يسيطرون على كلِّ مفاصل الدولة والمجتمع منذ الاستقلال مقابل السودان من السوننكي والفلاتة والولوف وغيرهم؟ أرايت؟ إنَّه استمداد من المنطلق الأوَّل والأساس لمطالبة أوائل المتمردين لفرنسا بالخروج من دولة مالي ذات الأغلبية السودانية.

¹⁵² - مالي عودة الاستعمار القديم مجموعة أبحاث /93، ط1 عام 2014م، منتدى العلاقات العربية والدولية، الدوحة قطر، بحث د.سيد أحمد بن شيخنا أزمة مالي الأسباب والتداعيات، (نقلا عن ص41 من: موريتانيا المعاصرة، شهادات ووثائق، سيد أحمد بن شيخنا، الجز الأوَّل 1957-1984م ط1 عام 2010م دار الفكر، نواكشوط. ولم أقف عليه). وهذا الكتاب في الواقع من تأليف مجموعة من الموريتانيين لصالح المنتدى المذكور. وجاءوا فيه بزبد كثير (تحريف، وتضليل للرأي، وليّ للحقائق، وعاطفية، وكيل اللهم، وتسويغ للجرائم) وعنوان الكتاب، ومموله، وزمن صدوره، ومن اختيروا للكتاب فيه، كلُّها ناطق بهذا الزبد وأكثر. وأمَّا ما ينفع الحق فأقلُّ القليل. وذلك ديدنهم فيما يتعلَّق بقضايا وتاريخ غيرهم.

ب. مقالاتُ أبي بكر الأنصاري، صحفيِّ عمِل في شركة تهامة بجدة في السعودية، ثمَّ تنقَّل مطرودا بين الجزائر، والمغرب، وموريتانيا. وكان آخر العهد به في قطر. وهو أبرزُ مُنظِّرٍ للقضية، ومن أظهر -منذ أواخر القرن العشرين الميلادي- الأهداف الحقيقية، والوسائل، والتحرُّكات والاتِّصالات الإقليمية والدولية، والدول والمنظَّمات الدولية التي سَعَوْا للحصول على دعمها بأيِّ ثمن. أنشأ في عام 2006م "التحالفُ الوطنيُّ لتحرير أزواد" وصفه محمد الحافظ الغابد في بحثه "خريطة التنظيمات الوطنية والإسلامية في أزواد" بـ: "الإعلامي البارز، والصحفي، أبو بكر الأنصاري، الذي تميَّز بطرحه السياسيِّ الساعي للتقرب من الولايات المتحدة الأمريكية، وإسرائيل، وهو مقيمٌ بالمغرب. ويُقدِّم أفكارا جديدة لتطوير علاقات اليهود بالأمازيغ والطوارق. كما يُقدِّم مشروعا يحمل عنوان الهلال السامي. وترتكز فكرته على أنَّ الطوارق في الصحراء الكبرى يملكون أرضا استراتيجية تحيط بالعالم العربي إحاطة السوار بالمعصم. وهذا يؤهلها للعب دور أساسي في السيطرة والتحكُّم في هذه المنطقة؛ لتحقيق ما يُسمَّى أمريكيا بالسلام. وهنا يعرض زعيم التحالف الوطني الديمقراطي رؤيته للدور الذي يمكن أن تنهض به دولةٌ أو دولٌ مستقلة للطوارق في عمق الصحراء الكبرى"⁽¹⁵³⁾.

لو رجعتَ إلى مقالات الأنصاري هذا الكثيرة جدًّا والمنشورة بـ"موقع الحوار المتمدن" على الشبكة العنكبوتية لوجدتَ العجب العجاب، والكشفَ في وضوح النهار ومن أفواه القوم عن الأهداف الحقيقية، والوسائل، والأساليب، وحقيقة الدول والمنظمات الدولية الداعمة والمستعان بها. وكلُّها تدمُّع ما يُظهِرونه من أهداف؛ فقد أفصح الصبح لكلِّ ذي عينين، ولعقل واعٍ، وفطرة إنسانية سليمة.

¹⁵³ - مالي عودة الاستعمار القديم مجموعة أبحاث (مرجع سابق) /115

ومحمد الحافظ الغابد في تعليقه على ما نقله سابقا عن أبي بكر الأنصاري وتأييده له إنَّما يُسوّغ وسائل التخريب، والنهب والسلب، والقتل، والعنف، التي اتَّبعَها الحركات الطارقيَّة والعربيَّة المختلفة وبخاصَّة في عام 2012م إلى الآن، ولا تزال؛ فيقول: "لقد فعلتُ عواملُ الفقر والحركات عملَها في أبناء الإقليم، وجعلتهم مستعديين حتى للتحالف مع الشيطان من أجل استرداد ما يعتبرونه حقوقهم المسلوقة من طرف الحكومة في الجنوب"⁽¹⁵⁴⁾.

ج. أكَّد بلال أغ شريف الأمين العام للحركة الانفصاليَّة هذا الاستمداد ممَّا سبق عن أسلافه قبيل الاستقلال وبخاصَّة اختلاف الجنس والدين واللغة والثقافة؛ وذلك في 6 أفريل 2013م عند إعلان استقلال دولته المدعومة (أزواد) في وسائل الإعلام الغربيَّة والإقليميَّة. وفي مقابلة مع إذاعة نواكشوط الحرَّة عام 2013م. جاء نصَّ المقابلة في موقع "وانا" الموريتاني بتاريخ 13 أغسطس 2013م، أوضح فيها " أنَّ مشكلة أزواد هي مشكلة سياسيَّة أساسا، ومشكلة هويَّة، ووجود شعبٍ [الطوارق والعرب] يحسُّ بأنَّ له مكوّنات ثقافية، وسياسية، واقتصادية، تختلف عن جنوب مالي، وهو ما يستحق التعامل بقرار سياسي من الحكومات الماليَّة ليس من خلال التسويات والمقاربات وتلك الأكاذيب". وأضاف "ينبغي التعامل مع الدولة الأزواديَّة على أساس أنَّها موجودة في اسم واسع هو مالي [دولة داخل دولة؟] لكن لا بدَّ من الاعتراف لإقليم أزواد بخصوصيَّته"⁽¹⁵⁵⁾.

أرأيتَ؟ إنَّه الانحراف الفكري التدميري للعباد والبلاد، مع التسويغ الشيطاني للجرائم، والدفاع المستميت عن الباطل، والتحريف المُتعمَّد للحقائق وتغليفيها بالجوانب الإنسانيَّة لِذَرِّ الرماد في العيون. كلُّ ذلك بحجَّة الاختلاف في لون

الجسم، والجنس، والدين، واللغة، والثقافة... إلخ. أليس على منهج (شعب الله المختار)؟؟؟؟.

وإليك ثلاثا من مقالات الأنصاري بحرفها تجد فيها الكثير من الحقائق، ومن التعاون الشيطاني الذي ذكره الغابد، والوسائل، والأساليب، والمتعاون معهم، دولاً، وجمعيَّات، وأفرادا. أعتذر للقارئ عن نقلها بطولها، ثمَّ تصحيح الأخطاء النحويَّة الكثيرة وتأخير التعليق عليها. وأوجَّه الباحثين الماليين الجاديين في الدراسات العليا "ماجستير أو دكتوراه" إلى دراسة تمرّداتهم من خلال هذه المقالات في رسالة علميَّة تحت عنوان "تمرّد الطوارق في مالي من خلال مقالات أبي بكر الأنصاري، الدوافع، الأهداف، الوسائل، الداعمون، دراسة وصفيَّة تحليليَّة".

المقالة الأولى: "مشروع الهلال السامي يحمل ساركوزي إلى قصر الإليزي" أبو بكر الأنصاري⁽¹⁵⁶⁾.

" منذ إعلان مشروع الهلال السامي الذي رفع مبدأ نصرة المستضعفين في الأرض وردَّ الاعتبار لضحايا المحارق والمذابح والأسلحة الكيماوية. ذلك المشروع الذي تبنَّته قوى كبرى عالمية وخاصة منظمة اللوبي الإسرائيلي، وهو ما جعلها تُفشل مشروع قتل الطوارق باسم مكافحة الإرهاب الذي قاده رئيس مالي بدعم من جنرالات الجزائر، وبتزكية من مصر الراغبة في لعب دور على الساحة الأفريقية بتشجيع قتل الأقليات العرقية باسم مكافحة الإرهاب.

¹⁵⁶ - العدد: 1911 - 10 / 5 / 2007 - 11:45 - المحور: القومية، المسألة القومية، حقوق الاقليات وحق

تقرير المصير ملحوظة: تأتي صورته الشخصيَّة أمام كلِّ مقالة من مقالاته.

¹⁵⁴ - المرجع نفسه/116

¹⁵⁵ - الطوارق من الهوية إلى القضية/142-143، وانظر تفاصيل عن الاستمداد المذكور في ص 149-150

ومن بين الذين آمنوا بِسَمَوِّ ونبل غاية الهلال السامي المرشح اليميني الفرنسي الشاب ذو (52) ربيعاً، المنحدر من أسرة يعني الهلال السامي الكثير [له]، فهو ابن لمهاجر مَجْرِيٍّ عَمِلَ بالجيش الفرنسي في الحرب العالمية وأمَّ يهودية يونانية من الناجين من محارق الهولوكوست، وبالتالي آمن ساركوزي بعدالة رسالة الهلال السامي ومَوَّلَه اللوبي الإسرائيلي؛ لِيُحَقِّق المشروع في مناطق النفوذ والمستعمرات الفرنسية وخاصة منطقة المغرب الكبير وغرب إفريقيا. وقد بَشَّرنا بفوزه منذ إعلانه ترشُّحَه. ساركوزي وصل لقصر الإليزي لتحقيق مشروع الهلال السامي في منطقة المغرب الكبير وغرب إفريقيا. وسوف يُعيد ساركوزي الأنظمة الأفريقية والمغاربية لِبَيْت الطاعة الفرنسي ويمنع عليها الدخول في تحالفات أو مؤامرات مع قوى عظمى أخرى غير فرنسا، وقطع الطريق على القادة المنتمين لمناطق النفوذ الفرنسي ومنعهم من توريث قوى كبرى أخرى لإثارة حروب تطهير عرقية ضد الأقليات العرقية في منطقة النفوذ الفرنسي أو تسييس مكافحة الإرهاب لتبرير ظلم مجموعات عرقية في مناطق النفوذ الفرنسي.

وسوف يُطبَّق ساركوزي الجزء المتعلِّق بمشروع الهلال السامي في إفريقيا وهو بناء دولة الطوارق شمال مالي والنيجر، وسوف يدعم المقاومة الطوارقية. ويصدر وعد ساركوزي على وزن وعد بلفور لبناء دولة الطوارق. كما سيُحدِّد ساركوزي لكل رئيس أو مسؤول في منطقة نفوذ فرنسا ما ينبغي عليه فعله داخليا وخارجيا. فيُحدِّد لجنرلات الجزائر الحدود والخطوط الحمراء التي لا يتجاوزونها، ويُحدِّد لبوتفليقة الأدوار السياسية الإقليمية التي يمكنه لعبها، ويُحدِّد مصير الصراع في الصحراء الغربية ومصير كل النزاعات في منطقة نفوذ فرنسا. وستكون فرنسا على مسافة واحدة من الحكومات والمعارضة في

مناطق النفوذ الفرنسي بحيث يُمكن للحسن وترا زعيم المعارضة في ساحل العاج ورئيس ساحل العاج باغَبُو أن يُستقبلا في قصر الإليزي .

ساركوزي سيكون أقوى حليف لإسرائيل في تاريخ أوروبا منذ قيام دولة إسرائيل، وسوف يلعب دورا في تحريك المسارين السوري واللبناني وفي حل الملف النووي الإيراني بوصف فرنسا وسيطا مقبولا لدى الأمريكيين وإيران، وسيكون شعاره أمن إسرائيل أولا ثم السلام معها ثانيا، وستكون فرنسا مقر القيادة الأمريكية في إفريقيا، وسوف تختار فرنسا بقية الفروع الإقليمية حسب ما تراه مناسبا.

فرنسا في عهد ساركوزي دولة عظمى تُندبِق في كل صغيرة وكبيرة مع أمريكا، وتُنقِذ مشروع الهلال السامي في منظومتها الفرنكفونية ولا تسمح لأي زعيم في مناطق نفوذها بتجاوزها أو الخروج على بيت الطاعة، وسوف تضرب بيد من حديد على مَنْ يُحرِّضون عبيدها (قادة دول المنطقة الفرنكفونية) على التمرد كما يفعل الرئيس المصري الذي يُشجِّع جنرلات الجزائر وقادة مالي على تجاوز فرنسا ومحاولة توريث أميركا في حروب تطهير عرقى ضد الأقليات العرقية باسم مكافحة الإرهاب.

اللوبي الإسرائيلي أوصل ساركوزي للحكم من أجل أن تكون فرنسا قوة عظمى تُنقِذ المشاريع الكبرى كالهلال السامي، ومن يُحاول من القادة الأفارقة اعتراض مشروع الهلال السامي أو تعطيله بأي طريقة يجري تغييره ويُزاح على يد كبار مساعديه؛ لأن فرنسا في عهد ساركوزي لن تسمح بمخالفة التعليمات، ولها خبرة في إزاحة مَنْ يخرج عن بيت الطاعة كما فعلوا مع كل من يخالف تعليماتهم، فهي قادرة على إزاحة أي رئيس يخالف تعليماتها أو إزاحة أي جنرال

أو مسؤول أمني يخالف تعليماتها أو يعترض سبيل مهندس الهلال السامي كما حدث مع المصري [حسني مبارك].

يبقى أن نقول: إنَّ الكرة الآن في مرمى الشعب الطوارقي، هناك مناخٌ دولي مُساندٌ لقضيتهم، وهناك تغييرٌ في مواقف الكثير من دول المنطقة؛ لأن قرارات قيام الدول أو تغيير حدودها تتخذها القوى الكبرى. وأنَّ اللوبي الإسرائيلي فرض على فرنسا التي يوجد الطوارق ضمن منطقة نفوذها ومستعمراتها، ودعمت وصول مرشح موالٍ لإسرائيل لِنَقْد هذا المشروع. بقي أن يتحرك الطوارق داخل مالي والنيجر، ولن تطوقهم دول الجوار، ولن يفرض عليهم أحد اتفاقاً مُذِلًّا؛ لأنَّ القرارات تُتخذ من فوق دول الجوار.

وأخيرا نقول لشعبنا: إنَّ فرص الاستقلال الآن متاحة، وأنَّ عليهم فقط أن يكبروا ويتساموا عن الشَّخصنة أو الأناية. مشروع مكافحة الإرهاب الذي رفعه رئيس مالي [ATT] فشَل وقد أفشَلته منظمة AIPAC منظمة اللوبي الإسرائيلي. وقد أوصلوا لقصر الإليزي ساركوزي؛ ليؤدَّب رئيس مالي وحلفائه من الجنرالات، ومن يحاولون بناء قوة عسكرية إفريقية لتطويق أو ضرب الطوارق، كلُّ هؤلاء جاء ساركوزي ليؤدِّبهم. بقي أن يشعر الطوارق بأنَّ عليهم التحرك.

وكما قلنا في المقال السابق: السياسة علمٌ له قواعدٌ وأصولٌ التوازن الحراري، بعد فشل مشروع مكافحة الإرهاب يجب أن يعمل الجميع لتحقيق بناء دولة الطوارق ليكونوا أصحاب القرار في أرضهم، لا يقتلهم زنجي، ولا يؤلَّب الأمة العربية عليهم، ولا يجزُّ القوى الكبرى لمحاولة ضربهم باسم مكافحة الإرهاب" اهـ.

المقالة الثانية: "مشروع الهلال السامي تعزيزٌ للحلف الإنجلو- فرنكو- أمريكي"، أبو بكر الأنصاري¹⁵⁷.

"مَن يُتابع الشؤون الدولية يُلاحظ أنَّ مَن يُراهن على خلافٍ أو تضارب المصالح الأمريكية والفرنسية يجهل تماما العلاقات الدولية؛ فالقطب الأمريكي الواحد الذي يُهَيِّم عليه المحافظون الجدد يُحبُّون أن يظهرُوا أعضاء نادي المحافظين الجدد من القادة الأوروبيين على أنهم قادة دول عظمى. فهم يُحبُّون أن يَظهر ساركوزي على أنه صاحب الكلمة العليا في مناطق النفوذ الفرنسي. وأن يظهر رئيس الحكومة البريطانية بمظهر صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في الكومنويلث، وكلُّ ذلك بإسناد قُوَى من أمريكا. فلا تريد واشنطن أن يظهر ساركوزي بمظهر مَن يتلقَّى الأوامر من راييس وزيرة الخارجية الأمريكية.

عندما أُعلن مشروع الهلال السامي كان ساركوزي المرشح الأكثر تحمسا له لدوافع شخصية. وهكذا كان الأوفر حظا، وفاز بالانتخابات، وتنفيذ المشروع في مناطق النفوذ الفرنسي سوف يتمُّ بدعم وإسناد منه. وفي العلاقات الدولية التدخل الدولي لأي قضية لا يتمُّ إلا عبر قنوات الكبار فيما بينهم. فرئيس مالي لا يستطيع أن يجلب أمريكا لصراعه ضد الطوارق إلا بدعم دول كبرى، وهو ما جعله [يقوم بِـ] تسييس مكافحة الإرهاب، ويطلب دعم مصر والجزائر حتى جرت المناورات التي تمَّت العام الماضي.

157 - العدد: 1916 - 2007 / 5 / 15 - 11:22 المحور: القومية، المسألة القومية، حقوق الاقليات و حق

والمؤتمر الوطني لتحرير أزواد لا يستطيع إفضال برامج رئيس مالي إلا بمساعدة مَن هو أقوى من مصر والجزائر مثل اللوبي الإسرائيلي، ولترجيح كفة أي من الطرفين يجب حسم الموضوع عبر فرنسا المستعمر السابق وصاحبة النفوذ في المناطق الفرنكفونية. ومع إعلان مشروع الهلال السامي كان من الضروري أن يدعم اللوبي الإسرائيلي مرشحا يُرجح كفة استقلال الطوارق ويُلبغي مكافحة الإرهاب المستعملة ضدّهم .

وهكذا يخيب أمل من يراهن على وجود تنافس بين فرنسا وأمريكا؛ فالعلاقة الفرنسية الأمريكية هي مثل العلاقة البريطانية الأمريكية. وأن ساركوزي حليف لواشنطن، وأن فرنسا دولة عظمى في مستعمراتها بدعم لوجستي أمريكي. وأن المحافظين الجدد يحبون أن يظهر قادة الدول الأوروبية الموالين لهم بمظهر القادة العظام أصحاب القرار في مناطق نفوذهم .

إنّ الأسلوب الذي استُخدم في بناء دولة إسرائيل مرشّح للتكرار مع الطوارق، يقوم ساركوزي بإصدار وعدٍ بقيام دولة الطوارق على طريقة وعدٍ بلفور؛ لأن الطوارق في مناطق نفوذه الأفريقية، ثم ترعى واشنطن دولة الطوارق المستقلة كما رعت دولة إسرائيل، ويكون ما حدث في الشرق الأوسط من تثبيتٍ لدولة إسرائيل يتكرر في غرب إفريقيا تثبيتُ دولةٍ للطوارق بدعمٍ غربي، أولا فرنسا تبني الدولة ثم أمريكا تحميها من أطماع دول الجوار.

بقي أن تفهم دول الجوار أنّ الطوارق قرّروا الاستقلال ولن تستطيع قوّة منع ذلك، وعليهم أن يُكَيّفوا وضعهم مع ذلك. والفرق بين الطوارق واليهود أنّ الطوارق مسلمون على مذهب الإمام مالك وهم أصحاب الأرض. ولا يختلف اثنان على ملكيّتهم لأرضهم شمال مالي والنيجر، ولم يهجرُوا من أوروبا أو آسيا

بل هم أصحاب أرض قُسمت من فوقهم، والآن رئيس الدولة المستعمرة التي قَسَمتهم يمنحهم وطنا في الجزء الذي كان ضمّه للزنوج وهو شمال مالي والنيجر، بينما يبقى الجزء الموجود في الجزائر جزءاً من الجزائر، ويلعب طوارق الجزائر دورهم في الجزائر كمواطنين جزائريين، لا يحقّ لأحد الحديث باسمهم أو توريثهم في مشاكل، فهم جزائريون متمسكون بوطنهم، ونحن نُشجّعهم على وطنيتهم، ويُقربوا بين الجزائر ودولة الطوارق المستقلة، كما يُقرب البشتون في جنوب أفغانستان بين باكستان وأفغانستان .

خلاصة القول مشروع الهلال السامي يُوجّد المصالح البريطانية والفرنسية والأمريكية في الشرق الأوسط وشمال وغرب إفريقيا. وأن بريطانيا تُنقذ جزءها في الشرق الأوسط والكونغوليث، وفرنسا تُنقذ جزءها في إفريقيا، وأمريكا ترعى القوتين العظميين بريطانيا وفرنسا ضمن منظومتها الغربية الأطلسية. وأن بريطانيا وفرنسا تستمدان عظمتها في مناطق نفوذهما من الدعم اللوجستي الأمريكي " اهـ

المقالة الأخيرة: "قضية الطوارق بين فشل مكافحة الإرهاب وضرورة حقّ تقرير المصير"، أبوبكر الأنصاري⁽¹⁵⁸⁾.

" عند ما تجري فصول المؤامرة ضدّ شعبٍ بعيدا عن أضواء الإعلام، وتكون المعلومة شحيحة لا يتسرب منها سوى ما يكتبه صحفي وسياسي، وتكون كتاباته مصدرا وحيدا للأخبار قضية شعب يجري التأمُر ضده في صمت.

158 - العدد: 1901 - 2007 / 4 / 30 - 10:55 المحور: القومية , المسألة القومية , حقوق الاقليات وحق

إنَّ عدم تناول الفضائيات ووسائل الإعلام لمعاناة الطوارق ومؤامرة رئيس مالي مع بعض الأطراف جعل الكثيرين ممَّن لا يرون أخبار الطوارق على الفضائيات يظنُّون أنَّ ما يقال عن إهتمام أمريكي بالموضوع مُجرَّد خيال واسع لكاتب طموح يريد الشهرة، في حين أنَّ هذه الشهرة لم تجلب له سوى المضايقات الأمنية من طرف أجهزة مخابرات المتورِّطين في هذه المؤامرة.

إنَّ هذا الخيال للكاتب الذي يصفه خصومه بالباحث عن الشهرة أحبط مؤامرة عظيمة ضدَّ هذا الشعب، وهي مؤامرة مكافحة الإرهاب خصوصا إذا علمنا أنَّ الانترنت مصدر رئيسي لجمع المعلومات، وبه غيَّرتنا النظرة السلبية التي أشاعتها مالي ضدنا. ودعونا نعود قليلا منذ انتخاب رئيس مالي عام 2002 في انتخابات مُزوّرة بعد أقل من عام على أحداث 11 سبتمبر، وكيف دبَّر مع قادة المؤسسة العسكرية الجزائرية ومع مؤسسة جيمي كارتر وحلفائه والزوج الأمريكيين مؤامرة تليفيق الأكاذيب والادِّعاء بأنَّ هناك تواجدا كاذبا لتنظيم القاعدة شمال مالي، وهو ما دفع وسائل الإعلام الجزائرية التي يهيمن عليها الجنرالات لترويج أكاذيب وجود تحالف بين بعض المجموعات الطوارقية والمعارضة الإسلامية الجزائرية⁽¹⁵⁹⁾ وكيف قادت واشنطن مناورات عسكرية على الحدود المالية - الموريتانية - الجزائرية .

ثم جاء مهرجان تمبكتو الذي ألقى فيه القذافي خطابا اعتبرته الجزائر مُحَرِّضا للطوارق على الثورة على حكومات المنطقة (...) وظهر المؤتمر الوطني لتحرير أزواد، وبدأت أجهزة مخابرات الدول التي ترصد المنطقة وخاصة أمريكا تُراقب ما ينشره رئيس المؤتمر الوطني لتحرير أزواد وما يكتبه من سرد للواقع

¹⁵⁹ - سيأتي دحضُ زعمه هذا، وإثباتُ حقيقة هذين اللذين يحاول نفيهما.

الطوارقي عبر مُدوّنته وعبر مواقع أخرى، وبدأت الخارجية الأمريكية تراقب باهتمام طرحه مشروعه الهلال السامي، وبدأت ترصد ردود فعل دول المنطقة، وتراقب سلوك مخابراتها تجاه هذا التنظيم الذي يُردِّد الأمازيغ والأكراد صدى مقالاته. وأصبح رئيس هذا التنظيم موضع اهتمام الأمريكيين للأفكار الجريئة التي يطرحها وسط بيئة شعبية تعتبرها خروجا عن المألوف. وبدأت دوائر صنع القرار الأمريكي تقترب منه؛ لأنه رُوِّج للمبادرة العربية. وأضعف مشاعر العداة لإسرائيل بعد حربها ضدَّ حزب الله في نفوس شعب الطوارق الذي كانت مالي وبعض حلفائها تُروِّج لعلاقتهم بالتطرف، وأخرجت مقالاته المتآمريين على الطوارق، فماذا يستطيع رئيس مالي وجنرالات الجزائر أن يقولوا لأجهزة المخابرات الأمريكية ضد الطوارق هل يقولون لهم: ساعدونا لضرب الطوارق الراغبين في التحالف مع إسرائيل ضمن مشروع الهلال السامي؟ وماذا يمكن لرئيس مالي وجنرالات الجزائر قوله عن أبو بكر الأنصاري للأمريكيين ساعدونا ضدَّ مَنْ يطرح مشروع الهلال السامي لبناء حلف بين الطوارق واليهود والأكراد على أساس أنهم ضحايا للمذابح والمحرقَة والأسلحة الكيماوية؟ ويجب أن ينصرهم الله كما وعد بنصرة المستضعفين.

إنَّنا عندما نُساند مشروع الوثام المدني لنصرة بوتفليقة ضدَّ رئيس المخابرات العسكرية الجزائري إنما نُقوي شرفاء الجزائر ضدَّ مَنْ يستبيحون دم الجزائريين بحجة مكافحة الإرهاب، ويوسِّعون نشاطهم لاستباحة الدم الطوارقي بالحجة ذاتها .

لقد أحدثت مقالاتنا ثورة في نظرة الغرب والعالم العربي لقضيتنا، وبدأت الجزائر عبر مؤسسة الرئاسة تنحاز لحق الطوارق في تقرير المصير. إنَّ المحافظين

الجدد في أميركا أغلهم كُتَّاب وأكاديميون يرسمون لمن في البيت الأبيض والكونجرس السياسات عبر مراسلاتهم مع خبراء في كلِّ ملف. وليس من المستغرب أن يتواصل المحافظون الجدد المهتمون بالقضايا المغربية وقضايا مكافحة الإرهاب بكتاب وسياسي طوارقي لديه الاستعداد لطرح فكرة مشروع الهلال السامي والأخذ بكلامه في تحديد موقف الإدارة الأمريكية والكونجرس من هذه القضية أو تلك.

ما يهمني شخصيا هو حماية أرواح شعبنا من مؤامرة مكافحة الإرهاب وردع أجهزة مخابرات المتآمرين ضدَّ الطوارق بحيث لا يستطيع مدير المخابرات العسكرية الجزائرية أن يكتب تقريرا أو يضايق سياسيا طوارقيا مُزَكِّي من طرف AIPAC أكبر منظمات اللوبي الإسرائيلي الأمريكي؛ لأنه يعرف أنه سيدفع رقبته أو منصبه ثمنا لذلك، وسيكون محترما في تعاطيه مع الطوارق عندما يعرف أن واحدا منهم يستطيع برسالة منه لواشنطن أن يقضي على مستقبله نهائيا؛ لأنَّ ردع أمثال هؤلاء بالحديث العلني عن تلك المنظمات يجعله يتوب عن ربط الطوارق بتنظيم القاعدة أو الجماعة السلفية، ويعلم أنه ومؤسسته العسكرية أو المخابراتية أقزام أمام عدالة وعظمة قضية مثل القضية الطوارقية. نعم نحن نُزَكِّي المصالحة في الجزائرية وأنا شخصيا أعدم وأساند عبد العزيز بوتفليقة ليضمّد جراح الجزائر ويخرجها من المستنقع الذي وضعها فيه الجنرالات، وأنَّ جزائر قوية برئاسة رئيس نظيف مثل بوتفليقة أضمن للطوارق من قذارة الجنرالات الذين اقتصوا لفرنسا من أبناء (1.5) مليون شهيد في حرب قذرة هبوا فيها ثروة الجزائر، وقتلوا أبناءها، واغتصبوا نساءها، ثم دعموا رئيس مالي أمادو توماني توري ليفعل بأهلهم الطوارق الشيء ذاته الذي فعلوه هم مع مَنْ صوّت عقابيا بكل حرية ضد الفساد ونهب المال .

لقد باتت الحكومات المغربية مُقتنعة بأنَّ أمنها القومي ولعبها أدوارا إقليمية ودولية يكمن في نصرة قضية الطوارق، وأنَّ مَنْ ساند رئيس مالي داخل الجزائر هم حُثالة الجزائر من الجنرالات عديمي الوطنية والإحساس بالمسؤولية، وأنَّ الشعب والرئيس النظيف منهم أبرياء.

وأنَّ المؤتمر الوطني لتحرير أزواد ورئيسه أبوبكر الأنصاري يعلنون بكل مسؤولية ووطنية دعم مشروع الوثام المدني "المصالحة الجزائرية" وتضميد جراح الجزائر، ويدعون الجميع داخل الجزائر لمساندة بوتفليقة ولا تأخذهم في ذلك لومة لائم. فالحق يعلو ولا يُعلى عليه. وهذا الرجل جاء لينقذ الجزائر ويعيد لها مجدها، وهو يريد للطوارق في مالي والنيجر من الخير مثلما يريد لشعب الجزائر؛ لأنه عاصر حقبة الجهاد المشترك للطوارق والجزائريين ضد فرنسا" اهـ

إنَّكَ لَتَجِد في كلِّ ما يقوله صدى عاليا، وتنفيذا بالحدافير، وكشفا دقيقا لعدّة حقائق تُخفى عن العامّة وعن كثير من الخاصّة دوليا وإقليميا ومحليا؛ فليس ما جاء عنه خاصا به، بل هو -كما رأيت- خطّة واستراتيجية لجميع الانفصاليين وداعميهم:

❖ اللاعبون الأساس في تمرّد الطوارق بمالي والنيجر. بأسمائهم ومناصبهم ونشاطاتهم إقليميا ودوليا، والدعم السياسي، والإعلامي، والمادي والمعنوي، والاستراتيجي، والعسكري، التي يقومون بها.

❖ الهدف الأساس دولة أو دول للطوارق، والمنهج في إقامتها هو منهج إقامة دولة إسرائيل في فلسطين "إنَّ الأسلوب الذي استُخدم في بناء دولة إسرائيل مرشّح للتكرار مع الطوارق، يقوم ساركوزي بإصدار وعدٍ بقيام دولة الطوارق

على طريقة وعدِ بلفور؛ لأن الطوارق في مناطق نفوذه الأفريقية، ثم ترعى واشنطن دولة الطوارق المستقلة كما رعت دولة إسرائيل، ويكون ما حدث في الشرق الأوسط من تثبيت لدولة إسرائيل يتكرر في غرب إفريقيا، تثبتت دولة للطوارق بدعم غربي، أولا فرنسا تبني الدولة ثم أمريكا تحميها من أطماع دول الجوار". وأكبر ماوى للانفصاليين العلمانيين والبراليين الطوارق والعرب هو فرنسا وبعض الدول الغربية، إنَّ "جبهة تحرير (أزواد) الموجودة في فرنسا، وهي جبهة علمانية تدعمها بعض الدول الخارجية"⁽¹⁶⁰⁾. ويرتج رئيسها لكثير من القضايا التي تسعى الدول التي ذكرها في تنزيلا أو فرضها على المسلمين وتقرب من يروج لها ويدافع عنها، وقد صرح من قبل أنه مروّح لما سمّاه بالمبادرة العربية في تكوين علاقات مع دولة إسرائيل، والتهوين مع خطرهما على بلادهم أو المسلمين.

ولنستنطق التاريخ والجغرافيا عن دولة لهم في المنطقة وقد كفاك البحث أيها القارئ الكريم ما سطره أحد المؤيدين لقضية الانفصال عن عدم إقامتهم دولة على مدى تاريخهم وعن أبرز العوائق: "التظاهر بالعظمة وتضخيم الأنا"، والاستماتة في سبيل الزعامة والقيادة، والطائفية القبلية، والولاء المطلق للقبيلة وما أكثر قبائلهم. يقول إكناته ولد النقره: إنَّ الطوارق "لم يعرفوا قيام كيان سياسي موحد يرقى إلى مستوى الدولة المستقلة التي تتمتع بمقومات البقاء، والاستمرارية، وسط محيط سياسي يموج بالتقلبات والتغيرات. وإن تمتعت بعض الحواضر الطوارقية والكيانات القبلية المسماة "بالسلطنات" بحكم ذاتي مستقل،

تخلّته صراعات وحروب مع أبناء الجيران من ممالك السودان التي ظلّت لها اليد الطولى بالمنطقة حتى مجيء الاستعمار الفرنسي الغاشم"⁽¹⁶¹⁾.

وتحدّث عن ازدواجية العلاقة بين القبيلة والدولة عندهم قديما وحديثا في كلّ الدول التي يعيشون فيها بالمنطقة. من أسبابها العوائق المذكورة، وأثارها سلبية في علاقتها بغيرهم شعوبا وقبائل ودولا؛ فقال: "قد لا يكون من قبيل المبالغة القول: إنَّ المجتمع الطارقي هو مجتمع قبلي قلبا وقالبا، حيث تُشكّل القبيلة-لا الدولة- الأصرة الأقوى التي تنحل فيها كلّ ولايات الأفراد ومظاهر التبعية والانقياد لديهم؛ فيظهرون حيمهم الشديد لها، واستعدادهم الفطري للتضحية في سبيلها بكلّ غالٍ ورخيص. وهذا الولاء للقبيلة والعشيرة وتقديما على ما سواها قد يفسّر جانبا من الصعوبات التي تعترض الجهود التي تدّعي بعض الأطراف بذلّها في سبيل اندماج الطوارق الطوعي في النسيج المجتمعي للبلدان التي ينتمون إليها، وتغلب عليها في أكثر الأحيان مكونات عرقية لا تقاسمهم-بالضرورة- الانتماء لذات الأرومة والمنظومة الهوتية"⁽¹⁶²⁾.

وتمرداتهم في مالي، والنيجر، والجزائر، والمغرب، وليبيا -رغم المكاسب الكثيرة التي حقّقوها بسببها- أكبر شاهد وأقوى دليل على ما قاله. وكذلك الصراع الشديد بين قبائلهم.

يضيف إكناته إلى القبلية بعض العوامل الجبلية، والسياسية، والثقافية، والموقف من الآخر: "هذا التحامي بالقبيلة والإعلاء من وشيحتها لم يولد لدى الطوارق من فراغ لطبيعة الحال، وإنّما كان نتاج تضافر مجموعة مختلفة من

¹⁶¹ - الطوارق من الهوية إلى القضية/55

¹⁶² - الطوارق من الهوية إلى القضية/77

¹⁶⁰ - قراءات إفريقية، عدد 16، ربيع الآخر-جمادى الآخرة 1434هـ أبريل-يونيو 2013م/2 (الافتتاحية)

الظروف والعوامل الطبيعية والسوسيو ثقافية، والتي جعلت منه -مجتمعة- عقيدة راسخة تتوارثها أجيال الطوارق كابرا عن كابر" (163).

الهدف الحقيقي والأساس -إذن- غير المعلن لعامة الرأي العام العربي والإسلامي والأفريقي وغيرها، المالي بكل شعوبه الطارقي وغيرهم، والإقليمي، والدولي، هو دولة طائفية للطوارق وليس معاناة شعوب الشمال أو تهمة من المنطقة من حيث الخدمات. وكذلك الوسائل والمخططات الخبيثة المغلفة بالخداع والنفاق. لكن يتم -دولياً- في كل قضية تمسُّ بلدا إسلامياً "الالتكأء إلى مظالم وقعت على الشعوب خلال مراحل التدهور الأخيرة من عمر الدولة الإسلامية [دولة الخلافة]: لتأجيج الحالة التفكيكية تجاه جميع الدول التي كانت منضوية ضمن تاريخ هذا الإطار" (164). لا سيما إذا كان فيها أقلية مستعدة لدعم مشروعات الغرب التدميرية من أجل وعود بالانفصال والاستقلال.

❖ الوُسطاء غير الأمناء في الإشراف على حوار ومفاوضات بين حكومات مالي والتمرددين الطوارق والعرب لإنهاء التمرد -وهم هم في كل التمردات السابقة- يُظهرون دائما وجهين متناقضين، على غرار ما جاء فيمن وصفهم الله في آيات سورة البقرة [14-20] من قوله تعالى: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شِيَابِنِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ...}}.

هؤلاء الوسطاء غير الأمناء هم -أيضا- أبرز اللاعبين السابقين. فرنسا "سوف يُطبَّق ساركوزي الجزء المتعلق بمشروع الهلال السامي في إفريقيا وهو

بناء دولة الطوارق شمال مالي والنيجر، وسوف يدعم المقاومة الطوارقية، ويصدر وعد ساركوزي على وزن وعد بلفور لبناء دولة الطوارق". وفق الخطة السابقة. "والآن رئيس الدولة المستعمرة التي قسمتهم يمنحهم وطنا في الجزء الذي كان ضمه للزوج وهو شمال مالي والنيجر، بينما يبقى الجزء الموجود في الجزائر جزء من الجزائر"، وفي ظل حكمه "بدأت الجزائر وإذا ذهبنا إلى أرض الواقع وجدنا:

1- أن فرنسا هي الكل في الكل فحتى قيادة قوات الأمم المتحدة، والمسؤولون التنفيذيون من فرنسا.
2- حرمت على حكومة مالي أي طيران في مجال الجوي لشمال مالي من كونا حتى حدود الجزائر، يشمل هذا الرمان، الطائرات الفرنسية قبل الموعد بـ 24 ساعة وفرنسا هي التي تسيطر على مطارات في الشمال تنزل فيها الطائرات بداية سطر جديد من فرنسا مباشرة بدون علم من حكومة مالي ولا إذن.

يقول الأنصاري "وهذا الرجل [بوتفليقة] جاء لينفذ الجزائر ويعيد لها مجدها، وهو يريد للطوارق في مالي والنيجر من الخير مثلما يريد لشعب الجزائر".

عبر مؤسسة الرئاسة تنحاز لحق الطوارق في تقرير المصير". "وأنّ جزائر قوية برئاسة رئيس نظيف مثل بوتفليقة أضمن للطوارق من قذارة الجنرلات". هذا حقيقة الدولة الراعية للمفاوضات في كل التمردات؟؟؟

وليبيا أيام القذافي الذي ألقى عام 2006م خطابا في مهرجان تمبكتو والاحتفال بالمولد النبوي عبّرفيه عن معاناة إخوانه الطوارق والعرب وضرورة

163 - المرجع نفسه/72

164 - البيان عدد 395 (مرجع سابق)/22

انتهائها. فاعتبرته الجزائر مُحَرِّضًا للطوارق على الثورة على حكومات المنطقة. "واتُّمِّمَ فيها عبر أطراف مائيّة بدعم حركات التمرد الطوارقية. وقد صرَّح بذلك حسن فَاغَا، الذي كان نائبا في البرلمان الماليّ، وأحد قيادات حركة التمرد في شمال مالي، حيث قال: لقد تدربنا عند القذافي، وقال لنا: أن نقوم بالثورة في مالي والنيجر ضدّ الحكومات. الطوارق في مالي والنيجر مجموعة واحدة، عند الصراع في مالي بين الطوارق والحكومة على الطوارق في النيجر مساعدتهم، وكذلك العكس" (165). فأين التهمة للقذافي وهذه شهادة فَاغَا على التدريب في معسكراته، وعلى تحريضه لهم بالثورة على حكومتي مالي والنيجر، دون الجزائر وموريتانيا، وتوصيته لهم بالتنسيق بين مجموعاتهم في الدولتين عند الصراع والثورة؟؟؟

لقد جاءت الاستجابة سريعة لطلب القذافي؛ "ففي عام 2007م وقع تمرد متزامن للطوارق في كيدال بشمال شرقي البلاد مع آخر في أغادير بشمال النيجر استمرّ حتى عام 2009م. نفَّذ التمردان تحالفًا للمتمردين من البلدين؛ رفضا منهم لاتِّفاق السلام بالجزائر الموقع في العام السابق [2006م]" (166).

"وبين عامي 2011-2013م ترك مئات العسكريين والمدنيين من الطوارق وظائفهم في الحكومة بطريقة غير شرعية، وذهبوا لمساندة القذافي الذي يُعتبر زعيمهم أو الداعم الرئيس لهم. وهو ما يؤكد تورُّط القذافي في القضية، وقد أسفر سقوط نظام القذافي عن عودة الآلاف من الطوارق المقاتلين في جيش القذافي إلى

¹⁶⁵ - النزاع المسلح في مالي إبراهيم كونتاو، قراءات إفريقية، عدد 16، (مرجع سابق)/33(نقلا عن الأزمة السياسية في مالي، مادي إبراهيم كانت، دراسات أفراق إفريقية/110، ولم أقف عليه). وانظر: الطوارق من الهوية إلى القضية/122

¹⁶⁶ - المرجع نفسه والصفحة.

شمال مالي مُدَجِّجين بأسلحتهم الثقيلة، وتعاملت معهم الدولة بوصفهم مواطنين ماليين عادوا إلى بلدهم، لكنهم كَوَّنوا نواة التمرد الجديد الساري [2012م] والذي يهدف إلى إقامة دولة علمانية للطوارق" (167) والعرب.

تقول بعض المصادر: إنّ عددا من الطوارق والعرب يبلغ "حوالي(1600) ألف وستمئة مقاتل أنفقت الولايات المتحدة (600) ستمئة مليون دولار على تدريبهم وإعدادهم ليحاربوا القاعدة ضمن جيش مالي، ولم يلبثوا أن انضموا إلى القاعدة" وحليفها أنصار الدين وإلى الحركة الانفصالية هذه (168).

من الأمثلة الحيّة الحديثة جدًّا لمثل هذا الهروب والخيانة أنّ جيش إعادة البناء (مصطلح استُعمل لأفراد من الجيش الرسمي وأفراد من المتمردين الموقعين على اتِّفاقية 2015م) أرسلت دفعته الأولى إلى كيدال تحركت من غاو بتاريخ 10 فبراير 2020م، ووصلت كيدال في 13 فبراير، تحت حراسة مُشدّدة ومهينة من قوَّات الأمم المتَّحدة، ووسط ضجّة إعلامية هائلة محليًّا، وإقليميًا، ودوليًّا. ثمّ ماذا؟ أوّلا: حَجَزوهم -ولا يزالون- في قاعدة عسكرية في مدينة كيدال تحت حراسة القوَّات التشادية، لا يستطيعون الخروج منها. ثانيا: وهو المصيبة الكبرى المتكرّرة- العودة إلى الخيانات السابقة حيثُ بدأت أفراد من CMA يهربون من القاعدة وبكامل عتادهم، ولم يحرك أحد ساكننا، لا الحكومة، ولا فرنسا والأمم المتَّحدة، ولا CMA. أمّا الدفعة الثانية فلم تصل إلى الآن بسبب رفض حركة CMA وفرنسا،

¹⁶⁷ - قراءات إفريقية عدد 16/33-34

¹⁶⁸ - المرجع نفسه/65، بحث: (التداعيات الاقتصادية على القضية المالية، د.عصام عبد الشافي)

واشتراط شرط جديد وهو أن تكون القيادة لضابط من الحركات الطارقية والعربية المنضوية تحتها!!!!

ومن الوسطاء غير الأمناء: بعض المنظمات الإقليمية والدولية التي تتشدق بنشر السلام والتعايش السلمي، واحترام سيادة الدول ووحدتها. وكذلك بعض الهيئات والمؤسسات الإسلامية.

بعد اتفاقية 2015م البائرة كان هناك تسابق مع الزمن قبل انتهاء الفترة الثانية للرئيس IBK لتثبيت أقدامهم بقيادة الحكومة وCMA ليس في الشمال بل في أغلب أجهزة الدولة النافذة، فكونت منطقتان جديدتان توديني للعرب وميناكا للطوارق، حتى إن الانتخابات البرلمانية أجريت بالقوة برغم الظروف الأمنية والاقتصادية السيئة، ومرض كورونا وتعليق كل الأنشطة، والدراسة، وتقييد الحركة، والضعف الشديد في المشاركة، كل ذلك من أجل انتخاب أناس لا ضمير لأغلبهم، عملاء، سيعملون بجدي لتغيير الدستور لخدمة تلك الاتفاقية... الخ

أما من عارض هذه الخطة الخبيثة لإقامة دولة الطوارق أو أراد الوقوف في وجه تنفيذها فسيدفع الثمن غالبا أيًا كان؛ لأنه كما يقول أبو بكر الأنصاري "يعرف أنه سيدفع رقبته أو منصبه ثمنا لذلك، وسيكون محترما في تعاطيه مع الطوارق عندما يعرف أن واحدا منهم [أبا بكر الأنصاري وأشياعه] يستطيع برسالة منه لواشنطن [أو لفرنسا] أن يقضي على مستقبله نهائيا؛ لأن ردع أمثال هؤلاء بالحديث العلني عن تلك المنظمات يجعله يتوب عن ربط الطوارق بتنظيم القاعدة أو الجماعة السلفية، ويعلم أنه ومؤسسته العسكرية أو المخبرانية أقزام أمام عدالة وعظمة قضية مثل القضية الطوارقية!!!!".

❖ وتجد في مقالات أبي بكر الأنصاري صدق صادق، واضحا وقويا، وسعيا حثيثا " لبناء حلف بين الطوارق واليهود والأكراد على أساس أنهم ضحايا للمذابح والمحرقه والأسلحة الكيميائية"، والضرورة القصوى لاستعمال كل الوسائل والأساليب واستغلال ما يجري في العالم بعد الفوضى الخلاقة؛ ف"هناك مناخ دولي مساند لقضيتهم، وهناك تغيير في مواقف الكثير من دول المنطقة" وقد تحقّق لليهود والأكراد ما أرادوا؛ فيجب أن يسير أمر الطوارق في خطاهما بالحدافير. وتجد فيها إسراع الخطى والحراك في سبيل تحقيق مشروع "تفتيت العالم الإسلامي من باكستان إلى المغرب" لـ "برنارد لويس BERNARD LOUIS" الذي سبق الحديث عنه، وكيف شاركت كل الحركات المسلحة -عن قرب أو بعد- في تنفيذ جانب منه. فهو الذي يقول فيه: "العرب المسلمون قوم فاسدون ومفسدون، فوضيئون، لا يمكن تحضّرهم"؛ "ولذلك فإنّ الحلّ السليم للتعامل معهم هو إعادة احتلالهم واستعمارهم، وتدمير ثقافتهم الدينية وتطبيقاتها الاجتماعية". "إنّه من الضروري إعادة تقسيم الأقطار العربية والإسلامية إلى وحدات عشائرية، وطائفية، ولا داعي لمراعاة خواطهم أو التأثير بانفعالاتهم وردود الأفعال عندهم". "ولذلك يجب تضيق الخناق على هذه الشعوب ومحاصرتها، واستثمار التناقضات العرقية، والعصبيات القبلية والطائفية فيها"⁽¹⁶⁹⁾.

¹⁶⁹ - مقال: مخطط تفتيت العالم العربي والإسلامي، فتحي شهاب الدين، وتفصيل السيرة الذاتية ومشروعه في الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

"لقد كان التقسيم حاجةً للدول الاستعمارية بالأساس لإحكام السيطرة على كلِّ دولة على حدة، ولتعيين الحدود بين المحتلِّين المتنافسين والمتصارعين أنفسهم" (170).

"إنَّ الفوضى الخلاقة هي السياسة الأمريكية التي وعدت الولايات المتحدة بها دول العالم الإسلامية لنشر الصراعات والقتال. والفوضى التي تدمر مقومات الدول، وتجعل الكيانات الموجودة في أضعف حالاتها. لا تستطيع أن تقوم بنفسها، ومن ثمَّ تضطرَّ إلى طلب الحماية والعون من هذه الدول الاستعمارية، كما ستحوّل القوى والجيش الموجودة في تلك الدول إلى مليشيات لا تستطيع أن تحمي أحدا حتى نفسها، والنتيجة دمار شامل، وقتلى لا حصر لهم، ولاجئون ومُستَتمون في صحراء جرداء" (171). ما الذي في هذه الفوضى الموصوفة بدقة لم نشهده في أزمة مالي من قبل الانفصاليين والجهاديين وداعمهم؟؟؟ بل ما حصل أبشع وأشدَّ. لا يُستبعد أن يستحقَّ وصف أحد الكُتَّاب لها بـ"حرب إبادة جماعية فرنسية" للسونغاي في مالي والنيجر وبوركينا فاسو على غرار ما فعلته في رواندا، والفارق الوحيد أنَّ فرنسا تولَّتها بنفسها في رواندا، ويتولَّها عنها -هنا- وكلاؤها الحركات الانفصالية، والجهادية، ومن دسَّتهم فيه (172). وكذلك فتنة الاقتتال بين الفلانين والكادويين (دغونو) المدبَّر بليلى وعلى أيدي مستأجرين ومخابرات.

170 - البيان عدد 395 (مرجع سابق)/22

171 - قراءات إفريقية عدد 16 (مرجع سابق)/3 قضية مالي ومستقبل المنطقة، التحرير.

172 - NAZISME ET GENOCIDE AU SAHEL : LE PLAN DE LA France CONTRE LES SONGHAY ; ALI -

DIARRA, LA LETTRE DU MALI, 7 AVRIL 2021

"يتخلَّص كلُّ ما يجري منذ نحو (10) سنوات في دول العالم الإسلامي في مقولة إعادة التأسيس، مع اختلاف التوجهات، والأهداف، والأسس؛ لإعادة التأسيس تلك. سواء ما يجري على صعيد التبدُّلات في نُظم الحكم من داخلها وتغيير اتجاهات حركتها، أم على صعيد الحراك الشعبي، أم على صعيد أنماط الحركة الخارجية الموجهة للدول والمجتمعات" (173)، وللحركات المتمردة، وغيرها.

ترتبط إعادة التأسيس هذه أو إعادة البناء بعدة قضايا أساس ومهمّة، كقضية المشروعات الداخلية نظرا للتوترات والتمردات إلى درجة التفكيك وقضية المؤسسة في بناء أجهزة الدول وضمَّ أفراد إليها بطرق غير المعتادة. وقضية هوية الدولة أو علاقة الدولة بهوية المجتمع ومضامين الاستقلال الحضاري، وعلاقة الهوية بالسياسات والاستراتيجيات... إلخ (174). وكلُّها تُزعزع الدولة، وتجعل أمنها واستقرارها، ووحدها، وتماسك المجتمع، في خطر شديد. بسبب فئات متظلمة وما هي بمظلومة لكنها خادمة لأجندة خارجية، لا تفتأ تستخدمها بين الفينة والأخرى.

إذا كانت الحركة الانفصالية MNLA قد حدَّدت بدقة هويتها القومية - كما تقدَّم - فإنَّها لم تُظهر - في البداية - هويتها الفكرية، لا دينية ولا غيرها. وليس ذلك بمُستغرب؛ بسبب سيطرة الهوية القومية الضيقة عليها، وهي الأساس في انطلاقها واستمداداتها، لكن تحت ضغوط المنظمات والدول الغربية التي فتحت لها أبوابها - كما في مقالات أبي بكر الأنصاري - التي تسعى لكسب ودِّها ودعمها دولياً، والتي ترفض تحالفها مع الحركات الجهادية على أرض الواقع والعمليات العسكرية

173 - البيان عدد 395 (مرجع سابق)/27

174 - انظر: السابق والصفحة

وغيرهما. اضطرت الحركة الانفصالية بسبب تلك الضغوط في أخرة أي بعد السيطرة على مدن الشمال والحرب المعلنة على الجهادية، إلى إعلان علمانيتها. يقول محمد الحافظ: "لم تحسم الحركة هويتها الفكرية وإن كانت في إطار سعيها لتمييز نفسها عن التنظيمات الإسلامية المسلحة تبنت التعبير عن اختيارها للعلمانية، ورؤية الفصل بين الدين والدولة. ودفعها سعيها لتطوير علاقاتها بالدول الغربية إلى إبراز هذه الهوية؛ خدمة للمشروع الكلي، وإن كانت المنازع الفكرية والإيدولوجية داخل هذا التنظيم ضعيفة؛ نظرا لطبيعة التأسيس والأهداف المرتكزة على الحقوق الجهادية والعرقية بوصفها محركا رئيسيا لمجمل الفعل السياسي قبل أي اختيارات أخرى سياسية أو إيدولوجية" (175).

"شكّلت الحرب الليبية فرصة للطوارق [العاملين في جيش القذافي] لتهديب السلاح إلى الإقليم من أجل التمهيد للثورة، وفعلا ما إن تخلخلت سيطرة النظام الليبي حتى بدأت الفصائل والقبائل والمجموعات العسكرية نقل كل ما تقدر عليه من أليات قتالية وعسكرية إلى الإقليم عبر دروب الصحراء ومسالكها الوعرة" (176)، وحدود بعض دول الجوار. وسهّلت حكومة الرئيس ATT العملية؛ إذ اعتبرتهم مواطنين عائدين إلى وطنهم وأنهم سيخدمونه، حتى قيل: إنه توسّط لدى حكومة النيجر بالسماح لهم بالعبور إلى مالي بكل أسلحتهم من ليبيا.

أعلنت الحركة من طرفها فحسب قيام دولة ستمها (أزواد) في 2012/4/6م، واتخذت من مدينة غاو عاصمة لها. لكن في ظل بروز القومية العرقية وسيطرة الإيفوغاسية والإيدنانية عليها، ومعارضة حلفائها من الحركات الجهادية، ومجموعات طارقية وعربية أخرى، والقوميات الأخرى ذات الغالبية في

175 - مالي عودة الاستعمار القديم مجموعة أبحاث/120

176 - المرجع نفسه/116

شمال مالي وبخاصة السنغاي والفلان وغيرهما، ومنظمات داخلية وإقليمية ودولية، وحتى بعض الدول المجاورة الداعمة لهم التي تخشى على بعض أجزائها من المصير نفسه كالجزائر وموريتانيا، والمغرب، في ظل كل أولئك وبرغم محاولات الحركة تطعيمها لنفسها بعناصر وأفراد من مجموعات أخرى، لا يصل عددهم أصابع اليد الواحدة. وجدت مواجهة قوية لإحراكها العسكري، والانفصالي، والاجتماعي، الداخلي والإقليمي والدولي (177).

يقول أحد الكتاب: "حاولت الحركة أن تكون مشروعا وطنيا جامعاً، ومستقطبا لكل الفسيفساء العرقية في الإقليم، لكن حقيقة هيمنة ساسة قبائل الإيدنان الطوارقية على التنظيم وجناحه العسكري [والسياسي] جعل وجود المجموعات الأخرى هو من باب التنوع الفوقي في تحالف الحركة؛ لتطعيم الحضور الطوارقي بعناصر أخرى من الإقليم، خصوصا من العرب والسونغاي" (178).

والحق أنها لم تحاول أي مشروع وطني أو إقليمي؛ لأنها لم تستشر العرقيات الأخرى في قيامها، واختارت من اختارت بعناية فائقة إمّا مغرور بهم، أو فاقد الانتماء لجنسه ووطنه، أو جار وراء سراب من المجد والثراء... إلخ. ومجموع الثلاثة أقل من أصابع اليد الواحدة، وقد صاروا كالمستجير من الرمضاء بالنار، ومبتغي الصيد في عريسة الأسد. فقد قتلوا من يعذر بعضهم غيلة كمحمد جبري ميغا وسيدي إبراهيم سديا ...

نمّ جرت الرياح بما لا تشتهي السفن في علاقة الحركة الانفصالية بالحركات المسلحة الجهادية التي ساندتها وبخاصة حركة التوحيد والجهاد في غرب أفريقيا، وقاعدة المغرب الإسلامي، وأنصار الدين الإيدانية؛ فهي التي سيطرت فعليا على

177 - انظر: مالي وعودة الاستعمار القديم/121

178 - المرجع السابق/120

المدن الكبرى المحتلّة، وهي التي سيّرت شؤونها، والرافضة لفكرة الانفصال والاستقلال؛ إذ كان هدفها الأساس تطبيق الشريعة، ليس في الشمال فحسب بل في كلّ التراب الماليّ الذي يسكنه قرابة 95% خمسة وتسعين من المئة من المسلمين.

فُحصرت الحركة في كيدال بعد المعارك العنيفة بينها وبين الحركات الجهادية في غاو؛ للاختلاف القومي، والإيدولوجي بينهما (مُتمسِّلمٌ ومُتعلِّمٌ)؛ ولتأييد الأولى لفرنسا في الحرب عليها، بل استعدادها المطلق لمساعدة القوات الفرنسية والدولية وترشيدها. وإذ صارت آله لفرنسا والقوات الأممية وضعت نفسها -ولا تزال- حتى بعض اتّفاقيّة 2015م مع الحكومة في مواقف متناقضة شعبياً ومالياً ودولياً؛ "فهي لم تُقبل من طرف الفرنسيين والماليين كشريك موثوق، وتعتبرها القاعدة وأنصار الدين تنظيماً مُستلباً لا يملك إرادة ولا رؤية منفردة للمضيّ قدماً في إنجاز مشروع تحرير الإقليم، ولن تخرج الحركة بكسب المشاعر والقلوب في شعبيها، وهي تتبع خطاباً إعلامياً متفرجاً على الحرب ويعلن مساندة لها، دون مكسب سياسي مقنع يُسوِّغ هذه المواقف المناقضة للقناعات والمشاعر الوطنية"⁽¹⁷⁹⁾ وللقوميّة العرقية التي تَشَتَّت لاجئين في الدول المجاورة، وضُربت مصالحتها بعرض الحائط لصالح المصالح الشخصية المادية والمنصبية للقيادات. ثمّ تحوّل اسمها إلى سيما CMA مع التوقيع على اتّفاقيّة الجزائر 2015م.

وفي شهري أفريل ومايو 2021م اتّحدت كلّ الحركات الطارقيّة -الأجنحة العسكريّة والسياسية - بعد انحصار رئاساتها فيهم، بلال أغ شريف CMA بعد اغتيال سيدي إبراهيم ولد سيديا في بماكو 13 مايو 2021م 1 رمضان 1442هـ، والبلاتفورم Plate-forme الموقّعة على اتّفاقيّة الجزائر

2015م بعد نقل رئاستها إلى أحدهم حيث عُيّن رئيسها الأوّل المحامي هارون توري وزيراً في الحكومة الانتقاليّة، والبلاتفورم Plate-forme برئاسة الجنرال الحاج غامو التي كانت توصف -إلى عهد قريب جداً- بالموالية للحكومات الماليّة. وقد تمّ الاتّحاد بينها بتوقيع تعاهدات واتّفاقيات بينهم في كيدال وفي روما عاصمة إيطاليا، الهدف الأساس منها توحيد الجهود السياسيّة والعسكريّة والمطالبات، إمّا الانفصال ولو تدريجياً وإلّا ففدراليّة مُغلّفة تؤدّي إلى دولة داخل دولة، وهذه التي جاءت في كثير من بنود اتّفاقيّة الجزائر، كشرطة إقليمية غير الشرطة الوطنيّة، وجيش خليط، ثلثاه منهم ومن حلفائهم، والباقي من الجيش الوطني الماليّ، واختبار والي المناطق وبخاصّة كيدال ونحوها منهم.. إلخ.

ثانياً: القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي:

تنظيم إرهابي مسلّح، من الفرق المنحرفة فكراً في العصر الحاضر، يتواجد في دول الصحراء الكبرى. وهي من إفرزات التنظيمات المسلّحة في الجزائر وبخاصّة جنوبها. تولّدت من الجماعة الإسلاميّة المسلّحة والجماعة السلفيّة للدعوة والقتال الجزائريّة، التي تولّدت -أيضاً- من الجماعة الإسلاميّة المسلّحة المنضمّة عام 2006م إلى القاعدة بقيادة أسامة بن لادن. تحالفت هذه القاعدة مع القاعدة الأمّ عام 2005م. وتمّ الإعلان الرسمي عنها عام 2007م، واتخذت اسماً رسمياً هو: "تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي"، وأعلنت أنّ هدفها الأساس هو السعي لتحرير المغرب الإسلامي من الوجود الغربي وبخاصّة الفرنسي والأمريكي، ومن الحكومات الموالية لهما⁽¹⁸⁰⁾، وإقامة دولة كبرى وفق الشريعة

¹⁸⁰ - يرأسها مجلس الشورى وأمير التنظيم ورؤساء الهيئات واللجان والهيكل التنظيميّة. ولكلّ واحدة منها مهامّ وفروع. مثل: اللجنة الشرعيّة، واللجنة العسكريّة، واللجنة الطبيّة، واللجنة الماليّة، واللجنة القضائيّة، واللجنة الإعلاميّة، ولجنة الديوان، ولجنة العلاقات الخارجيّة.

¹⁷⁹ - مالي عودة الاستعمار القديم مجموعة أبحاث (مرجع سابق) 122/

الإسلامية باسم إمارة الصحراء، أو منطقة الجنوب. معظم قياداتها وأعضائها من دول شمال أفريقيا، ضيق عليهم فيها الخناق ماليًا، وعسكريًا، وأرضًا. نشطت في نشر الفكر المنحرف، وفي التجنيد والتدريب في الجزائر، وموريتانيا، وتونس، والمغرب. ثم انتشرت في الصحراء الكبرى: جنوب الجزائر، وشرقها، وشرق مالي وشمالها، وفي موريتانيا، والنيجر، وليبيا. ثم أخذت في البحث عن أرض تخلو فيها، وكلفت بالبحث مجموعة مكونة من ستة عشر (16) شخصًا سُموا بـ "طليعة الصحراء" دخلوا شمال مالي.

مرَّ وجود القاعدة في شمال مالي بطورين، الأوَّل 1994-2000م، أبرز ما فيه: دخول المنطقة، والمسح، والتعرّف، واكتساب أنصارٍ وأتباع، والحصول على أسلحة وتخزينها، ومصادر تمويل في المنطقة الصحراوية الممتدة بين جنوب الجزائر، وشمال مالي والنيجر، والصحراء الغربية (البوليساريو)، وموريتانيا.

أمَّا الطور الثاني لوجود القاعدة في شمال مالي فيشمل 2000-2003م. وقد سعت -بالإضافة إلى الأهداف السابقة في الطور الأوَّل- في إقامة قواعد ومعسكرات، وتطوير العلاقات مع الخارج، برغم المراقبة الأمنية الجزائرية الشديدة التي اتَّصفت بسرعة التصفية للوافدين إلى الجزائر، وبمحاولة حشرهم في شمال مالي الذي توقَّرت لها فيه القاعدة القوية، والملاجئ الآمنين لمن تُصدِّرهم محاربة الجزائر وموريتانيا من التنظيمات الجهادية المسلحة. حتى صارت "تُعتبر التنظيم المسلح الأقدم في المنطقة والأكثر خبرة". ويعتقد كثير من المتابعين لشؤون الحركات الجهادية "أنَّ القاعدة حلقة الربط الأساسية بين مختلف التنظيمات الجهادية. وأنَّ معظم العناصر المنخرطة في هذه التنظيمات إنَّما خرجت من عباءة القاعدة باعتبارها الحركة الأمِّ، وصاحبة قصب السبق في إدخال المشروع الجهادي في المنطقة حيث تنظر إلى نفسها كوصي روجي على

الفصائل الجهادية الأخرى؛ بالأولى في الساحة الجهادية والدعوية". وفي التنظير والفتيا لتلك الحركات التي كانت تتبع لها، وهي أربع مجموعات عسكرية وكتيبتان وسريَّتان. أمَّا الكتيبتان فهما: كتيبة طارق بن زياد وأميرها عبد الحميد أبو زيد. وكتيبة المثلثين وأميرها المختار بلعور. وأمَّا السريَّتان فهما: سرية الأنصار وأميرها عبد الكريم التاركي، وسرية الفرقان كان يتولَّى قيادتها يحي أبو الهمام قبل أن يتولَّى إمارة الصحراء. وقد حدثت في القاعدة انشقاقات وتغييرات كثيرة وصلت إلى التعارك الشديد من أجل القيادة، وبسط النفوذ، والسيطرة، وغيرها⁽¹⁸¹⁾.

وكان أبرزُ مصادر تمويلها اختطاف الأجانب ثمَّ إطلاق سراحهم مقابل فدية مالية، وحماية قوافل المخدرات وتجارها بمقابل مادي، ونهب الممتلكات الحكومية وغيرها. مكَّنها كلُّ ما تقدَّم من توفير مبالغ مالية ضخمة، وأسلحة متطورة ومتنوعة، وملجأ محتضنًا بالتحالف مع أنصار الدين الإيدية (نسبة إلى إياد أغ غالي) وارتبط التنظيم بعلاقاتٍ وطيدة بكثير من الزعامات الطارقية والعربية⁽¹⁸²⁾.

قامت منذ عام 2007م - ولا تزال تقوم - بعملیات إرهابية كالاغتيالات، والتفجيرات، وتخريب الممتلكات العامة والخاصة، وقتل الأبرياء أو تهجيرهم، ومئات الجنود... إلخ. في عدد من دول المنطقة. ندر نشاطها في الجزائر وموريتانيا، ربَّما -وفق بعض التحليلات المحلية والدولية- باتفاقية خلف الكواليس بينهم وبين مخابرات الدولتين. والمهمُّ أنَّهم توزَّعوا بين جبال إيفوغاس ووسط الصحراء بعد التدخل العسكري الفرنسي⁽¹⁸³⁾.

إنَّ العوامل السابقة (استشعار الأسبقية والريادة، والحركة الأمِّ، والوصاية) السبب الرئيس في دخولها المستمر في معارك شديدة مع الحركات

181 - الطوارق من الهوية إلى القضية/107-108

182 - انظر: مالي عودة الاستعمار القديم مجموعة أبحاث (مرجع سابق)/125-128، والمرجع السابق.

183 - انظر موقع: <https://ar.wikipedia.org/wiki>

الأخرى وبخاصة في الجزء الغربي غورما **GOURMA** بين غاووتنبكتو وبين منطقة موبتي إلى المثلث الحدودي (مالي/النيجر/بوركينافاسو) حيث تتكرر فيها معارك دامية منذ 2019م بينها وحركات جهادية أخرى، لعل أشدها ضراوة ما وقع في شهر ديسمبر 2020م بينها وبين نصرة الإسلام والمسلمين بقيادة إياد أغالي ومعه أحمد كُفًا.

ثالثا: حركة أنصار الدين:

وهي ذات مرجعية سلفية تسعى لتطبيق الشريعة. قائدها الطارقي إياد أغ غالي، كان عضوا في جماعة التبليغ، وحظي بثقة كثير من قادة الجماعة في مختلف مناطق العالم.

يقول إكناته ولد النقره: "إياد أغالي شخصية مثيرة للجدل (...). كان أول ظهور عسكري بارز له في جنوب لبنان عند ما أرسله الزعيم الليبي الراحل القذافي في رفقة العشرات من مقاتلي الطوارق إلى لبنان لمساندة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (القيادة العامة). ثم عاد إلى ليبيا مجددا ليشارك رفقة بعض زملائه أول خلية لحشد الدعم لصالح الشعب (الأزوادي) سرعان ما تبلورت في ثوب الجبهة الشعبية لتحرير أزواد التي تولّى قيادتها بنفسه فيما عرفت انشقاقات لاحقة عملت على إضعافها" (184).

كان من المتمردين الذين وقّعوا على اتفاقية عام 1992م، وعمل في الحكومة المالية؛ فاكتملت خبرات عسكرية، وسياسية، وتأثيرا اجتماعيا في جماعته. لم يسبق له في التمردات التي شارك فيها مطلب إسلامي واحد. عيّن قنصلا عاما لمالي في جده، ولبس لبوس السلفية قبل أن تطرده السلطات

السعودية⁽¹⁸⁵⁾. فعاد إلى مالي وأسّس الحركة في جبال أغازغا شمال مالي مع مجموعة من الطوارق ذوي النفوذ في كيدال كالغَبّاس (العَبّاس) إنتلاً، وكان الإعلان عنها منتصف عام 2012م. أغلب أعضاء الحركة من طوارق مالي وبخاصة الإفوغاس الذين وجدوا فيها حركة شعبية سلفية جهادية. كان هدفها الأساس المعلن هو المحافظة على مقومات الحضارة الإسلامية، وتطبيق الشريعة، وحكم ذاتي موسّع بدل الانفصال عن دولة مالي. وبالتعاون مع الحركة العلمانية الوطنية الانفصالية (MNLA) ذات الأغلبية من طوارق الإيدينان والإفوغاس وقلّة من العرب.

تحالفت حركة أنصار الدين الإيادية مع القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي (AQMI) وحركة التوحيد والجهاد في غرب أفريقيا (MUJAO)، واستقطبت عددا من القوميات الأخرى في مالي وخارجها ممن يشاطروهم الفكرة والهدف. وقّعت في يدها أنواع مختلفة من الأسلحة الليبية المهربة الخفيفة والثقيلة، سيطرت على مدن شمال مالي عام 2012م. وسّعت مع الحركتين الأخيرتين (حركة التوحيد، والقاعدة) إلى تطبيق الشريعة بقوة السلاح في تلك المدن، وقد أذقت الشعب والبلد الويلات.

"أُسم موقّفا من الانفصال بالغموض المتعمّد في البداية": فقد شاركت الحركة الانفصالية في إعلان الاستقلال في 16 أبريل 2012م والاندمام التام معها ثمّ تراجعت في 26 مايو 2013م في ظلّ الضغط والمعارضة الشديدة من حلفائها الحركات الجهادية الأخرى التي ترى أنّ أهدافها لا تتفق وأهداف الحركة الانفصالية.

185 - انظر: قراءات إفريقية، العدد 16 (مرجع سابق) 51،

184 - الطوارق من الهوية إلى القضية/105-106

وقد بيّن النقره "الغموض المتعمّد" الذي وصفه به، وكونه "شخصية مثيرة للجدل" منذ تمرداته الأولى إلى الآن بقوله: "بدأ إيراد أغالي سيرته قومياً معتدلاً، وانتهى جهادياً متشدداً، حارب بشراسة في التسعينيات ضدّ الجيش الماليّ قبل أن يميل إلى موادعة الدولة المالية التي عينته فنبصلاً لها بجدة 1992م حيث تأثر في السعودية بالفكر السلفي، وأصبح من حملة المشروع النضالي في بناء حركة قوية، سرعان ما كسبت ثقة الجماعات المسلّحة لا سيما تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلاميّ"⁽¹⁸⁶⁾. تراه إذن قومياً طارقياً يحارب مع قوميين فلسطينيين، فتبليغياً، ثمّ سلفياً، ثمّ جهادياً لتطبيق الشريعة في مالي، فقومياً، فسلفياً، فجهادياً وقومياً معاً. يقول إكناته ولد النقرة عن تقلص دور العلماء وتأثيرهم في بلاط سلاطين وأمراء الطوارق: "وقد تقلص هذا المنصب في السلطنات الطارقية بفعل تراجع النشاط العلمي الذي عرفته المنطقة قبيل وأثناء وبعد دخول الاستعمار الفرنسي"⁽¹⁸⁷⁾. من سيتولّى إصدار وتطبيق الشريعة؟ حملة السلاح والقوميون؟؟؟

جيش فرنسا والغرب كلّ وسائلها السياسيّة، والإعلاميّة، والثقافيّة، والاجتماعيّة، والعسكريّة؛ لإبعادها عن الساحة التي تهيبها بكلّ الوسائل والأساليب للحركة القوميّة الانفصاليّة المتعاونة معها والتي تسير بإشارتها.

وبعد التدخّل الدولي في مالي لمساعدة حكومتها كوّن معظم أعضاء حركة أنصار الدين في 2013/1/24م "المجلس الإسلامي للأزواد CIA" بقيادة الغبّاس إنتلاً نائب حركة أنصار الدين، ثمّ ما لبثوا أن غيّروا الاسم بحذف "الإسلامي" إلى المجلس الأعلى للأزواد (HCA)؛ لتتفادى اتهامها بالإرهاب والانتماء إلى الحركات الجهاديّة؛ ولتفادي ضربات الحرب التي استهدفت الجماعات

186 - الطوارق من الهوية إلى القضية/106

187 - المرجع نفسه/63-64

الجهاديّة تحديداً؛ ولتجنّب عدم السماح لها بدخول المفاوضات، وقد كان لها ما أرادت⁽¹⁸⁸⁾. ولا يزال أعضاء من حركة أنصار الدين وقائدها يختبئون في جبال أغارغا، ويقومون بأعمال إرهابيّة⁽¹⁸⁹⁾. والحركة الانفصاليّة والمجلس يتركزان في منطقة كيدال. وتوحّدت قياداتهما تحت مسمى CMA .

رابعا: حركة التوحيد والجهاد بغرب أفريقيا (MUJAO):

من الحركات المنحرفة المسلّحة الجهاديّة التي انشقت عن تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلاميّ معظم عناصرها من عرب مالي وموريتانيا. هيمن على قيادتها عناصر من قبيلة الأمهار العربيّة برئاسة أحمد ولد عامر. يقود الجناح العسكري سلطان ولد بادي، ومفتيها الموريتاني حمّاد ولد خيرو المكّي بأبي القعقاع. ثمّ تمكّنوا من استقطاب مجموعات إفريقيّة كبيرة وبخاصّة من فلانتي الشمال.

ولطبيعتها الاجتماعيّة والعسكريّة ترفض الخضوع للقيادات الجزائريّة للحركات الجهاديّة في المنطقة وبخاصّة القاعدة التي رفضت بل قاومت كثيرا سعي أفرادها في تأسيس كتيبة خاصّة بالقبائل العربيّة أسوة بـ"سريّة الأنصار" الخاصّة بالطوارق ضمن تنظيم القاعدة، حتى إنّ من الباحثين من يرى أنّ هذه الحركة إنّما هي النسخة العربيّة لحركة أنصار الدين الطارقية. الأولى حركة جهاديّة سلفيّة عربيّة، وهذه حركة جهاديّة سلفيّة طارقية. ومعرفة العلاقة الاجتماعيّة الواقعيّة بين المجموعات الطارقية والعربيّة في مالي قديما وحديثا، وتعدّد حركاتهم واختلافها فيما بينهم، أكبر تكذيب للانسجام المزعوم بين الطائفتين، ودليل على التنافر.

188 - انظر: مالي عودة الاستعمار القديم مجموعة أبحاث (مرجع سابق)/122-125

189 - انظر موقع: islamion.com/news

اعتمدت حركة التوحيد والجهاد استراتيجية اللامركزية في العمل ومناطق النفوذ رغم معارضة القيادة المركزية الجزائرية التي قد لا تتردد في الحسم العسكري لتوحيد الجميع تحت قيادتها وإدارتها (190). تركز وجودها في مدن شمال مالي بعد أن سيطرت عليها عام 2012م بالتعاون مع حركة أنصار الدين والقاعدة والحركة الوطنية العلمانية. واتخذت مدينة غاو عاصمتها. وبسبب الاختلاف في الفكر والأهداف والأسلوب دخلت في معارك دموية مع الحركة الوطنية العلمانية؛ فطردت الأخيرة ومقاتليها وقياداتها من مدينة غاو وغيرها. تُعدُّ جماعة إرهابية مسلحة أكثر إثارة للربح، والتدمير، ومن أخطر المنظّمات الإرهابية في شمال مالي. توزّع أعضاؤها منذ عام 2013م بين دول الجوار: النيجر، بوركينا فاسو. وفي يوليو 2014م أعلنت ولاءها لـ "داعش" (191).

خامسا: كتيبة الموقّعين بالدماء:

أسّسها الجزائري مختار بلمختار مباشرة بعد عزله من قيادة كتيبة الملتئمين. وصرّح في عدّة مواقع احترامه لأيّ خيار يتفق عليه حركتنا أنصار الدين والتوحيد والجهاد، وكذلك القبائل التي دعت إلى تطبيق الشريعة ما لم يخالف أصول الشريعة. وتوعّد كلّ من يشارك في الحرب بشمال مالي التي وصفها بالخبت والمكر والحرب بالوكالة عن الغرب. كما دعا العلماء وطلاب العلم وأبناء الدعوة الإسلامية جميعا في موريتانيا إلى الهجرة لنصرة إخوانهم المسلمين في شمال مالي!!!؛ إذ يُدركون حجم المعاناة، والجهل، وقلة العلم المنتشرة فيه، وأنهم الأولى بالسبق إلى نصرة المشروع الإسلامي فيه؛ بسبب القرابة والجوار، فكيف وقد سبقهم البعيد؟؟؟ ثمّ اندمجت كتيبة بلمختار مع حركة التوحيد والجهاد في

حركة المرابطين التي ستجمع بين الخبرة في الأولى والكثرة العددية، والقدرات أو الإمكانيات اللوجستية في الأخيرة (192).

أقول لعلّ التاريخ سيحدّثنا عن المدرسة الإسلامية التي أقاموها أو مَوّلوها في شمال مالي. بل ينقض ما قاله الهالة العلمية بالشريعة التي تُعطيها هذه الحركات الجهادية لنفسها مع أنّها تريد تطبيق الشريعة.

سادسا: كتيبة أنصار الشريعة:

تأسّست على يد عمّار ولد حماه، الذي عُرف في وسائل الإعلام الغربية بـ: "صاحب اللحية الحمراء"، وهو من قبيلة البرابيش في شمال مالي. تنقل بين الجماعات قبل تأسيس كتيبة خاصّة بالبرابيش والعرب الذين لم يشاركوا في الحركات. لكنّه - وهو يسعى لإبعاد القبليّة عن حركته- أعلن أنّ الباب مفتوح لكلّ المسلمين عرب، وعجم (طوارق)، وسنغاي، من تنبكتو وغيرها؛ فلمّ التنقل بين الجماعات الأخرى التي لم يتولّ قيادتها؟

تنقل بين كلّ الجماعات الجهادية بمختلف أطيافها في رحلات مثيرة، بدأ في الطور التربوي بجماعة الدعوة والتبليغ، ثمّ طور السيف مع تنظيم القاعدة ضمن كتيبة الملتئمين، ثمّ التوحيد والجهاد، فحركة أنصار الدين، وأخيرا أسّس حركته. وقد دافع عن هذا التنقل والارتحال بين الأطياف بأنّه لم يكن "بسبب سخط جعله ينسحب من هذه الجماعات والتي يعتقد أنّها تجتمع على ذات الهدف الواحد وهو العقيدة السليمة ورفع راية الجهاد" (193). والسؤال: إذا لم يكن السبب هو السخط من تلك الجماعات أفلا يكون هو الرغبة في تولّي القيادة، والطائفية، وتعارض المصالح... إلخ؟؟؟؟ وإذا صحّ اتّفاقها -كما تقول- على هدف

192 - الطوارق من الهوية إلى القضية/109-110

193 - المرجع السابق/108، 109

190 - انظر: مالي عودة الاستعمار القديم/128-130، والطوارق من الهوية إلى القضية/106-107

191 - انظر موقع: islamion.com/news، و موقع: https://ar.wikipedia.org/wiki

واحد(العقيدة السليمة ورفع راية الجهاد) فَلِمَ عدمُ الاستقرار في أيِّ منها؟ الحاجةُ في نفس يعقوب كالثائفة القبليَّة وهي واضحة في تأسيس كتيبتك؟ و أن لَيْست قياداتُ تلك الجماعات من البرابيش وليس أغلبهم من مالي...؟؟؟؟؟

سابعاً: الحركة الإسلامية لتحرير أزواد:

تنشط في صفوف عرب شمال مالي، أسَّسها منذ الثمانينيات الدبلوماسي المخضرم أحمد ولد سيد محمد 1978م إضافة إلى الوزير في أغلب حكومات مالي الذهبي ولد أميا، وقد انشق الأخير فيما بعد عن أحمد ولد سيد محمد، الذي عمل مستشاراً للرئيس الموريتاني المختار ولد داداه، وحمل الجنسية الموريتانية. وقد سعى أحمد ولد سيد محمد لدى المحافل الدوليَّة والإقليمية، العربيَّة والإسلاميَّة، وغيرهما في القضية. ولميوله الإسلاميَّة يصف بعضهم حركته بذات "توجهات إسلاميَّة معتدلة"!!! كما سعى لوضع حدٍ للقتال بينها وبين الحركة الوطنيَّة الانفصاليَّة، وتوحيد الموقف عند التفاوض مع حكومة مالي⁽¹⁹⁴⁾.

ثامناً: جبهة تحرير ماسينا:

حركة مسلَّحة من الحركات المنحرفة فكرياً، غالبية أعضائها من الفلانيين الذين كانوا يقاتلون مع الحركات المسلَّحة بشمال مالي، وعُرفت مجموعتهم بـ "كتيبة ماسينا". أعلنت عن تأسيسها في أبريل 2015م في مدينة تيننغو (TENENGOU) بقيادة أحمد كُفَّا، نسبة إلى قرية كُفَّ التابعة لـ "كوئا" في منطقة موبتي، وهو على علاقة وثيقة بالقاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، وبقائد حركة أنصار الدين الإياديَّة، ودعت للانضمام إلى حركة بوكو حرام. يسعون إلى إقامة إمارة إسلاميَّة فولانيَّة في إقليم ماسينا (المجزء بين منطقة موبتي وسيغو)

بوسط مالي، تَنهَجُ منهج الدولة الإسلاميَّة الفولانيَّة (دولة ديناً) التي أقامها أحمد لَبُو، في القرن التاسع عشر الميلادي (1818-1862م). ومن الأفكار المنحرفة التي تتبنَّاها: الانفصالُ عن بماكو التي يحكمها موألون للفرنسيين، و إحياء قوميَّة فولانيَّة إسلاميَّة تُطبِّق الشريعة الإسلاميَّة في مناطقها وتمنع القوانين الوضعيَّة، مع تكفير الزعماء الدينيين والعلماء وإباحة قتلهم.

تقوم الجبهة بأعمال إرهابيَّة ضدَّ الدولة، والأجانب، والسكَّان، وبخاصَّة كلُّ مَنْ يُعارضها أو يعارض الحركات المتشدِّدة. وقد تبنت عدَّة هجمات، منها تدمير ضريح الشيخ سيكو أمادو مؤسس (دولة ديناً) في مدينة حمد الله، ومهاجمة قاعدة للجيش المالي في نارا يوليو 2015م. والهجوم على فندق رديسون بلو، يوم الجمعة 2015/11/20م، وغيرها⁽¹⁹⁵⁾. وقتلت المئات -ولا تزال-، ودمرت الممتلكات والقرى، وشاركت في إشعال نيران الفتنة القبليَّة، والاقتتال بين الفلَّان والكادو (دوغونو). وفي أخرة اختطفت في مقاطعة نيافونتي، يوم الأربعاء 25 مارس 2020م، سوميلا سيبي، الوزير السابق، والبرلماني، ورئيس حزب URD أكبر أحزاب المعارضة في مالي، والفائز بالمركز الثاني في الانتخابات الرئاسيَّة الأخيرة. اختطف هو وجماعة من مرافقيه وقتل حارسه الشخصي، وذلك أثناء قيامه بحملته الانتخابيَّة البرلمانيَّة.

ونشرت فيديوهات باللغة الفلانيَّة تثبت أنَّها من اختطفته، وبأنه صيد ثمين لا يُترك سراحه إلاً بفدية ماليَّة ضخمة وإطلاق سجناء الجماعات لدى حكومة مالي، وبعد تجديد إسلامه، ثمَّ أطلقوا سراح كلِّ مرافقيه... إلخ. وقد أُطلق

سراحه بتاريخ 8 أكتوبر 2020م، ثم توفي في 25 ديسمبر 2020م بباريس حيث كان في رحلة علاج، رحمه الله تعالى.

تاسعا: حركة أنصار الدين- الجنوب:

هي حركة إرهابية مسلحة جديدة، غالبية أعضائها من سكان جنوب مالي وبخاصة البمباره/الماندنغ، أعضاؤها ممن قاتلوا في شمال مالي في حركة أنصار الدين بقيادة إباد أغ غالي عام 2012م و 2013م. عُرفت مجموعتهم من قبل بـ"كتيبة خالد بن الوليد". تنشط على حدود مالي وساحل العاج وغينيا كوناكري. قامت بعدة تفجيرات في المنطقة، وقد تم القبض على أحد أهم قياديينها سليمان كيتا، على الحدود مع موريتانيا يوم الخميس 31 مارس 2016م. كما أُعلن في 8/5/2016م عن القبض على يعقوب توري، مُؤمّل هذه الحركة بالأسلحة والمعدات. فكسرت شوكتها، إلا من لحق بحركتها الأم.

لعلك تلاحظ أنّ هذه الحركات أو الجماعات قد تقاسمت مناطق النفوذ والسيطرة حيث يكون ثقل كل حركة في منطقة معينة؛ فأنصار الدين في كيدال، والقاعدة في تنبكتو، وحركة التوحيد والجهاد في غاو. وكذلك الحركات الجديدة فجبهة تحرير ماسينا في وسط مالي وبخاصة منطقة موبتي وحواليها وجزء من سغو، وأنصار الدين- الجنوب في جنوب مالي. ومنذ 2018م توحدت أغلب هذه الحركات المسلحة الجهادية ظاهرياً في جماعة نصره الإسلام والمسلمين بقيادة إباد أغالي باستثناء قلة كالقاعدة وغيرها.

تتفق كل هذه الجماعات وغيرها في الانحراف الفكري، والوسائل، والأهداف، والاستراتيجية، وتكفير المجتمعات، وضرورة تطبيق الشريعة بقوة السلاح، وإقامة إمارة إسلامية، وتحرير البلاد من السيطرة والتبعية للغرب،

والانفصال عند (CMA) MNLA حالياً وبعض الجهادية، والطائفية القبلية- وإن رفعت شعار الإسلام- والتقاتل بسببها على القيادة. وتتفق أيضا في إسكات المخالفين لهم وبخاصة من الكوادر العليا الأمنية، والاجتماعية، والدينية، والعلمية، والسياسية. وأخذت السلاح والعنف، والتدمير، والتفجير، وترويع الأمنيين، وانتهاك الأعراض، وزهق الأرواح المسلمة البريئة، واختطاف الأجانب، وتخريب الممتلكات العامة والخاصة، وتهجير المواطنين، وزعزعة الأمن والاستقرار في البلد، وتعطيل مصالح العباد والبلاد. اتخذت كل هذه وسيلتها الفضية لتحقيق أهدافها. ولم يخل بعضها من التعاون مع المخابرات وبخاصة الفرنسية التي لها يدٌ طولى على بعضها تمويلا وتوجيها وعسكريا.

يحدو أغلبهم جهلٌ مُطبق بالشريعة ومقاصدها، وبفقه الواقع والأولويات، مع ردّ النصوص الثابتة إذا لم تُوافق أهواءهم وفكرهم المنحرف. والقومية، والجهوية. وأغلب من تضرر بأعمالهم الشنيعة- حسيًا ومعنويًا- هم المسلمون. كما مكّنت لتواجد جيوش الدول الكبرى في المنطقة، وقد ظلت تحلُم بالسيطرة عليها عشرات السنين؛ لاستراتيجيتها ولنهب خيراتها... إلخ. فنتيجة الانحراف الفكري تجد لدى كل تلك الجماعات- الانفصالي منها والجهادي- أخطر أنواع النرجسية المتطرفة الخبيثة في التعامل بالحياة:

أ- "التظاهر بالعظمة وتضخيم الأنا" وما يفعله أو يعتقده.

ب- "لعب دور الضحية". فهذا المهووس بنفسه [وفكره] يمكنه أن يتخفى أحيانا خلف ستار الاضطهاد؛ ولأنهم ماهرون جدًا في التلاعب فإنهم سيقلبون الطاولة

على الآخرين، ويلومون غيرهم باستمرار، بدلا من تحمّل مسؤوليّة أفعالهم وعواقب قراراتهم" (196).

ت- الاستعداد التام - في سبيل تحقيق النقطتين السابقتين- للاستعانة ولو بالشیطان. شهد بهذا المنظر لقضيّتهم أبو بكر الأنصاري، وقد تقدّم.

ث- كثرة الانشاقات وتكرارها ممّا يؤدي إلى كيانات تحت أسماء جديدة. ولا أحسب أنّ السبب إسلامي أو جهادي في سبيل الله بل الأرجح والأقوى أنّ أسبابها طائفي قبلي، قومي جهوي، مصلحة شخصية، غلبة الهوى، ثم الرغبة الشديدة في القيادة وتوسيع منطقة النفوذ؛ فتلاشى بعضها، وانزوى في أخرى. "إنّ كثرة الفرق التي تحمل علينا السلاح وتُسمّى بأسماء إسلامية لم تكثر في المجتمعات الإسلامية في تاريخ المسلمين الممتدّ إلى خمسة عشر قرنا إلاّ بعد زمن الاستعمار واختراق أعداء الإسلام جماعات الشباب في مجتمعاتنا، واستغلال ما يجدونه من قمعٍ وتهميش وبطالة (...). إنهم صنّعوا صناعة ماهرة، تعرف كيف تُضللّ العقل وهو معتقد أنّه على طريق الرشاد. وكيف يدّمّر قومه وهو مُعتقد أنّه يعمل لمستقبل وطنه" (197) وشعبه. وقبل أن يدرك الحقيقة-إن أدركه- سبق السيف العذل، ولات حين مناص!!!!

"ويجب ألاّ تقبل إضافة الإرهاب إلى الإسلام في وصف الإسلام بأنّه إرهاب، أو فيه تطرّف إرهابي، أو أنّ الإسلاميين إرهابيون، أو أنّ هناك جماعة إسلامية إرهابية. كلّ ذلك صناعة أعداء الإسلام [ووكلائهم]. أمّا نحن فإذا وجدنا جماعة ضالّة وتضع على وسمها ووصفها اسم الإسلام، وصفناها بأنّها هي الإرهابية، وأنّ

¹⁹⁶ - مجلّة البيان، عدد 395 سنة 35، رجب 1441 هـ مارس 2020م/35، مقال: (الاضطرابات النفسية للزعماء

وسقوط البلدان في هاوية الحروب. مّي عباس).

¹⁹⁷ - شرح أحاديث من صحيح مسلم، (مرجع سابق) 1/89-90

الاسم والوسم الإسلامي الذي وضعته على رأسها بريء منها، ويُمكن أن يصنع أعداء الإسلام جماعات ضالّة ويسمونها إسلامية؛ زيادة في تشويه الإسلام" (198).

¹⁹⁸ - من حديث يوسف وموسى عليهما السلام في الذكر الحكيم، د.محمد أبو موسى/20، ط1 عام 2021م، مكتبة وهبة بالقاهرة.

المطلب الثالث:

جُهودُ العلماء والدعاة والهيئات الإسلامية في مواجهة الانحراف الفكري في

مالي

بَدَل العلماء والدعاة -ولا يزالون يبذلون- جهودا كبيرة في التصدي للانحراف الفكري ومظاهره، وأسبابه، وحركاته الانفصالية والجهادية وغيرها؛ بنقض أفكارها ومعتقداتها، والتحذير منها، وبيان خطورتها على الأفراد والمجتمع، والدول، وعلى الأمن الاجتماعي، والفكري والثقافي، والديني، وعلى الاستقرار السياسي ووحدة الدولة والشعب...إلخ، مستعملين الوسائل والأساليب المتاحة لهم كإصدار الشرائط، وإلقاء المواعظ والخطب في المساجد والإذاعات، وتنظيم الندوات والملتقيات العلمية، وكتابة البحوث العلمية ونشرها في مجلات علمية أو في كتب، والمقالات في جرائد باللغة العربية ك"الصدّاقة"، وإصدار البيانات والردود والتقارير، والنشر في مواقع التواصل الاجتماعي...إلخ.

و ليس من المبالغة القول بأنّ جمهورية مالي لم تعرف - حسب علمي - حَدثًا حرّك عقول العلماء والدعاة والباحثين ذوي التعليم العربي والإسلامي وأقلامهم؛ ففاضت بالكتابة عنه وصفا ونقضا، وتحليلا ونقدا، مثل أحداث 2012-2013م وأثارها الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والتعليمية، والأمنية، والوحدة الوطنية، محليًا، وداخليًا، وإقليميًا!!! لا أستثني منهم إلا غلاة الصوفيّة وبخاصّة أنصار الدين الدوليّة والشيعة، ورجالهما وأتباعهما؛ فقد سارعت في اتهام أهل السنّة والجماعة -زورا وبهتان- بمعيّة الجماعات الجهادية ومساندتهم، وتآليب الحكومة عليهم وعلى مساجدهم، وشعاراتهم.

ما جاء في كتابي هذا -وهو غيُض من قيُض- أقوى دليل وأسطع برهان على ما سبق. ولا غرابة في حراك أولئك العلماء والباحثين والدعاة وموقفهم من الحدث؛

فالأمر جَلَل، واشتدّت الفتنة، ولقد اختلط الحابل بالنابل؛ ولا تكاد تُمَيّز -إلاّ بصعوبة شديدة- بين العدو والصدّيق، ولا بين موقف بعض المسلمين ودولهم وموقف غير المسلمين ودولهم الكبرى، ولا بين ماليّ يتظلم حقيقة وآخر يحمل السلاح ويدمر ويخرّب، ويتاجر بوحدة مالي باسم المطالبة بالحقوق التاريخية والعرقية والانفصال أو باسم الإسلام وتطبيق شريعته، أو بهما معا؛ فيؤلّب على مالي والماليين جماعات ودولا لأهداف متعدّدة. ولا بين مسلم حقيقيّ ماليّ أو غيره ومُتطرّفين مُخرّبين أحباشا منحرفي الفكر من دول شتى، وآفاق أخرى؛ مُطاردين من دولهم بسبب التخريب والتدمير، وإهلاك الحرث والنسل باسم الجهاد في الإسلام وضرورة تطبيق شريعته، والإسلام الحقّ براء من فكرهم المنحرف وأعمالهم.

ولا غرابة -أيضا- من أن تجتمع كلمة معظم أولئك العلماء والباحثين على الإنكار الشديد والتنديد والردّ على الافتراءات والتضليلات الكثيرة والتحريفات المتنوّعة، وبيان الأهداف الحقيقية المُغطّاة بتلك التطلّعات، والتعاون العسكري والماديّ والاستراتيجيّ بين هؤلاء المتمرّدين وبين الدول الإقليمية المجاورة كالجزائر، وموريتانيا، وبوريكنا فاسو أيام بليز كومباري. وبينهم أيضا وبين فرنسا وأمريكا وبعض الدول الكبرى وأمثالها من المنظّمات الدوليّة، وعصابات تهريب كلّ أنواع الممنوعات، المستعدّة لارتكاب العنف والقتل في سبيل السيطرة على الساحة.

من نماذج تلك الجهود:

أولاً: ما جاء في مراسلة الخوارج:

تقدّم الحديث عن الخوارج الذين ظهروا في شرق مالي منتصف السبعينيات من القرن العشرين الميلادي.

وقد تصدّى للردّ عليهم علماء منطقة غاو في الداخل والخارج (النيجر، غانا، ساحل العاج، توغو، السعودية)، وغيرهم. أبرز الردود ما جاء في مراسلة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت 1420هـ) - رحمه الله -؛ وذلك أنّه لما استفحل أمر الجمعية الإسلامية (جمعية أنصار السنّة) وبلغ إلى الشيخ ابن باز أرسل عام 1403هـ وفدًا ومعه رسالة إلى رئيسها للإصلاح والنصح والإرشاد، والأخذ بيدها إلى توحيد كلمة المسلمين والدعاة، وسدّ الأبواب التي قد تؤتّى الدعوة والدعاة من قبلها؛ بسبب هذه الجمعية ونحوها، وأفكارها المنحرفة، وكيف أنّها - بتصرّفاتهما - ستكون من معوّقات نشر الدعوة الإسلامية والأمن والاستقرار في بلاد المسلمين. وكان لرسالته:

- صدى ديني، وعلوي، ودعوي، وإصلاحي، ظهر في بيان موافقة أعمالهم لأعمال الخوارج، وفي تصحيح مفاهيم منحرفة مختلفة، وبعض ضوابط التكفير، وتغيير مواقف كثير منهم؛ فخرجوا من الجمعية.

- دور كبير في تحقيق الأمن والاستقرار والمصالحة الوطنية؛ بتوحيد صفّ المسلمين، ومنع التقاتل والتناحر بينهم، أو الاصطدام مع الحكومة⁽¹⁹⁹⁾.

ثانياً: الملتقى الدعوي العلمي: (الداعية في مواجهة التحديات الفكرية والعقدية) بماكو 7/26-8/1-1432هـ 1-2011/7/3م. تنظيم رابطة

الدعاة في مالي وكلية طوبى للدراسات الإسلامية برعاية لجنة الدعوة في أفريقيا بالرياض. شارك فيها ستون (60) داعية من جميع مناطق مالي، ومنتسبون إلى ثلاث وثلاثين (33) جهة من المؤسسات التعليمية، والدعوية، والإعلامية، والاجتماعية. بواقع دايعتين من كلّ إقليم ستة عشر (16) داعية والباقي أربعة وأربعون (44) من بماكو. قدّمت ثلاث وعشرون (23) ورقة عمل في موضوعات مختلفة وبخاصة ما يتعلّق بالشريعة وعقائدها المنحرفة وخطرها على أمن المجتمع وسلامة الوطن.

ثالثاً: الندوة العلمية في مسجد السلام (مسجد الإمام محمود ديكو) بيدلابوغو، بماكو، الأحد 6/7/1433هـ 2012/5/27م، تنظيم مكتب البلدية الخامسة لرابطة الدعاة في مالي، كان رئيسه كاتب هذه السطور، وعنوانها: "أزمة شمال مالي، الجذور التاريخية والسياسية" في ثلاثة محاور، الأول: تاريخ التوارق في شمال مالي، د.عبد الرحمن عبد الله سيدي، عرض بالتفصيل والتحليل للمصطلحات التي أُطلقت عليهم (أسماءهم)، وأصولهم، وحياتهم الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وعلاقتهم التاريخية مع الآخرين شعوباً وحكومات⁽²⁰⁰⁾.

لكنّ الباحث عبد الرحمن جالو وصف حقيقة تاريخية ذكرها الدكتور سيدي وهي العادة المعروفة في الطوارق-قديمًا وحديثًا- زعزعة السلطات، واستغلال الأحداث، وعدم الخضوع إلاّ لسلطة قويّة، وقد ذكر نموذجاً، وصف ما ذكره الدكتور بنتيجة "ثورة غضب". يقول جالو: "واتهم أحد الباحثين المعاصرين -تحت ثورة الغضب- قومية الطوارق بأنّها جرت عاداتهم باستغلال الأحداث وانتهاز ضعف الأنظمة السياسية لقضاء وطهرهم، كما فعلوا في آخر مملكة مالي حين أخذ توارق مغشرون (مسوفة) يغيرون على مدينة تنبكت ويفسدون في الأرض من كلّ جهة، حتى انسحب

²⁰⁰ - نُشر في: الصداقة، جريدة شهرية، إخبارية، جامعة، يصدرها باللغة العربية نادي الأدب والثقافة ببماكو،

¹⁹⁹ - انظر التفاصيل في بحثنا: المراسلات العلمية وأثرها التعليمي والدعوي بغرب أفريقيا، رسالة ابن باز نموذجاً، مجلّة قراءات أفريقية، العدد 3، ذو الحجّة 1429هـ ديسمبر 2008م ص8-15

النظام المالي، وطرده التوارق حامياته، وحكموا تنبكتو وأروان وولاتة أربعين عاما، بدءا من 737 هـ حتى حرّرها سُنيّ علي بير في 4-5 رجب 873 هـ⁽²⁰¹⁾. وفي موضع آخر يقول جالو: "ليس من الدقة في شيء اتهام عموم قومية الطوارق بأنما جرت عاداتهم باستغلال الأحداث وانتهاز ضعف الأنظمة السياسية لقضاء وطهرهم". وهنا وسّع الدائرة ليشمل د.زاهر رياض، الذي نقل عنه "أنهم كانوا دائما مصدر تهديد لأمن الشعوب في منطقة وسط النيجر"⁽²⁰²⁾. ثمّ يستدلّ للردّ عليهما بأنّ الطوارق كانوا "دعامة أساسية في الحياة الثقافية والسياسية في مملكة سنغاي. وليس أدلّ على ذلك من الخدمات العلمية التي أسدتها أسرة أقيت إلى المملكة. ومن أنّ الطوارق كانوا يُشكّلون كتائب عسكرية مهمّة من فرقة الخيالة في الجيش السنغاي"⁽²⁰³⁾.

لكن أين وجه الاختلاف بين جالو وبينهما حتى يصف ما قاله د.سيسي بتأثير "ثورة الغضب" وهو إنّما يشير إلى الجانب الإيجابي من دور بعض الطوارق في حال قوّة تلك الممالك والدول؛ إذ يعيشون فيها ويخدمونها كغيرهم. والدكتوران لم ينفيا هذا، بل ذكرا حالة أخرى وهي الجانب السيء والسلبّي عند استشعارهم ضعف السلطة أو المملكة أو الدولة؟؟؟؟ وحتى أسرة أقيت التي مثلت بها ألم تذكر منها- كما ذكر غيرك- من كان يرأس منصور الذهبي قبيل غزوته كقاضي تمبكتو أبي حفص عمر بن محمود بن عمر أقيت؟ فهل قلت ما قلت تحت ثورة الغضب" العلمي والنفسي أو ثورة الفرح" أو تتنكّر للعادة المحدّدة في كلامهما؟؟؟ وما ذكرها

²⁰¹ - التدوين التاريخي لمملكة سنغاي حاشية 1 ص 463-464، نقلا عن: تاريخ التوارق في شمال مالي، د.عبد الرحمن سيبي/13، الورقة المقدّمة في ندوة "أزمة شمال مالي الجذور التاريخية والسياسية"

²⁰² - المرجع نفسه/580

²⁰³ - المرجع السابق/580-581

هو ماسمّاه إكناته النقره بـ"معادلة الفرص والتهديدات" في حديثه عن علاقتهم ببعض الدول المعاصرة التي يعيشون فيها⁽²⁰⁴⁾.

أنا أجزم-والعهدة عليّ- أنّ الدكتور عبد الرحمن لم يكن تحت تأثير "ثورة الغضب" عند ما كتب الورقة المقدّمة في الندوة أو ألقاها؛ فهو عالم، وباحث مقتدر وخبير، وذكر مصادره ومراجعته. لا ينقصه شيء من المنهجية، والعلمية، والموضوعية. وقد قرأت الورقة قبل تقديمها في الندوة، ثمّ بعد أن فصّل فيها لينشرها، وبعد أن حُكمت فيها لما قدّمها للنشر في مجلة بإحدى دول الخليج أعرضت-تحت الضغط- وليس لأسباب علمية؛ لأنّ المجلة متخصصة ولا تنشر إلاّ بحوثا مُحكّمة، ولأنّها إنّما أعرضت عن نشرها في آخر لحظة، أي بعد الانتهاء من إعداد النسخة النهائية لذلك العدد من المجلة المقدّمة إلى المطبعة حيث لم يبق إلاّ السحب. ولا تزال معي قراري على مصداقيته العلمية وصلاحه للنشر في مجلة علمية، وصورة النسخة النهائية تلك. وإذ ذكر الدكتور فيه مصادره ومراجعته ما كان عليك إلاّ أن ترجع إليها أو تُفند النموذج الذي ذكره علمياً.

لست أدري -حقيقة- ما الذي يدلّ عليه عند الباحث جالو تصرّفات التوارق الانفصالية والجهادية في أحداث مالي منذ 2012م إلى الآن. فحتى مع اتّفاقية 2015م؛ لا تزال CMA تصدر قرارات وأحكاما، وتتصرّف في كيدال كحكومة دولة مستقلة أو دولة داخل دولة!!! وماذا يقول في تكرار تمرادت الطوارق الحديثة في مالي وأسبابها، وأغراضها، وتوقيتها منذ الاستقلال، رغم كلّ التنازلات المقدّمة لهم بعد كلّ تمرد؟ وعن ترك الآلاف منهم لوظائفهم في مختلف الأجهزة الحكومية واللحاق بإخوانهم عند كلّ تمرد؟؟؟ وما قاله د.سيبي ود.رياض، هو الذي سمّاه إكناته النقره بـ"معادلة الفرص والتهديدات"، وقد تقدّم.

²⁰⁴ - انظر: الطوارق من الهوية إلى القضية/118

المحور الثاني لتلك الندوة: تمرّد التوارق ضدّ الدولة من عام 1963م إلى 2012م، الأسباب والمبررات. د.عبد القادر إدريس ميغا، تتبّع بالتحليل والتفصيل تمرّداتهم قبل الاستقلال وبعده (1953-2012م)، وأسبابه المزعومة والحقيقية، والمسوّغات⁽²⁰⁵⁾.

الأخر: التمرّد الحاليّ بشقيه السياسيّ والجهادي، د.هارون المهدي ميغا. يشمل السياسي الجانب الحكومي، والتمرّدي، والأطراف الخارجية، أمّا الجهادي فيهدف تطبيق الشريعة⁽²⁰⁶⁾. وقد اتّحد التمرّد السياسي والجهادي منذ الانطلاق وكأنتهما وجهان لعملة واحدة؛ فالانفصالية إنّما جاءت على سلاح الجهادية قبل أن يدبّ الخلاف بينهما، ولا يزال التعاون بينهما في صورة واضحة للعيان بين CMA و HCA وأنصار الدين الإيادية، وغيرها. وذلك ما أكّده تقرير مجموعة خبراء الأمم المتّحدة 28 فبراير 2020م عن الأوضاع في مالي. فقد بيّن قوّة العلاقة والتعاون بين CMA التي وقّعت اتّفاقية 2015م باسم الحركات الانفصالية وبين الحركات الجهادية، وعلاقة الأولى بهتريب المخدّرات. وكذلك حركتا (MAA و GATIA) المحسوبتان على الحكومة.

موضوعات الندوة منشورة كاملة على الشبكة العنكبوتية، وعلى مدوّنة د.خالد العنبري، ومدوّنة مجلس علماء وكتّاب شمال مالي. ومُتناقّلة في مواقع مختلفة على الشبكة العنكبوتية. وقد لقيت إقبالا منقطع النظير، وبخاصّة التي جاءت في مدوّنة العنبري، ونقل منها الباحثون والكتّاب الذين تناولوا القضية. حاول القوم بكلّ الوسائل والسبل إزالتها، ثمّ تشويهها، ولمّا يفلحوا، بفضل الله تعالى.

²⁰⁵ - نُشر في: الصداقة (المرجع السابق) العدد 65 أغسطس 2012م/3-2

²⁰⁶ - نُشر على حلقات في: الصداقة (المرجع نفسه) العدد 66 سبتمبر 2012م/9، والعدد 68 نوفمبر 2012م/2، والعدد 69 ديسمبر 2012م/4، وغيرها.

ووصفوا الباحثين الثلاثة بكلّ السوء حتى وسّموهم بـ "كهنّة غاندا كوي Ganda Koy".

رابعا: الدراسة العلميّة للمجلس الأعلى الإسلامي، المؤتمر الوطني للعلماء، بعنوان: "حمل السلاح لتطبيق الشريعة في العصر الحديث، ما وقع في مالي نموذجا" رمضان 1433هـ يوليو 2012م في حوالي (48) صفحة. ونشرتها كاملة جريدة الصداقة التي تصدر باللغة العربية في بماكو⁽²⁰⁷⁾.

جاءت بطلب من حكومة البروفسير جانغوندا تراوري الانتقالية. شارك في اللجنة العلميّة المكلفة بإعدادها ما لا يقلّ عن عشرين عالماً وداعيةً من مختلف التخصصات وحاملي الشهادات العليا والطوائف، أعضاء في المؤتمر الوطني للعلماء وغيرهم. ثمّ تمّ إقرارها في بماكو 23 سبتمبر 2012م بعد نقاش مفتوح في القاعة الكبرى بمنظمة الفاروق، جمع علماء آخرين من مختلف مناطق مالي. شارك كاتب هذه السطور -بصفة خبير بحث علمي- في كلّ خطوات إعدادها إلى إقرارها.

كان الهدف الأساس من الدراسة أن تكون منطلقا لمحاورة الحركات الجهادية في لقاء للتفاوض يوم 2013/1/10م. وتوزيعها على مختلف الجهات والمؤسسات ذات الصلة والممثلات الديبلوماسية؛ فترجمت إلى الفرنسية.

²⁰⁷ - انظر: الصداقة (المرجع السابق) العدد 71 مارس/أفريل 2013م/3-6

تقرّر في هذه الدراسة العلمية بالأدلة النقلية والعقلية والواقعية:

- أن حمل طائفة من المالميين ومن معهم من غير المالميين للسلح باسم الجهاد، لا يُعدّ -لا نقلا ولا عقلا ولا واقعا- من الجهاد الذي نادى به الإسلام، بل هو محاربة لله ورسوله، وفساد في الأرض، ترتب عليهما مفسد جسيمة في الأنفس، والأعراض، والأموال.
- أن ما ارتكبهه - ولا يزالون يرتكبونه- باسم تطبيق الشريعة، لا يُعدّ - أيضا- من تطبيق الشريعة على الوجه الذي نادى به الإسلام؛ لأنه لا يتوفّر فيه شروط تطبيق الشريعة، ولا ضوابطه، ولا وسائله، بل هو انتهاك لأعراض المسلمين، وسفك لدمائهم، وفيه تشويه لصورة الإسلام والمسلمين، وتنزيل النصوص في غير منازلها، وإضاعة مكاسب عظيمة وقوة معنوية جنتها الجمعيات الإسلامية في مالي على جميع المستويات.

بناء على ذلك كلّه قدّمت الدراسة توصيات، إليك مقتطفات منها:

للسلطات الرسمية في البلد:

1. الانطلاق في حلّ هذه الأزمة من ثوابتنا الدينية والاجتماعية، وعدم التأثير بالضغوط الأجنبية التي تمارس ضدنا.
2. التيقّظ وإدراك ما يُحاك ضد الدولة من مؤامرة خطيرة، قد تُغرق الدولة في دوامة من العنف وعدم الاستقرار والوحدة، وكل هذا لمصلحة من صنعوا هذه الأزمة ويسهرون عليها.
3. أن تُرحّب بالماليين الذين يُقرّرون العودة إلى مجتمعهم للمشاركة في بنائه ممّن كانوا في حركة أنصار الدين وحلفائها؛ فتكوّن لجنة مائيّة (من العلماء، والمجتمع المدني، والحكومة) للجلوس معهم ومحاورتهم وتقرير ما سِيَتخذ في شأنهم.

4. ألاّ تحكّم على الإسلام وشريعته من خلال ما تعرضه وسائل الإعلام الأجنبية التي تتعمّد تقديم صورة مُشوّهة عن الإسلام؛ خدمةً لسياسات أعداء الإسلام. بل على الحكومة والكوادر في مالي أن تتعرّف على الإسلام وعلى الشريعة من خلال علماء البلد المخلصين، وتدرّس النظام الإسلامي في كلية القانون من قِبَل مختصين ثنائيي اللغة (العربية/الفرنسية)، أو افتتاح قسم للدراسات الإسلامية (ثنائي اللغة) ليدرس فيها أبناء مالي.
5. ونظرا لعدم وضوح حقيقة القضية لدى كثير من الدول الإسلامية، نقتح إيفاد وفود إلى بعض هذه الدول لتوضيح حقيقة ما يجري في مالي.
6. تقديم مبادئ المجتمع وحضارته على الأفكار الأجنبية والعلمانية المستوردة.

7. مُحاربة الظلم والعدوان، والفساد الإداري، والمحسوبية، والرشوة، والميوعة... إلخ، التي تُعدّ من أهمّ الأسباب المباشرة للتمرد والتطرف.

8. العناية بالتربية الأخلاقية وخاصة في صفوف القوات المسلّحة، مع مراقبة تصرف الجيش الوطني والموظفين في جميع أنحاء البلد؛ بحيث لا يصدر منهم أي ظلم للشعب، ومعاقبة من يصدر منه ذلك.

لحركة أنصار الدين وحلفائها:

1. عدّم الاعتراض بما حقّقه من مكاسب عسكرية، حيث أجبروا الجيش النظامي للانسحاب من جميع هذه المناطق، وسيطروا عليها؛ فالاعتراض يُعبي عن الصواب، وعاقبته الندم.

2. تلبية ما يطلبه المجلس منكم من انسحاب كامل وفوري من المدن التي تسيطر عليها؛ رجوعا إلى الحكمة والعقل؛ وحفاظا على الأرواح والأعراض والأموال التي يُعدُّ حفظها من ضروريات ديننا الإسلامي.

3. حُسْنُ الاستماع لأقوال العلماء من بعثة المجلس الأعلى الإسلامي فيما يتعلق بموضوعي الجهاد وتطبيق الشريعة.

4. تفويت الفرصة على من يريد استغلال وجودكم في هذه المدن؛ لاجتياح هذه المناطق الإسلامية التي تُعتبر أرضا من أرض الإسلام؛ لتحقيق أهداف قديمة لهم فيها، وهي السيطرة والاستقرار فيها بقواعد عسكرية دائمة، وأخرى -الله أعلم بها-، فيأيّاكم ثم إياكم أن تكونوا سببا لجلب مزيد من الشقاوة والعناء لإخوانكم المسلمين في هذه المناطق.

5. على الإخوة الماليين العودة إلى مجتمعهم للمشاركة في بناء دولتهم علمياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وسياسياً. كما أنّ على المسلمين غير الماليين أن يرجعوا عمّا ارتكبوه في حق المسلمين الماليين من أخطاء باسم الجهاد وتطبيق الشريعة، ويرجعوا إلى دولهم للمشاركة في بنائها علمياً واجتماعياً، واقتصادياً، وسياسياً؛ تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء 214]، وقوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم 6]؛ فالمسلمون في مجتمعاتهم ودولهم ليسوا أحسن حالا من المسلمين في مالي. ورحم الله امرءاً شغلته عيوبه عن عيوب غيره. وقد لوحظ أنّ غالبيتهم مُطاردون من قبَل دولهم.

6. إنّ حمل السلاح على المسلمين من المحظورات الشرعية المعلومة من الدين بالضرورة.

7. إنّ تطبيق الشريعة الإسلامية نظاماً للحياة مبدأً مُجمَع عليه إلا أنه بحاجة إلى تهيئة الظروف، والوسائل، وتحقيق مجموعة من الشروط والضوابط.

8. تقوى الله في عباده، فلا يجوز لكم قطع أيدي الناس، ورجمهم بالحجارة وجلدّهم؛ لمخالفة ثوابت الشريعة في هذا الميدان، فاتقوا الله في دينكم وتذكروا الوقوف بين يديه تعالى يوم القيامة.

لبقية المسلمين:

إنّ غير الماليين الذين تحمّسوا لما وقع في مالي فحملوا السلاح باسم تطبيق الشريعة، وبخاصة بعض الأفراد والدول الذين دَعَموا هؤلاء بالمال والسلاح والإعلام والتسهيلات الأخرى، على هؤلاء أن يتّقوا الله في أنفسهم وفي المسلمين وأموالهم وأعراضهم وبلادهم؛ فالمفاسد العظيمة التي وقعت -ولا تزال تقع- على يد هؤلاء من أكبر الكبائر إسلامياً وإنسانياً.

المجلس الأعلى الإسلامي ، بماكو

وقد قام المجلس بقيادة الإمام محمود ديكو منذ بداءات الأحداث 2012م بجهود أدّى بعضها إلى إطلاق سراح (161) مئة واحد وستين أسيراً عسكرياً من جنود مالي عند الجهاديين، والتمكّن من فتح قنوات الإغاثة الإنسانية إلى مناطق الشمال، والتقى وفدّه ببعض الوسطاء في حلّ النزاع كالوسيط الدوليّ رئيس بوركينا فاسو بليز كُومباوري، ومندوبه وزير خارجيته، ورئيس مالي ووزرائه، وقائد الانقلاب ومسؤوليه، وبعض الزعماء والأئمة والعلماء، والنصارى. بل حتى قيادات الحركات الجهادية؛ محاولةً لثنيهم عمّا هم عليه وللدخول في حوارات علمية.

وللمجلس نفسه جهود أخرى دعوية، وإعلامية، واجتماعية، ولقاءات مع الجهات الحكومية، وتظاهرات احتجاجية سلمية، لا يزال يبذلها في مواجهة مشاريع العلمانيين في محاربة الإسلام وقيمه في مجالات مختلفة، كموقفه العام من وثيقة تنظيم الأسرة، وإخراج المسلمين للاحتجاج ضده، وموقفه من محاولة إدخال اللوئية في منهج التعليم الابتدائي، وقيادة تجمع المسلمين ضده في ملعب (26) مارس بتاريخ 15 فبراير 2019م، وغيرها، إضافة إلى النشاطات الدعوية والخطابية لكثير من أعضائها المخلصين تتناول مختلف الأحداث والقضايا الوطنية.

خامسا: بيان اتحاد علماء أفريقيا حول اندلاع الحرب في مالي، رقم 6، بتاريخ 1434/3/7هـ 2013/1/19م. ذكر البيان أهداف الاتحاد ثم قال: انطلاقا من هذه الأهداف أعلن الاتحاد عن عدة أمور نذكر منها:

- حسب متابعة الأحداث قبل اندلاع الحرب يُلقى الاتحاد باللوم على الجماعات المسلحة لمبادرتها إلى الهجوم على المناطق الواقعة تحت سلطة الحكومة مما أجهض مسار المفاوضات، وأشعل فتيل الحرب، وأدى إلى التدخل الأجنبي.
- بناءً على الضوابط الشرعية والحقائق الميدانية يرى الاتحاد أنه لا يصح وصف ما قامت به هذه الجماعة المسلحة من هجوم بالجهاد في سبيل الله، وأن ما ترتب على أفعالهم من المفاسد أعظم من المصالح المتوقعة.
- يتوجّه الاتحاد بالنداء إلى الجماعات المسلحة بحكم رباط الدين إلى العودة إلى مبادئ الشرع وصوت العقل لحقن الدماء.
- يُحذّر الاتحاد من استغلال هذه الأزمة في إثارة الصراعات الدينية، والنعرات العرقية، في هذه المنطقة المعروفة بالتنوع العرقي والديني والمذهبي.

- يستنكر الاتحاد الأعمال المخالفة لمبادئ الإسلام من الاعتداء على المدنيين أو دور العبادة خلال الأعمال الحربية، وخطف الرهائن على اختلاف جنسياتهم وأديانهم، والعمليات التفجيرية التي يروح ضحيتها الأبرياء.
 - يؤكّد الاتحاد أهمية التوعية والتثقيف لترسيخ مبدأ الوسطية ومعالجة مشكلة الغلو في الدين، ويُطالب الهيئات العلمية وغيرها بالقيام بمسؤولياتها في ذلك.
 - يدعو الاتحاد الشعب المالي إلى التكتف والترفع عن الخلافات العرقية والدينية والمذهبية من أجل تجاوز هذه المحنة.
- كان البيان بإمضاء الأمين العام ورئيس الاتحاد
- سادسا: بيان رابطة الدعاة في مالي حول أحداث شمال مالي، بتاريخ 1434/3/15هـ 2013/1/27م بماكو. جاء فيه:
- تأسّف الرابطة على هذه الأحداث وما نتج عنها من اندلاع الحرب.
 - لمشكلة الشمال جذورها وخلفياتها التاريخية، انطوت على مطالب سياسية واجتماعية وثقافية، من قبل بعض شعوب المنطقة، وليست صراعا دينيا.
 - إن قيام بعض الجماعات المسلحة في المنطقة برفع دعوى تطبيق الشريعة ارتبط بأفعال وتصرفات أساءت إلى الإسلام، كسفك الدماء، وتشريد السكّان، وترويع الأمنين. وارتبطت تلك الدعوى بجماعات الغلو كتنظيم القاعدة ومن على شاكلتها، ترتب عليها ضرر بالغ على المسلمين في البلاد.
 - أن ما تقوم به الجماعات المسلحة بعيد عن نهج الإسلام في الدعوة إلى الله، ولا يمت بأي صلة إلى الجهاد في سبيل الله حسب ما هو مقرّر في الكتاب والسنة.

- تُؤيد الرابطة مساعي حكومة مالي لحماية وحدة ترابها وتحقيق الأمن والسلام والاستقرار لجميع مواطنيها واستنجاها في ذلك بالدول الأخرى لِصِدِّ هجمات الجماعات المسلَّحة التي تداعتُ لاحتلال أراضيها؛ وذلك بعد إجهاضها جهود الحلِّ السلميِّ.

- تدعو الرابطة جميع الدول والمنظَّمات والشخصيات الإسلاميَّة الدوليَّة والإقليميَّة والمحليَّة إلى مساعدة شعب مالي المسلم، والرجوع إلى علماء البلد عند اتِّخاذ المواقف⁽²⁰⁸⁾.

سابعاً: الدورة الشرعيَّة: (منهج الخوارج: عارودمار) تنظيم دعاة وزارة الشؤون الإسلاميَّة والأوقاف والدعوة والإرشاد في مالي، بمقرِّ رابطة الدعاة في مالي، بماكو، 20-22/10/1435 هـ 17-19/8/2014م، قُدِّمت فيها أوراق من قبل ثمانية عشر (18) داعية. من تلك الأوراق: التعريف بالخوارج وبيان صفاتهم وعلاماتهم، وشبههم والردِّ عليها، وحركة الشبَّاب نموذجاً، ومَن له إعلان الجهاد (تنظيم الدولة الإسلاميَّة نموذجاً)، وحكم عمليَّات الخطف والاعتقال: (جماعة بوكو حرام نموذجاً)، ومنهج السعوديَّة الوسطي: فتاوى علماء السعوديَّة المعاصرين: (عهد الملك فهد والملك عبد الله)، وحكم الأعمال الانتحاريَّة، والإباضيَّة... إلخ.

ثامناً: دورة الآل عام 2015م: (دورة الدعاة والأئمة والخطباء في مالي: معاً لأجل الآل والأصحاب) تنظيم رابطة الدعاة في مالي 1-5/6/1436 هـ 21-25/3/2015م. قُدِّمت فيها بحوثٌ كثيرة تناولت الشيعة من عدَّة جوانب، منها: بيان ماهيَّة الشيعة. جهود الشيعة ووسائلهم في نشر التشيُّع في مالي.

أكثر شبَّات الشيعة انتشاراً في السنغال وغرب أفريقيا والردِّ عليها. وسائل الشيعة وأساليبهم في الدعوة إلى مذاهمهم. عائشة رضي الله عنها والشيعة. الشيعة ونشأتها في العالم وفي السنغال، وشبَّات يردِّدونها... إلخ.

تاسعاً: "ظاهرة الغلوِّ في الدين: الأسباب والعلاج" تنظيم اتِّحاد علماء أفريقيا

وَضَعَ الاتِّحاد خطَّةً موسَّعة لمواجهة هذه الظاهرة في كلِّ دول الاتحاد؛ فأقيمت ندواتُ التحصين ضدَّ الغلوِّ في الدين بالتعاون مع القطاع الدعوي والتربوي في المنتدى الإسلامي في ثلاث عشرة (13) دولة أفريقية من بين خمس عشرة (15) دولة حُطِّط لإقامتها فيها، توزَّعت تواريخ إقامتها بين 5-12 ديسمبر/2015م⁽²⁰⁹⁾.

في هذا الإطار نظَّم مكتب الأمانة العامَّة في مالي بالتعاون مع المجلس الأعلى الإسلامي ندوة (ظاهرة الغلوِّ في الدين، الأسباب والعلاج). وذلك يوم السبت 13/6/2015م في قاعة (كرة السلة) بملعب موديبو كيتا، حضرها جمع غفير من الدعاة، والعلماء، والمثقفين، وطلبة العلم، وممثل وزير الشؤون الدينيَّة، وغيرهم. تناولت الأوراق: التعريف بالغلوِّ وأسبابه ومظاهره، مخاطره وآثاره، والتحذير منه، والعلاج وطرق التحصين.

عاشرًا: "نبذة عن ظاهرة الغلوِّ والإرهاب في مالي" بحث مقدَّم إلى مؤتمر الإرهاب والتطرُّف وظاهرة الغلوِّ في أفريقيا، المنعقد في أبوجا نيجيريا 16-19

²⁰⁹ - الدول التي نُفِّدَّت فيها الندوة هي: بوركينا فاسو، تنزانيا، بنين، أوغندا، الكاميرون، إثيوبيا، مالي، جنوب أفريقيا، جزر القمر، النيجر، غينيا بيساو، السنغال. انظر: تقرير الأمانة العامَّة عن الندوات بتاريخ 28/1/2016م.

²⁰⁸ - انظر: الصداقة (مرجع سابق)، العدد 70 يناير/فبراير 2013م/2

أكتوبر 2016م، وهو مُقتبس من البحث الأصلي لهذا الكتاب، ومنشور في مدونة المجلس وموقع قراءات أفريقية، أعدّه وفدٌ مالي إلى المؤتمر: د.هارون المهدي ميغا مُقدِّم ورقة الوفد، ود.عمر بمبا المنسق العام، والشيخ عبد العزيز يتابري -رحمه الله-، ود.أبو بكر صديق سيبي، والشيخ هود كوني، و الشيخ إدريس حناكوكو حمزة (لم يتمكّن من السفر). بماكو 2016/10/14م.

حادي عشر: "القتال بين المسلمين صورته وأسبابه في أزمة مالي 2012م، دراسة فقهية" بحث تكميلي مقدّم للحصول على درجة الماجستير في الفقه وأصوله، إعداد الطالب محمد الحاج عثمان ميغا، إشراف د.بوكاري كندو، العام الجامعي 1436هـ 1437هـ، قسم الدراسات العليا، اختصاص الفقه وأصوله، كلية الشريعة والقانون، الجامعة الإسلامية بالنيجر.

وهي دراسة علمية قيّمة، فيها جهدٌ علمي مقدّر، وعرضٌ شيق للموضوع، وتوثيق.

تناول فيها القتال في الإسلام ومشروعيتها، ودواعيه، وضوابطه. ثمّ ركّز على البعد الديني في الأزمة فعرض للجماعات الجهادية في مالي ونشأتها وفصائلها، وأهم أفكارها: فكرة إقامة خلافة إسلامية، وتطبيق الشريعة في شمال مالي وما ينقصها من ضوابط شرعية، والتكفير وما يترتب عليه من استباحة دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم، والخروج على الحاكم. ثمّ فصل في آثار الأزمة الاجتماعية، والاقتصادية، والدينية، ليختم مباحثها بدراسة تقويمية فقهية لأفكار الجماعات الجهادية. وقد بذل جهداً كبيراً في مناقشتها نقلاً وعقلاً⁽²¹⁰⁾.

ممّا جاء فيها أنّ مالي دولة إسلامية تعرّضت لثلاثة أنواع من العدوان قامت برّدٍ ما عليها جميعاً، لم يكن على المستوى ولا في التوقيت و السرعة المناسبين. العدوان الخارجي من قبل حركات جهادية ليس معظم أعضائها ماليين، والرّد عليه "حقّ طبيعي؛ لأنه قتال ضدّ العدوان، وكلّ القوانين عند الأمم الماضية والحاضرة تجعله من الحروب العادلة"⁽²¹¹⁾. والعدوان الداخلي من قبل حركات انفصالية وجهادية، يسمّيه الفقهاء (حروب المصالح)، وتشمل قتال المرتدّين، والبغاة، والمحاربين، أي المتمرّدين، والجهاديين. والرّد عليه واجب ديني ووطني وشعبي. "إنّ تدابير العنف المشابهة للحرب قد تلجأ إليها الدولة الإسلامية، وتدابير العنف هذه تكون لدرء الفتنة، ومنع البغي الذي يحدث داخل المجتمع المسلم؛ فبهيدّ أمنه وكيانه"⁽²¹²⁾. وعدوانُ ناقضي العهود، وهم أنواع، يهتّمنا ما نحن بصددّه، وهم أهل الحرب أي الطائفة الأولى، تتمثّل في العدوان الداخلي؛ فالتمردون يكتسبون مكاسب كثيرة ومتنوّعة وجديدة بعد كلّ اتّفاقية تمرد، وبرغم ذلك لم يُراعوا العهود أو الاتّفاقيات؛ إذ لا يلبثون بعد كلّ اتّفاقية -إلا قليلاً- حتى يقوموا بتمردٍ آخر، أو ينقضوا بعض المتّفق عليها؛ فلا يُفون بها. وللعهود والمواثيق والوفاء بها مكانة عالية في الإسلام والإنسانية؛ فلا يجوز نقضها ولا التلاعب بها؛ باتّخاذها وسيلة غدر وخيانة⁽²¹³⁾.

لكيّ اختلّفت مع الباحث منذ البداية -ولا أزال- في بعض المصطلحات التي استعملها، كالقتال، وإن كان المعنى الغالب في (قاتل/فاعل) الدلالة على المشاركة، ويأتي للتكثير، وبمعنى فعلٍ والأخير كثير في القرآن الكريم (حافظوا على الصلوات،

²¹¹ - المرجع نفسه /34

²¹² - القتال بين المسلمين /38، وانظر: 36

²¹³ - انظر: المرجع نفسه/39-40

²¹⁰ - القتال بين المسلمين صورته وأسبابه في أزمة مالي 2012م، دراسة فقهية /22-126

إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ، وحشرناهم فلم نغادر منهم، وروادته التي هو في بيتها، جاوزه هو والذين معه). ويُعبّر بالقتال عن المدافعة كما في حديث المارّ بين يدي المصليّ "فَلْيُقَاتِلْهُ" أي فليدافعه. أمّا لِمَ لا ينبغي استعمال القتال في حال هؤلاء المتمردين الانفصاليين والجهاديين؛ فالأهم معتدون، بُغاة من قبل ومن بعد، إرهابيون، أحباش من آفاق شتى، وعملاء من الداخل، يريدون فرض أفكارهم الخاصّة بالقوّة والعنف؛ ولأنّ القتال يُعطي المعنى الذي أرادوه (الجهاد) مع الإجماع على افتقاد شروطه وضوابطه. "وقد ربط الإسلام القتال بمفهوم الجهاد في سبيل الله" (214)؛ ولأنّ الباحث نفسه يقول عن القتال الاصطلاحي: "هو الاستثناء الذي لا يجوز اللجوء إليه إلاّ لمدافعة الذين يفتنون المسلمين في دينهم أو يخرجونهم من ديارهم"، "ولقد كان منهاج الدعوة الإسلاميّة التجسيد لهذا المنهاج؛ ففي البداية وبعد ما تعرّض له المسلمون من أذى في عقيدتهم، وفتنة في دينهم، واضطهاد تصاعد حتى اقتلعهم من وطنهم مكّة، وجعلهم مهاجرون إلى المدينة، أذن الله -مجرّد إذن- للمؤمنين في القتال"، و"إنّ منهاج الشريعة الإسلاميّة في الدعوة إلى الله وإلى دينه ليس بالقتال وإنّما هو بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن" (215)؛ "ولأنّ القتال من أجل اقتطاع أجزاء من البلاد الإسلاميّة التابعة لدولة مستقلّة قائمة (...). بدعوى إقامة خلافة إسلاميّة فيها كما يتزعمها الجماعات الجهاديّة [من خارج مالي وداخله] الفاعلة في الصراع في مالي من عام 2012م عملاً غير مشروع؛ لأنّه يتعارض مع النصوص والقواعد الشرعيّة التي تدعو إلى وحدة المسلمين في كيان واحد" (216). ويجري الحكمُ نفسه بحذافيره على الحركات القوميّة العلمانيّة الانفصاليّة ذات العدوان الداخليّ ونقض كلّ العهود

214 - القتال بين المسلمين (مرجع سابق) 25/

215 - المرجع نفسه 24، 25،

216 - المرجع السابق 98/

والمواثيق والاتفاقيات بمجرد أن يسنح لهم أدنى فرصة من وعود فرنسا بالانفصاليّة أو بحكم ذاتيّ موسّع، وإغراءاتها الماديّة والمعنويّة والعسكريّة، واستغلالاتها السياسيّة والاقتصاديّة للقضية، وضعف الحكومة أو ظهور علامات مخالفةٍ لشيء من إملاءات فرنسا أو إبعاد بعض عملائها المتنفذين من مناصب قياديّة.

بل لا يصحّ مع هؤلاء المعتدين بطوائفهم الثلاثة حتى مصطلح "القتال" في قوله تعالى: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيئَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ... } [الحجرات 9]. فالبغي قد يكون ابتداءً أي قبل الاقتتال ويكون من بعد، وكلاهما شأن من نحن بصددهم.

أمّا اقتتل (صيغة افتعل) فقد يعيى بمعنى التفاعل أي التشارك، وبه قال الراغب الأصفهاني والسمين الحلبي في "اقتتلوا" (217). ولعلّ الأولى حملها -هنا- على ما هو الكثير من دلالات افتعل (اقتتل) واستعمالاته: التصرّف باجتهاد، ومبالغة، وتعمّل وتكلف، واستعداد وإصرار، في تحصيل الفعل (القتل) كعمل واعتمل، وكسب واكتسب، وحمل واحتمل، وصبر واصطبر. يقول أبو حيّان الأندلسي عن الصيغة في قوله تعالى: { ...وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ... } [من آية البقرة 217]، قوله: "يرتدّد افتعل من الردّ (...). وجاء افتعل هنا بمعنى التعمّل والتكسّب؛ لأنّه متكلف؛ إذ من باشر دين الحقّ يبعد أن

217 - معجم مفردات ألفاظ القرآن، الأفهاني (قتل)، وعمدة الحفظ في تفسير أشرف الألفاظ، معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم، السمين الحلبي، تحقيق وتعليق د.محمد التونسي (قتل).

يرجع عنه؛ فلذلك جاء افتعل هنا، وهذا المعنى وهو التعمُّل والتكسُّب هو أحد المعاني التي جاءت لها افتعل⁽²¹⁸⁾، فهو متكلف الرِّدَّة، مستعدُّ لها، مُصِرٌّ عليها. وهذا أنسب للسياق وأولى بنظم الآية؛ ووجه التكلف والتعمُّل أنه يبذل طاقته وجهده، ويظهر رغبته الشديدة، ويتكلف كلَّ شيء في الرِّدَّة والإصرار عليها، مع أنَّ بين يديه أموراً حسية ومعنوية، نقلية وعقلية، إيمانية وواقعية وإنسانية، تردُّعه عن الارتداد فلم يرتدع، وأقدم عليه. ذلك شأنُ المُقْتَبِلَيْنِ وَمَنْ نحن بصددهم؛ إذ فيه المبالغة في التعمُّل والتكلف في التصرُّف، وإرادة وقوع الفعل والإصرار على تحقيقه، وهو قتل الآخر، من غير أخذٍ بما يحول دونه ويتدارك الخطب قبل وقوعه، مع وجودها كالموانع السابقة في الارتداد، والقراءة، والجوار، وعدم نقض العهود والاتفاقيات السابقة، وعدم الاستمداد من أعداء أهدفهم في تدمير بلاد المسلمين والسيطرة عليها لمصالحهم الخاصة، كلُّ هذه واضحة جلية فيمن نحن بصددهم... إلخ.

يؤيد هذا المعنى تفرع بغي إحداهما وقتاله على اقتتلوا، "أي فإن ابتدأت إحدى الطائفتين قتال الأخرى ولم تُصغِ إلى الإصلاح فقاتلوا الباغية. والبغي: الظلم والاعتداء على حق الغير، وهو هنا مُستعمل في معناه اللغوي وهو غير معناه الفقهي؛ فالتي تبغي هي الطائفة الظالمة الخارجة عن الحق وإن لم تُقاتل؛ لأنَّ بغيها يحمل الطائفة المبغي عليها أن تدافع عن حقها"⁽²¹⁹⁾. فما بالك بهؤلاء تعدوا على الشعب والبلاد والحكومة بالقتل والتدمير والتخريب، وأفسدوا -ولا يزالون- بانتهاك الحقوق في الأنفس والأموال والأعراض، والله لا يحبُّ الفساد؟؟؟

²¹⁸ - تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق وتعليق د. عادل عبد الموجود وزملائه 159/2، ط1 عام 1413 هـ 1993 م، دار الكتب، بيروت لبنان، وانظر: المغني في تصريف الأفعال محمد عبد الخالق عزيمة/111-112، 121-122، ط3 عام 1408 هـ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
²¹⁹ - تفسير التحرير والتنوير ابن عاشور 25-26/239-240 بدون. وانظر ما بعدهما.

لا أرى أيضاً استعمال الباحث لمصطلح (الصراع): "لأنَّ الإسلام قد تميَّز في هذا الميدان برفضه فلسفة الصراع؛ لأنَّه يؤدِّي إلى أن يصرع القويَّ الضعيف فيزيله وينهي التنوع والتعدُّد والاختلاف التي هي سنَّة من سنن المخلوقات؛ فحين رفض الإسلام فلسفة الصراع أحلَّ محلَّها فلسفة التدافع الذي هو حراك يحلّ التوازن محلَّ الخلل الذي يصيب علاقات الفرقاء المتمايزين"⁽²²⁰⁾.

مثلهما استعمال "النزاع المسلح" الذي ورد عند الشيخ كونتاو؛ لأنَّ ما جرى ليس نزاعاً بل اعتداء مسلح على دولة وشعب. وربما يُوطَّر استعمالُ الشيخ له بإطار السياق والظروف التي كُتِبَ فيها المقال ومَن وُجِّه إليه بالدرجة الأولى، واللَّبيب بالإشارة يفهم.

ثاني عشر: مقالات وبحوث أخرى تبرز جهود أولئك العلماء والباحثين في محاربة الانحراف الفكري:

❖ "النزاع المسلح في مالي"، الشيخ إبراهيم كونتاو⁽²²¹⁾، بدأه بالإشارة إلى مواقف متباينة في العالم الإسلامي من التدخُّل الفرنسي لأسباب كعدم الإمام التام بجذور الأزمة. وعرض تواريخ التمرد المسلح في مالي وما يعقب كلَّ تمرد من اتفاقية تُعطي الطوارق مكاسب جديدة. أمَّا أبرز محطات التمرد فيذكر تمردات عرقية قوية بعد الاستقلال يدعو معظمها إلى الانفصال عن مالي، أولها: تمرد 1962-1964 م من قبل زعماء ووجهاء الطوارق في كيدال، عُرف بالفلاقة (مصطلح كان يستعمله الجيش الفرنسي لوصف المقاومين من الجزائر وتونس أيام استعمارهما)، ثم توالى التمردات في أعوام 1990 م، 1996 م، 2006 م، 2009 م، 2012 م. ومن أبرز حركاتها: الحركة الشعبية لتحرير أزواد (1988 م) وحركة

²²⁰ - القتال بين المسلمين (مرجع سابق) 25/

²²¹ - قراءات إفريقية عدد 16 (مرجع سابق) 32-39

تحالف 22 مايو الديمقراطي (2006م) بقيادة إبراهيم باهنغا، والحركة الوطنية لتحرير أزواد (2011م) وغيرها من الحركات الطارقية والعربية. وقد تمثلت أهم مرتكزات الاتفاقيات التي كانت تعقب كل تمرد (1990-2009م) والتي لا تؤدي إلا إلى تغذية أخرى ووقودا لها: حُكم ذاتي أوسع، اللامركزية في الشمال، دمج واستيعاب مقاتلي الطوارق في الوظائف العمومية ومؤسسات الدولة بما فيها الأمنية والمدنية، وصل عددهم في اتفاقية 1992م إلى ثلاثة آلاف فرد. ومنها: تنمية الشمال، ومبادرات للمصالحة، واستعادة الأمن وتنمية منطقة كيدال (اتفاقية 2006م)، وتسليم الأسلحة للحكومة، وأن تكون لهم الأغلبية في أفراد الجيش والأمن وقادتهما، وفي الإدارة، بالمنطقة. ومع ذلك يُلاحظ أنه ما أن يقوم تمرد حتى يترك مئات العسكريين والمدنيين الطوارق وظائفهم في الحكومة بطريقة غير شرعية. وتفاهات جديدة لدمجهم في القوات المسلحة بالرتب التي جاؤوا بها (تكرر في 2019م)، ومن تلك المرتكزات: احترام قوانين الدولة، وعدم التعرض للسلم العام (2011م) العائدون من ليبيا ووقود التمرد الأخير)... إلخ.

ثم خرج الشيخ كونتاو بملحوظات، منها:

- كل حركات التمرد كانت انفصالية بحتة تنص على علمانية الدولة، ولم تُناد -ولو لحظة- بدولة إسلامية. وشارك زعيم حركة أنصار الدين الجهادية إياها أع غالي في معظم التمردات الانفصالية العلمانية، ما عدا حركة 1963م لصغر سته. وتولى مناصب عليا بالدولة، في الداخل والخارج، وعين بعض الوزراء باسمه، وأعدقت عليه أموال طائلة، وتعاون مع الحكومة في محاربة بعض الانفصاليين. ولا يزال في الحكومة الحالية والتي قبلها من يعملون بإمرته.

- "المجموعة التي أتهمت باختطاف السائح وتدمير حركة المخدرات في شمال مالي هي نفسها التي تقود الحركة الأخيرة" في 2012م.

- للاختلاف فيما بينهم ظهرت حركات أخرى عند ما أرادت الحكومة ضم كل فصائلهم إلى الاتفاقيات مما أدى إلى عودة بعضهم إلى التمرد؛ لصعوبة انسجامهم مع الأخرى ولرفضهم التسوية.

- انضم إلى الحركة الانفصالية الأخيرة "عدد من النواب، والوزراء، ومسؤولين عن الجيش، وحكام الولايات، الذين تركوا مناصبهم فرارا إلى الصحراء على حين غفلة من الدولة. ومنهم نائب رئيس جماعة أنصار الدين عباس (الغبّاس) أغ إنتلأ الذي انشق (...). وقاد جماعة جديدة باسم الحركة الإسلامية بأزواد بعد الهزيمة في كونا"، وتكونت بتاريخ 2013/1/14م.

- "أن سكان المنطقة حوالي (1,300,000) نسمة، يُشكلون أقل من 9% من مجموع سكان مالي. وقد أُعطي الطوارق منهم عناية كبيرة من الدولة والدول الكبرى ومنظماتها. ففي السنوات العشرين الماضية [تولى عدد منهم مناصب وزارية] (...). فمن مجموع الوزراء في الحكومة الحالية [2012م] المكونة من ثلاثين وزيرا (...) يُوجد فيها وزيران من العرب هما التعليم العالي، والتدريب، وثلاثة وزراء من الطوارق، وهم الثقافة، والشباب والرياضة، والأسرة والمرأة والطفل. كل ذلك من أجل القضاء على التمرد ودعوى تهميشهم. وإلا فإن تعيين الوزراء لا يتم في مالي حسب الانتماء القبلي" أو الجهوي⁽²²²⁾.

- أن السكان الآخرين في الشمال هم الغالبية لم يطلبوا الانفصال بدعوى التهميش بل ينادون بالبقاء في الدولة.

²²² - قراءات إفريقية عدد 16 (مرجع سابق) /35

وأشار الشيخ إلى أهمّ الجماعات المسلّحة الانفصاليّة MNLA، والجهاديّة أنصار الدين، وجماعة التوحيد والجهاد، والقاعدة، والحركة الإسلاميّة الأزواديّة. وذكر بعض الأحداث التي أدّت إلى طلاق جزئي بين الجهاديّة و الانفصاليّة، والحراك الإقليمي والدولي لِجِلِّ سلميٍّ للأزمة بالدخول في مفاوضات. ثمّ أبدى ملحوظات عامّة أو تلخيصاً عن الأحداث كلّها:

- من شكاوى الانفصاليّين العلمانيّين وأسبابها المزعومة: الإهمال، والتهميش. وإنّما الحقيقة أنّ العصبية القبليّة والعرقية هي أكبر دوافعهم قديماً وحديثاً لِحمل السلاح-وقد تقدّم البرهان- والأّ كيف يكون مهمّشاً قلة قليلة لديهم خمسة وزراء من ثلاثين، وهذا غير الأعداد الأخرى في المناصب العليا المدنيّة والأمنيّة.

- قلة الطوارق والعرب بالنسبة إلى سكّان الشمال وقلة هؤلاء السكّان بالنسبة إلى سكّان الدولة كلّها.

- مَطْلَبُ تطبيق الشريعة جديد بسبب ما كان للحركات الجهاديّة من تمكين للانفصاليّة في المعارك ضدّ الحكومة قبل طلاقهما الظاهري؛ لأنّ من الصعوبة فهم الجمع بين علمانيّة الانفصاليّين وإسلاميّة الدولة عند الجهاديين، وكيف اجتمعاً عند زعيم أنصار الدين وحلفائه؟ لعلّ ذلك الطلاق الظاهري وإدراك أنّهم وجهان لعملة واحدة صُنعت من العصبية القبليّة بالدرجة الأولى، هو ما يُفسّر الأمر. ويؤيّدُه التقلّبات السريعة وتلوّن الجماعات كلّما هبّت رياح مغايرة ممّا يجعل تحديد أهدافهم صعباً. وأكبر مثال على ما سبق تقلّبات الغبّاس وحركته بين إسلاميّة مقاومة لفرنسا والجيوش الأجنبيّة وقوميّة متعاونة معها لمحاربة الجماعات المسلّحة الأخرى. والواقع أنّ كلّ هذه التقلّبات إنّما هي ذرٌّ للرماد في

العيون، ونفاقٌ في المبدأ والموقف، وغياب الوعي الإسلاميّ الكبير لدى الطوارق؛ فهو وإياد يدٌ واحدة.

- أغلبُ أعضاء الجماعات الجهاديّة ليسوا ماليّين، وهم مطاردون من بلدانهم.

- من الآثار السيّئة النهب، والفوضى، وانتهاك الأعراض، ونزوح حوالي نصف السكّان إلى الجنوب والدول المجاورة.

ثمّ تناول الشيخ كونتاو دور المجلس الأعلى الإسلاميّ الذي يتولّى هو منصب مسؤول علاقاته الخارجيّة. ذلك الدور ظهر من بداءات الأحداث وقد تقدّم بعضها. ثمّ ختم تقريره بتوصيات ومقترحات عمليّة للخروج من الأزمة، نحو: على كلّ الجهات الإسلاميّة العالميّة وبخاصّة المنديّة بالحرب على المتمرّدين إدراكٌ وتحقيقٌ أنّ الإسلام هو للمسلمين في العالم، لا يختصّ بجنس دون غيره، ومن ثمّ يجب عليها السعيّ ضدّ ما يحدث في مالي والوقوف بجانب شعبه الذي يرى مُعظّمهم أنّ دولتهم احتلّت قرابة سنة كاملة ولم يشاهدوا أيّ تدخّل إسلاميّ، ولم ترتفع أصوات الدول والهيئات الإسلاميّة لنجدتهم كما يجدون التنديد والاستنكار بعد التدخّل الفرنسي؛ فلم يرتضوا الموقف؛ ولذلك فإنّهم سيعُدّون -ولهم الحق- أيّ مساندة للمحتلّ من أفراد أو هيئات أو دول، معاداةً لهم. وأنّ على قادة الأُمّة الدعوة إلى إيقاف الحرب من الطرفين، والضغط على الجهات الإسلاميّة العالميّة، الرسميّة منها وغير الرسميّة، للقيام فوراً بهذا الواجب الذي قعدت عنه منظّمة التعاون الإسلاميّ، ورابطة العالم الإسلاميّ، والأزهر، ورابطة علماء المسلمين، وغيرها. وأن يكون تدخّلها بوصفها وسيطاً في الصراع لا طرفاً فيه كما شاهدنا عند الكثير⁽²²³⁾، ستأتي نماذج.

²²³ - قراءات إفريقيّة عدد 16 (مرجع سابق) /37-39 بتصرّف.

❖ "هل من دروس مستفادة من الأزمة في مالي، محاولة قرآنية لحصر الجوانب الإيجابية والسلبية في الأحداث الجارية بمالي" د.غورو انجاي. نُشر على حلقات في أعداد مختلفة من جريدة الصداقة⁽²²⁴⁾، تناول فيها بالتفصيل والتحليل جوانب عدة تتعلق بالأزمة حسب تطوراتها وتلاحق أحداثها، وتعدّد المواقف الداخليّة والإقليميّة والدوليّة، والأحوال والظروف في الدولة نفسها...إلخ.

وقد تقلّبت -وفق الباحث- تحت مسمّيات مختلفة: "أزمة شمال مالي" 17 يناير 2012م، ثمّ "أزمة السلطة بيمكو" في 22 مارس 2012م، ثمّ "أزمة مالي" وأخيرا "أزمة الهوية في مالي". وعرض لشيء من تاريخ التمرد في مالي، وتأثير سقوط القذافي فيه، وانقلاب 22 مارس 2012م وعراك الأحزاب السياسيّة. كما عرض للجماعات المسلّحة الانفصاليّة والجهاديّة، الإقليميّة والدوليّة، وتداعياتها على الماليّة. وتحدّث عن الدروس الإيجابية والسلبية في الأزمة، وتقصير كثير من الجهات الماليّة.....إلخ.

الأزمة -إذن- وليدة قضايا كثيرة ومتشابكة داخلية وخارجية، بل وعقوبة من الله -حسب الباحث-؛ "تذكيرا بالانحراف عن القيم والمبادئ القويمة". وحكومات مالي المتعاقبة بعد الاستقلال لم تتوصّل إلى حلّ للمشكلات المتعلقة بالشمال "لا من الناحية السياسيّة، ولا الاقتصاديّة، ولا الاجتماعيّة، ولا العسكريّة، بل إنّ كلاً منها حاولت إيجاد حلول نسبيّة وجزئية، وكانت في معظمها أقرب إلى توفير مهادنات ومسكّنات لتلك القضايا بأوجه متفاوتة"⁽²²⁵⁾.

وفي حديث د.غورو عن الدروس الإيجابية يذكر أمورا، أحدها: شعور كاليّ الماليّين بمختلف طبقاتهم وأعراقهم وأجناسهم بالخطر المُحدق بالأرض والشعب في يقظة ضمير بعد سُبات عميق من أيّام ألفا عمر كوناري. ثانيها: شعور ذوي الضمائر الحيّة من الماليّين بضرورة العناية بالجيش. ثالثها: كشفت أحداث الانقلاب عن الكثير من أسباب الأزمة ومُفْرزاتها كمواقف الحكومات وقراراتها الخاطئة في الاتّفاقيّات الرديئة عام 1992م، 2006م؛ فقد مكّنت للمتمردين السيطرة العسكريّة والأمنيّة والإداريّة على مناطق الشمال، وسهّلت الأمر عليهم فيما بعد. رابعها: الكشف عن طبيعة وحقيقة بعض الشخصيّات والأحزاب السياسيّة في البلاد من خلال مواقفها المُخزية؛ إذ دخلت في عراك سياسي على الحكم؛ فلم تهتمّ بوحدة الوطن بقدر اهتمامها بالاحتفاظ بمقاليد الحكم، والوصول إلى الرئاسة، وحماية مصالحها وذاتها. خامسها: الدور الوطني الرائع لرجال الدين المسلمين والمسيحيّين؛ "فقد أسهموا جميعا -في هذه المرحلة العصيبة من حياة الأُمَّة- بإيجابية وفاعليّة. وقاموا بوساطات، كما قدّموا حلولا لمختلف القضايا الصعبة التي مرّت وتمرّ بها مالي (...). إلّا أنّه يرجع الفضل الأكبر والدور الأعظم لقادة المجلس الأعلى الإسلاميّ الذين ما فتّئوا -بكافّة قواهم وعناصرهم- يسعون ليلا ونهارا لإيجاد حلول للأزمة (...). فبصمّاتهم واضحة جدّا في تهدئة الأجواء وإخماد نار الفتنة والخلاف، وبثّ روح الوفاق والوثام بين أبناء الوطن الواحد في مختلف أعراقهم وأجناسهم وانتمائاتهم الفكرية والدينيّة، وتوجّهاتهم السياسيّة والطائفية وغيرها". آخرها: "أوجدت طبقة جديدة من السياسيّين لم يُعهد لهم مثيل في البلاد لما يتوقّر فيهم من خبرات وكفاءات إداريّة وفنيّة وتقنيّة"⁽²²⁶⁾.

²²⁴ انظر: جريدة الصداقة (مرجع سابق)، الأعداد -حسبما وقفت عليها-: العدد 65 أغسطس 2012م/8، والعدد 66 سبتمبر 2012م/2، والعدد 68 نوفمبر 2012م/6، والعدد 69 ديسمبر 2012م/6، والعدد 70 يناير/فبراير 2013م/6، والعدد 71 مارس/أبريل 2013م/8، والعدد 76 أغسطس 2013م/7.

²²⁵ -المرجع السابق، العدد 65 أغسطس 2012م/8، وانظر: العدد 66 سبتمبر 2012م/8.

²²⁶ -الصداقة (مرجع سابق) العدد 68 نوفمبر 2012م/8.

ثمَّ عرج د.غورو على السلبيّات والمثالب التي ارتأها؛ فذكر عددا، منها: "مدى سوء الحالة التي كان المالئون يعيشونها من الناحية الاجتماعية (الأخلاقية خاصة)، والاقتصاديّة، والسياسيّة، والأمنيّة، وحتى الفكرية، خلال العقود الأخيرة؛ فقد اختفت مشاعر الإخلاص في العمل لديهم، وكذا حبُّ الوطن والتضحية من أجل إعلاء شأنه والدفاع عنه بالغالي النفيس. وأيضا اختفاء مشاعر الإخاء والتعاون". برزت هذه السلبيّة أكثر في اختلاس المال العامّ، والمحسوبيّة، وفرار الجنود من المعارك تاركين العتاد للعدوّ، وميل قادة الجيش والساسة عامّة إلى اللذات والمصلحة الشخصية، وعدم اهتمام الأحزاب السياسيّة بمشكلة التمرد ولا ببناء المواطن الصالح.

ومن السلبيّات: أنّ وراء المتمردين بأشكالهم المختلفة أيادي خفيّة موجهة ومدبرة، وفق ما كشف عنه مصادر إخبارية شرقية وغربيّة، محليّة، وجيرانيّة، وإقليميّة، ودوليّة. بل كشفت هذه المصادر عن مدى تلقّي المتمردين لأصناف من الدعم والتأييد من أفراد ودول ورؤساء، كتأمين المأوى، وتوفير الأسلحة والتدريب، والأموال، واللوجستيك، والمنابر الإعلاميّة والدعاية، والحصانة الدبلوماسية. ومنها: تفاقم الأزمة حتى فاقت قدرة الماليين وحدهم على حلّها. ومنها: "ضعف تأثير دعاة الإسلام في المجتمع الماليّ. نريد بالتأثير هنا ذلك الذي يقود المجتمع الماليّ إلى الرقيّ الماديّ، والصلاح الأخلاقيّ، والسموّ الروحيّ، نحو خالق العباد. وأعتقد أنّ الدور الريادي لهذا الفشل يعود إلى قادة المسلمين وخاصّة الذين يرون أنّهم يمثّلون نسبة عالية من الأتباع تصل إلى 95% من مجموع سكّان مالي. فهم غير قادرين على توجيه هذا الكمّ الهائل من جماهير الشعب المسلم نحو الرشد والاستقامة وعبادة الله حقّ عبادته في السرّ والإعلان".

ويُتابع د.غورو هجومه الشديد واللادع على دعاة الإسلام ويقول: "فإنّهم لم يكونوا يوما على قدر المسؤولية لا في الأمس القريب، ولا اليوم!! لماذا؟ لأننا لا نراهم يتخذون أيّ تدابير تُذكر إلى الآن تتناسب وقدر مسؤولياتهم أمام هذا الشعب الماليّ المسلم المغلوب على أمره...".

يقول-أيضا-: "وأنا لا أرى أين يوجد الإتقان في أعمال قادة المسلمين بمالي فيما نراه ونسمعه عنهم، أو فيما يلفظ به بعض عناصرهم من أقاويل ذات الصبغة المستقبلية".

ويواصل انتقاداته اللادعة لقادة المسلمين ودعاتهم فيذكر لهم بعض الأوصاف السيئة وما ذا وراء ضعف تأثيرهم في المجتمع الماليّ؟ فمن أوصافهم: غالبيتهم يعمل لتحقيق الذات بل لنيل مكاسب ماديّة، والشهرة باسم الإسلام لا غير، فهم -إلى حدّ كبير- كالسياسيين ورجال الشارع العاديين في هذه البلاد. ومنها: تزايد انقساماتهم يوما بعد يوم "فهؤلاء القادة بدا أنّهم لا يتفقون فيما بينهم، ويحبّون المال حبّا جمّا وكلّ ما يقرب إليه؛ فأصبح النصارى لا يحسبونهم عند المسائل الرسميّة"⁽²²⁷⁾.

يُشكر له تناوله للأزمة بتفصيل وتحليل للكثير من الجوانب المتعلقة بها في أعداد مختلفة من الجريدة حاول فيها الإجابة عن السؤال الذي اتّخذ عنوانا لمقالاته، وجاء بجهد طيّب.

لكنّ في كثير من أطروحاته غلّوا، وعاطفيّة شديدة، وإلقاء الكلام جزافا، وتعميما. وبخاصّة الهجوم اللادع على دعاة الإسلام وقاداتهم في مالي، والأوصاف السيئة التي وصفهم بها كالفشل الذريع، وعدم كونهم على قدر المسؤولية لا في

²²⁷ - الصداقة (مرجع سابق) الأعداد: 69 ديسمبر 2012م/6، و70 يناير/فبراير 2013م/6، و71 مارس/أبريل

الأمس ولا في اليوم، والأنايية، وحب المال حُبًا جمًا، وغيرها حتى كادت تُنسبهم القضية الأساس. فكان دورهم هذا -عنده- من مُمهدات الأزمة. لسنا هنا بصدد مناقشته حتى لا تخرجنا ممًا نحن بصده. وقد قلتُ قبلُ -والعهدة عليّ-: إنَّ جمهورية مالي لم تعرف حدثًا حرَّكت عقول علماءها ذوي التعليم العربي والإسلامي وأقلامهم؛ ففاضت بالكتابة والنشر عنه داخليًا وخارجيًا مثل أحداث 2012-2013م وما بعدها، مع ذكر بعض المُسوِّغات. وأكَّدتُ في بحوث أخرى أن ما قبل أحداث 2012م أقوى فترات قوَّة قادة المسلمين وعلمائهم، وازدياد وعيمهم، وتأثيرهم على الحكومات وقراراتهم المضادة لثوابت دينهم، وأنَّ كلَّ هذه وغيرها من أسباب الغضب الغربي على الرئيس ATT بقيادة فرنسا وأمريكا والمنظَّمات الدوليَّة والعملاء في الداخل؛ بحجة أسلمة الدولة العلمانيَّة.

لقد وصلت الإيغالات، والمغالطات الكثيرة، والتعميمات في الأحكام وإلقائها جزافًا وصلت بالدكتور غورُو إلى أن جعل -بقصد أم بدونه- علماء المسلمين ودعاتهم وقادتهم الطرف السادس في الأزمة بعد الرئيس ATT، والحركات الانفصاليَّة والجهاديَّة، والانقلاب العسكري، والأحزاب السياسيَّة، والدول المجاورة والكبرى.

ولديه بعض التناقض بين ما ذكره عنهم هنا وما سبق من دور المجلس الأعلى الإسلامي وقادتهم. وهل كان يريد مجتمعًا مثاليًا ودولة فاضلة؟؟؟ فإنَّ الدول التي لديها جهازُ حِسبة مدعومة وقويَّة لم تقوَ يوما على ما تُطالب به الدعاة؟ كما خلط بين القيام بالدعوة واستجابة المدعوِّين وتغيير سلوكهم إلى الحسن أو الأحسن؛ فما من ثمار تُجنى بين عشية وضحاها!!!! وأين المعوِّقات الكثيرة التي تُوضَع في طريقهم وأبرزها العلمانيَّة وموَلداتها؟

إنَّ في جهود العلماء والدعاة -قبل الأحداث وبعدها- التوعويَّة، والمواجهة كتابة وخطابة، الفرديَّة، والجماعيَّة، والجمعيَّاتيَّة، المذكورة في هذا الفصل -وهي غيُضٌ من فيُض- وغيره، لردودًا علميَّة، واقعيَّة، ميدانيَّة، على تلك الأطروحات. ولعلَّ شباب الدعاة يردُّون عليه يومًا ما.

أخيرا أين منزلتُك بينهم فإن لم تجعل نفسك من الدعاة أفلست من العلماء المحسوبين على المسلمين؟ فأين ما قدَّمته لهذا المجتمع الذي ترى فشل الدعاة والعلماء وقادة المسلمين جميعا فشلا ذريعا في الأخذ بيده إلى تحقيق عبادة الله الحق؟

❖ للدكتور عبد العزيز محمد ميغا -رحمه الله تعالى- المستشار السابق برئاسة الدولة عدَّة بحوث وأوراق قدَّمها إلى مؤتمرات وندوات مختلفة. المعلومات الأساس -في أغلبها- هي نفسها وإن تعدَّدت المؤتمرات وأماكنها؛ بسبب وحدة الموضوع الذي ركَّز عليه "أزمة شمال مالي" تمرُّدا، وأهدافا (انفصال، وإقامة إمارة إسلاميَّة تطبِّق الشريعة)، وشخصيَّات (جماعات مسلَّحة انفصاليَّة وجهاديَّة وداعميها)، ووسائل، وأثارا سلبية. استخرجها لي من حاسوبه -بعد وفاته- ابنُ عمِّه محمد القاضي سليمان ميغا، من تلك الأوراق:

- "حركات التمرد في شمال جمهورية مالي وأثارها في تهديد الوحدة الوطنيَّة"، ورقة مقدَّمة إلى المؤتمر الدولي "الوحدة الوطنيَّة ثوابت وقيم" جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة بالرياض. لم أقف على تاريخ المؤتمر. ممَّا جاء في الورقة: مناطق شمال مالي الموقع والسكان. الخلفيَّة التاريخيَّة للتمرد في شمال مالي. حركات التمرد والجماعات الإرهابيَّة التي احتلَّت شمال مالي عام 2012م. الآثار السلبية لاجتياح شمال مالي من قبل مرتزقة الطوارق والجماعات الإرهابيَّة.

"التنمية الشاملة والحكم الإسلامي الرشيد، وواقع حكم الجماعات المسلّحة في شمال مالي"، ورقة مقدّمة إلى المؤتمر الدولي "الإرهاب وضرره على التنمية والاستقرار، 29-30 مارس 2016م، تنظيم رابطة العالم الإسلامي بالسعودية. ممّا جاء فيها: التنمية وأنواعها العلميّة والثقافيّة، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة. الحركات الإرهابيّة واحتلالها لشمال مالي: الأسباب، الأهداف، الآثار السلبية.

"المرجعيّة وقضايا الخلاف، قراءة في موقف المجلس الأعلى الإسلامي من دعاوي الجهاد وتطبيق الشريعة على يد الحركات المسلّحة في مناطق شمال مالي". ورقة مقدّمة إلى المؤتمر الدولي "علماء السنّة ودورهم في مكافحة الإرهاب والتطرّف" تنظيم رابطة العالم الإسلامي ووزارة الشؤون الإسلاميّة والتعليم الأصليّ، موريتانيا، مارس 2016م. ذكر فيها أنّ علماء أهل السنّة وقعوا في موقف حرج وابتلاء وفتنة؛ بسبب الاختلاف مع تلوّك الجماعات المتطرّفة في قضايا كثيرة تتعلّق بالولاء والبراء، والتكفير، والجهاد، وإقامة الإمارة الإسلاميّة، وتطبيق الشريعة. ولمّا كان المجتمع الواعي يرجع إلى العلماء الراسخين في العلم، المخلصين في الدين، للنجاة من الوقوع فريسةً لأولئك فإنّ علماء السنّة في مالي اعتمدوا- بتوفيق الله- على الثوابت الدينيّة في الفتن، وعلى فقه الأولويات في الدعوة إلى الله. وفي قراءته لموقف المجلس الأعلى الإسلامي بيّن أنّ علماء السنّة قاموا بدور إصلاحي لكشف المخاطر، وعرضَ الجوانب الآتية:

علماء السنّة والحركة الإصلاحيّة في مالي رغم ما بذله آخرون لتشويه صورة علماء السنّة والتخويف من مذهبهم، ولفق التهم بهم.

الحركات المتطرّفة والإرهابيّة ودعاوي الجهاد وإقامة الإمارة الإسلاميّة وتطبيق الشريعة في شمال مالي.

أهمّ الجهود التي بذلها المجلس، كزيارة المناطق المحتلّة والالتقاء بقيادة تلك الجماعات. وجمع التبرّعات لشراء الموادّ الغذائيّة والطبيّة وتوصيلها لسكّان تلك المناطق. والسعي لدى السلطات العليا المختلفة في مالي وخارجه للتباحث عن حلول والتفاوض. وتكوين لجنة علميّة من العلماء المتخصّصين لإعداد دراسة شرعيّة عن الجهاد وحمل السلاح لتطبيق الشريعة، نقلَ مقتبسات منها. والرّد على الذين تحدّثوا في الدول العربيّة عن الأحداث وأصدروا فتاوى في نصرة البغاة الإرهابيين؛ فبيّن خطأهم من خمسة أوجه: أوّلها: عدم الالتزام بالحلم والأناة لتحقيق رؤية علميّة صحيحة عن الموضوع. ثانيها: عدم إعمال قاعدة درء المفسد وجلب المصالح عند الحديث عن الأزمة. ثالثها: عدم الاهتمام بأمر المسلمين ولا بأولويّات العمل الإسلامي. رابعها: التفرقة العنصريّة وعدم الإنصاف بين المسلمين. وأخرا: عرضُ لأهمّ النقاط التي وردت في بيان اتّحاد علماء أفريقيا بتاريخ 2013/1/19م حول الأزمة.

- "موقف الإسلام من العنف والتطرّف"، ورقة مقدّمة إلى المؤتمر الدولي "واقع الأُمّة الإسلاميّة في ظلّ تحديّات الغلوّ والعنف والتطرّف". تنظيم وزارة الشؤون الإسلاميّة والتعليم الأصليّ، موريتانيا، فبراير 2018م. ركّز فيها على ثلاثة جوانب: العنف والتطرّف في ميزان الشرع. أحداث العنف والتطرّف في شمال مالي. موقف علماء مالي من أعمال العنف والتطرّف في شمال مالي. لا يكاد ما ذكره في الآخريّن يختلف عمّا تقدّم في الورقة الثالثة.

- "آثار التزام دعاة أهل السنّة والجماعات بالحكمة وفقه الأولويّات في الثبات أمام موجات الفتن في شمال جمهوريّة مالي". ورقة مقدّمة إلى ندوة "الحكمة في تجديد الخطاب الدعوي" كرسيّ سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله- لدراسات الحكمة في الدعوة، الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة. لم

أقف على تاريخ الندوة في الورقة التي سُجبت، ولا تلك الآثار غير الإشارة إلى أنّ للحكمة وفقه الأولويات أثرا في نجاح العمل الدعوي والكشف عن مخاطر دعاة الفساد التي لا تتفق مع مقاصد الشريعة في الدعوة إلى الله. كما أنه أعاد فيها ذكر حركات التمرد واحتلال شمال مالي من قبل مرتزقة الطوارق والجماعات الإرهابية، وآثاره السلبية. كلها وردت في الأوراق السابقة.

إنّ الجهد الذي بذله -رحمه الله- في تقديم معلومات صحيحة، موثقة، وواقعية في مؤتمرات وندوات متعددة، وفي أماكن وبلاد وتواريخ مختلفة، لجهد عظيم، كان له صدى كبير وطيب في بيان الحقيقة وكشف العوار. لا أستبعد أنا وإخوة أن يكون بعضها هي التي كلفته إنهاء حياته؛ فقد تُوفِّي وهو يحضر إحداها في قطر وبعد كلمة ألقاها. ينضمّ جهده إلى الجهود العلمية القيمة التي بذلها علماء ودعاة مالي في بيان الانحراف الفكري والتطرف والغلو والإرهاب وبعض جهاتها في مالي وخارجه، وآثاره السلبية على مختلف جوانب الحياة، والفرد والمجتمع، والدولة.

من المقالات -أيضا- التي تناولت الأزمة من بعض جوانبها وتمثل جهود العلماء والباحثين في مالي في محاربة الانحراف الفكري وما يترتب عليه:

❖ "الجهاد في الدولة المدنية، د.عبد المؤمن بمبا" (228).

❖ "أحداث شمال مالي تحت المجهر" أ.محمد بن مصطفى سنكري (229).

وبأسلوب الاستفهام الإنكاري التكنيدي أو الإبطلائي تناول جانبا من الأزمة في مقال آخر: "أيُّ جهاد جهادكم هذا؟" (230).

228 - انظر: الصداقة، العدد 64 يوليو 2012م/4

229 - انظر: الصداقة، العدد 70 يناير/فبراير 2013م/3

230 - المرجع نفسه، العدد 76 أغسطس 2013م/5

❖ "فرنسا والمشغبون الطوارق" أ.الحسن جبريل المدني (231). جاء فيه: هوسُ المصالح، وعشق الهويّة، وتحرير شمال مالي، ومعضلة مدينة كيدال.

❖ "الوجه الآخر للحركة الطوارقية المسماة (الحركة الوطنية لتحرير أزواد (MNL)) أ. عبد الرؤوف أحمد سغير. ممّا ذكر: أنّ "الدافع الرئيس الذي كان -

ولا يزال- يُحرِّك التمرد الطوارقي في كلّ من جمهوريتي مالي والنيجر، قديما وحديثا، لم يزل هو هو. وإذا كان أحد أجدادهم أيام الاستعمار الفرنسي قد لُقِّن هذه العبارة المنتنة: (لم نر في العالم دولة يسكنها سود وبيض فيكون السود هم السادة إلا في مالي والنيجر). وكانت هذه الفكرة هي المرارة الدفينة التي لم تزل هلوسة في عقولهم تُحرِّكهم عقب كلّ تمرد فاشل، يجهدون أنفسهم ويتجاهدون من أجل إيجاد هويّة ثقافية سياسية وجغرافية خاصة بعرقهم مع كونها ضربا من المحال. ولعلّهم لم يدروا أنّ أعظم ضلال فكري، وأكبر إحداد عقدي، وأشدّ تعصّب عرقي، وأسرع انحسار ثقافي وحضاري، وأقبح سلوك بشري في هذا العصر، أنّ يتخيّل من يدعي العقل والوعي انفراد قبيلة أو جنس معين من البشر في زاوية من العالم دون أن يقاسم غيره في التفاعل الاجتماعي والسياسي والحضاري". فكيف إذا كانت تلك الزاوية منطقة يسكنها غالبية من غيرهم؟

"وقضية الحركة الانفصالية لتحرير أزواد -كما يدعي المنتمون لها- تنصبُّ في هذه الزاوية، زاوية الانطواء والتقوقع في إطار قبلي وثقافي وجغرافي ضيق مُخلّق". "وتلك فكرة -غالبا- ما تحمل أصحابها على الاستعلاء، والتمظهر بمظهر الشرف، والتطاول، والتعالي، والتعاضم على الآخرين، ثمارها التعصّب الأعشى، وكراهية العرق الآخر، والتحايل والتأمر. ونهايتها التمرد والخروج على الدولة، وإعلان الحرب

231 - انظر: المرجع نفسه، العدد 76 أغسطس 2013م/2

عليها وعلى شعبيها أو مؤسّساتها، مُدّعية تارة التهميش والإهمال، وطورا الاضطهاد وعدم المساواة في توزيع الثروات الوطنيّة" (232).

أخيراً: مجلس علماء وكتّاب شمال مالي والأزمة:

هذا المجلس هو وليد أحداث 2012م في شمال مالي، وما يُنشر بالعربيّة من أكاذيب، وتحريفات وتشويهات للحقائق التاريخيّة والجغرافيّة، والاجتماعيّة، والسكّانيّة. وتضليلات للرأي العامّ المحليّ، والإقليميّ، والعالميّ، الإسلاميّ والعربيّ وغيرهما لصالح حركات التمردّ والجماعات الجهاديّة، ورجالهما، وأهدافهما. والدعم الماديّ والمعنوي والعسكريّ التي أخذت تكتسبها؛ فعقد كوادُر علميّة من أبناء شمال مالي وبخاصّة غاو وتنبكتو، يحملون أعلى الدرجات العلميّة من مختلف الاختصاصات، خُبراء في مجال البحث العلميّ والتعليم العالي، وفي معرفة المنطقة وتاريخها والمجتمعات فيها، بعضهم ثنائيو اللغة والتعليم، عقدوا العزم على حمل راية التنفيذ وبيان الحقائق ونشرها، وتزويد الباحثين والكتّاب في الداخل والخارج بالمعلومات الدقيقة والصحيحة عن الأزمة، بالندوات والبحوث العلميّة، والمصادر والمراجع، ومواقع الانترنت، ووسائل التواصل الاجتماعيّ، تحت جمعيّة علميّة غير سياسيّة معترف بها حكوميّاً.

فكان من جهوده في محاربة الانحراف الفكري الانفصالي والجهاديّ معا ما يأتي، وهي منشورة في عدد من المواقع:

أ- الندوات العلميّة:

– الندوة العلميّة في مسجد السلام (مسجد الإمام محمود ديكو) ببَدلابوغو "أزمة شمال مالي، الجذور التاريخيّة والسياسيّة" سبق ذكرها.

– ندوة "المواطن الصالح في المنظور الإسلامي" تنظيم المجلس يوم الأحد 13 ديسمبر 2015م، المركز الثقافي الإسلامي بحمد الله، بماكو. كان المحاضر الرئيس أ.يونس سعيد توري، ثمّ التعليقات والمداخلات.

لمّا كان القائمون على هذه الحركات الانفصاليّة والجهاديّة يتشدّقون بأنهم مسلمون، ويحاولون تسويغ ما يفعلون من قتلٍ وتدميرٍ وتشريدٍ باسم الإسلام والمسلمين والمواطنة الصالحة.

ولمّا كانت المواطنة الصالحة تتمثّل في بعض جوانبها في القبول بالتنوّع الثقافي، والديني، والقبلي، والسياسي، في مجتمع متماسك، مُوحّد، لأفراده جميعاً حقوق وعلهم واجبات، وأهداف، ويسعون في مصالح العباد والبلاد.

ولمّا صارت الحاجة ماسّة لدى شعوبنا، وبلادنا، وحكّامنا، ومجتمعاتنا، أفراداً وجماعات، صغاراً وكباراً، ذكورا وإناثاً، إلى وعي حقيقيّ، صحيح، سليم، بأهميّة المواطن الصالح، وبأثره الفعّال في تحقيق التوازن التامّ بين حاجة الفرد وعلاقاته مع الآخرين، وفي تحقيق مصالح العباد والبلاد، ودرء المفسد والأضرار عنهما.

لكلّ ما سبق وغيرها رأى المكتب التنفيذي للمجلس مناقشة هذا المصطلح بعلميّة وموضوعيّة، إسلاميّاً وإنسانيّاً؛ فكانت هذه الندوة التي ذكر الباحثون فيها: مجمل مواصفات المواطن الصالح مواصفات إيمانيّة، وأخلاقيّة، ووجدانيّة، وعقليّة، واجتماعيّة، وسياسيّة، ونموذجاً في صحيفة المدينة المنوّرة... الخ.

ب- الكتابة والنشر في المجلّات العلميّة، و مواقع على الانترنت، وبخاصّة مدوّنة مجلس علماء وكتّاب شمال مالي:

(1) "الأبعاد التاريخية والفكرية لأزمة شمال مالي" د.سيدي المختار محمد الصالح جالو -رحمه الله-⁽²³³⁾ ناقش بتفصيل وموضوعية الإجابات عن الأسئلة الأربعة الآتية: مَنْ هم سُكَّان شمال مالي قديما وحديثا وما اسم هذه المنطقة التاريخي؟ مَنْ يُحرِّك هذه الأزمات في مالي؟ ما الأفكار والتصوّرات للقوم على هذه التحركات؟ التصوُّر المستقبلي لواقع المنطقة وواجب أبنائها؟

(2) وفي إطار الردود على موقف الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين المستنكر بشدّة للحرب على الحركات المسلّحة الجهادية في شمال مالي، كتب رحمه الله وهو عضو في الإتحاد، ردًّا بعنوان: "موقف علماء المسلمين في مالي عن الأزمة الماليّة" بتاريخ الأحد 20 مايو 2013م 8 ربيع الأوّل 1434هـ. أجاب فيه بالتفصيل والبراهين عن ثلاثة أسئلة: مَنْ الذين خَلَفَ العمليّات في شمال مالي؟ ما ذا فعل علماء المسلمين في مالي لإخماد الفتنة؟ ما موقف علماء المسلمين في مالي بخصوص الأزمة؟ والرّد منشور على موقع الإتحاد ومدوّنة المجلس. وسيأتي مزيد من الردود على موقف الإتحاد وغيره.

(3) "الأثار الدينية والاجتماعية للأزمة في مالي" د.عبد الرحمن عبد الله سيبي⁽²³⁴⁾.

(4) "التوارق (الطوارق) في جنوب الصحراء" د.عبد الرحمن عبد الله سيبي، 2012م.

(5) "قضية الطوارق في مالي" أ. سعد المهدي (=د.هارون المهدي ميغا)⁽²³⁵⁾.
 (6) "إشكاليّة طوبونيميا (TOPONYMIE) وتوظيفها السياسي في أزمة شمال مالي" أ.عبد الكريم سيبي 17-8-2016م، منشور في موقع قراءات أفريقيّة، وفي مدوّنة المجلس. ونشره أيضا بالفرنسيّة. ناقش تسمية (أزواد) من خلال هذا المصطلح اجتماعيًّا، وتاريخيًّا، ولغويًّا، والمتواطئ عند أغلب السكَّان. وأثبت عدم صحة الاستعمال الحركي الانفصالي وغيره له، منطلقا من إشكاليّة أنّ هذه التسمية برغم "أنّها لا تستند على أيّ دليل اجتماعي، ولا تاريخي، ولا لغوي، ولا على تواطؤ السكَّان... إلخ إلّا أنّها مدعومة من قبل أولئك القويّ ومن رسّامي خرائط تفتيت الدول الإسلاميّة، ممّا يدفع بالباحث إلى التساؤل عن أصل هذه التسمية، والأهداف المخفيّة وراء إلحاح وسائل الإعلام على التريديد المكثّف لها؟ ومن الذي وراء الطفرة الإعلاميّة لها على الانترنت"⁽²³⁶⁾. ثُمَّ حرَّر المصطلح علميًّا، ولغويًّا، واجتماعيًّا، وتاريخيًّا، وتواطؤ أغلبيّة سُكَّان المنطقة والباحثين المُحقِّقين على خطأ الاستعمال الحركي والسياسي والعسكري له.

(7) "التعايش السلمي والمصالحة في دولة النبيّ صلى الله عليه وسلم وتطبيقاتها في الممالك السودانيّة في غرب أفريقيا" د.عبد الرحمن عبد الله سيبي، مجلّة

²³⁵ - قراءات أفريقيّة عدد 13 رجب-رمضان 1433هـ يوليو-سبتمبر 2013م. (على الشبكة العنكبوتية ومدوّنة مجلس علماء وكتّاب شمال مالي).

²³⁶ - مصطلح الطوبونيميا (TOPONYMIE) وفق وصف الباحث له: هو "العلم الذي يدرس تسمية المناطق، ويهتم بدراسة أسماء الأماكن، ويشتمل في مفهومها العامّ على دراسة التسميات الجغرافيّة والفلكيّة كافّة، معناها ومبناها، وأصلها وانتشارها في مختلف المناطق، كأسماء الأماكن المأهولة والدول والبلدان، والمعالم الجغرافيّة الطبيعيّة، كالجبال والأنهار والصحاري، والمنشآت التي يقيمها البشر كالطرق والمباني والساحات وغيرها، إضافة إلى أسماء الكواكب والنجوم والمذنبات... إلخ". ص2، البحث المذكور أعلاه.

²³³ - قراءات أفريقيّة، عدد 16، ربيع الآخر-جمادى الآخرة 1434هـ. أبريل-يونيو 2013م/24-31. (على الشبكة العنكبوتية ومدوّنة مجلس علماء وكتّاب شمال مالي)

²³⁴ - قراءات أفريقيّة عدد 16 (مرجع سابق)/48-55. (على الشبكة العنكبوتية ومدوّنة مجلس علماء وكتّاب شمال مالي)

الإسلام في إفريقيا، تابع منظمة الدعوة الإسلامية معهد مبارك قسم الله للبحوث والتدريب، العدد المزدوج الثالث والرابع 2014م، ومنشور في مدونة المجلس.

(8) "المراوغات الدولية في إدارة أزمة شمال مالي" أ.محمد الطاهر ميغا⁽²³⁷⁾. من مرواغاتهم: التهديد والوعيد للإرهابيين وللمسَلحين في المنصَّات الدوليَّة -وبخاصَّة من الرئيس الفرنسي- والدعوة إلى ضرورة قتالهم وطردهم؛ لأنَّ خطرهم وضررهم لا يقتصر على مالي فحسب بل يتعدَّى إلى الدول المجاورة وأوروبا. ثمَّ أخذت هذه اللهجة التهديدية تنخفض شيئاً فشيئاً وتدعو إلى التفاوض مع MNLA الحركة الانفصالية وأنصار الدين الإيادية، وأن تقتصر الحرب على القاعدة والجهاديين. ومعارضة الأمين العام للأمم المتحدة بين كي مون للحرب وطلبه من مجلس الأمن الدولي ألاَّ يعطي الضوء الأخضر لمحاربة هؤلاء الإرهابيين. وردَّ رئيس الاتحاد الإفريقي بوني يايي عليه بأنَّ موقفه ضِعْفُ واعتراف ضمني بالإرهاب والإرهابيين، ويشجِّع على حمل السلاح لتحقيق مطالب سياسيَّة أو دينيَّة.

كما أنَّ مواقف الدول الكبرى غامضة كموقف أمريكا في عدم الحرب من البداية مع الدعوة إلى إجراء انتخابات عامَّة قبل انتهاء الاحتلال.

(9) "من مالي إلى المسلمين في كلِّ أرجاء العالم" 27 يناير 2013م. ردُّ على تضليلاتٍ وتحريفاتٍ للتارقي عبد الرحمن اللّامي بعنوان: "حقيقة الوضع في شمال مالي (أزواد) وتعقيب هامّ على بيان اتِّحاد علماء أفريقيا" نشرها على تويتر Twitter، وصلت إلى الدكتور سعيد سيلا الأمين العامّ للاتِّحاد من أحد العلماء في السعوديَّة أهَمَّتُه، يطلب الردَّ عليها؛ فأحاله د.سيلا -جزاه الله خيراً- إلى كاتب هذه السطور بخصوص ما يتعلَّق بالمشكلة لا بيان الاتِّحاد، لكنِّي وجدتُ ما فيه عاطفيَّة، مُضِلِّلة، خالية من أيِّ حقيقة علميَّة أو واقعيَّة؛ فعافته نفسي ولم

تستسيغ الردَّ عليه. وبعد إلحاحٍ من الدكتور، وللحاجة الماسَّة، وتوضيحا للحقائق، وتطبيبا لقلوب هؤلاء المخلصين من غير مالي الذين أهَمَّتْهم المشكلة وما يُنشر عنها من أكاذيب، تمكَّنتُ من إقناع الزميل د.عبد الرحمن سيبي، فأحلَّها إليه؛ ففضَّل -جزاه الله خيراً- بهذا الردِّ. وهو منشور على مدونة المجلس.

(10) "موقف الدول العربيَّة من الأزمة في مالي" أ. محمد الطاهر ميغا⁽²³⁸⁾. نقتطف منه ما يأتي: "موقف الدول العربيَّة من الأزمة التي يشهدها شمال مالي منذ أكثر من سنة [عام 2012م] كان موقفاً غامضاً جداً. وبدأ يتجلَّى أكثر مع تدخل الجيش الفرنسي لمساعدة الجيش الماليّ. منذ بدأت الأزمة لم نسمع تنديداً واحداً وصريحاً من أيِّ دولة عربيَّة لهذا التصرُّف الهمجيّ الذي اجترح عليه بعض أبناء مالي المرتزقة في الخارج مع مساعدة بعض المنبوذين من دولهم من المتطرِّفين الدينيين، ومن مهربي المخدرات. بل كانت هناك دول عربيَّة تأوي هؤلاء، وجميع تصريحاتهم كانت تصدر من هذه الدول، وكذلك أسلحتهم الفتَّاكة دخلت إلى مالي عن طريق حدودها أو عبر أجوائها. وقد وردت أخبار متواترة كثيرة بأنَّ طائرات دولة عربيَّة معيَّنة كانت تحلِّق في الشمال منذ بداية الثورة (....) وهناك دول سكَّنت ولم تقل شيئاً".

يُضيف "وقد استغاثت دولة مالي -قبل التمرد وبعده- بجاراتها العربيَّة لنجدها من هذه الأزمة التي أسَّهمت هذه الدول في خلقها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. لكن دعاءها كان للصمِّ والبكم، بل أرغمت هذه الدولُ جمهوريَّة مالي على الدخول في مفاوضات مع هؤلاء الإرهابيين والتي يدركون فشلها مُقدِّماً، وأنِّي يلتقي الذئاب والأغنام على مائدة؟"

²³⁸ - الصداقة (مرجع سابق) العدد 70 يناير/فبراير 2013م/5

²³⁷ - الصداقة (مرجع سابق)، العدد 69 ديسمبر 2012م/3

ويقول: "لما أراد المعتدون أن يحتلوا الثلث الأخير من الدولة بكل إمكاناتهم العسكرية والخبرائية في مجال الحرب لم تجد مالي من يُغيثها إلا فرنسا - بقدر إلهي - التي استجابت بطريقة غير عادية (...). من هنا بدأت التنديدات تصدر من هنا وهناك. وهذه التنديدات ليست موجّهة إلى القراصنة المحتلين الذين احتلوا أراضي مالي منذ أكثر من سنة بل إلى تدخّل فرنسا لنجدة مالي وهي في الغرغرة، ما ذا يريد هؤلاء بهذا الاستنكار؟ أيريدون لهؤلاء الأجناسيين أن يُحوّلوا أرض مالي وطنا لهم؟ أم إنكار لإسلام أمّة دخلت في الإسلام منذ القرن الأوّل الهجري؟ أم أنّهم يؤدّدون اللون الأبيض على اللون الأسود كما كانوا يفعلون في الجاهليّة؟"

ثمّ انتقل أ.محمد الطاهر للردّ على بعض المغالطات التي ترد من بعض الدول العربيّة حول الأزمة، أوالها: "السود الكفّار يقتلون البيض المسلمين"، إنّ الذين يتولّون هذا يجهلون حقيقة الإسلام في مالي ويتجاهلون كيف بدأ هذا القتال. ففي تاريخ مالي القديم والمعاصر لا يمثّل الطوارق الإسلام النموذجي ولا المسلمين المثاليين بل كان المواطنون يتقرّزون من إسلامهم؛ لأنّه إسلامٌ بدون مساجد ولا وضوء، فقبل عشرين عاما يستحيل أن ترى مسجدا مبنيا من قبل الطوارق، والطارقي وإن كان مُحاطا ببحر من الماء فإنّه لا يتوضأ بل يُفضّل التيمّم". سأتيك بشاهد هذه العبارات أو أشدّ على لسان بعض علماءهم في السعودية د.محمد بن محمد الأمين الأنصاري.

ثانيتها: "مغالطة صدرت من بعض المنظّمات الإسلاميّة العالميّة ومن بعض الدول المجاورة والتي تدعو إلى إجراء مفاوضات جادّة لحلّ الأزمة في شمال مالي". إنّ دولة مالي لم ترفض المفاوضات لكنّها ستتفاوض مع من؟ أمع الطوارق المالبّين المتمرّدين الذين لم يبق لهم في الشمال إلاّ بكاء أطلالها بعد طردهم شرّ طردة من قبل المقاتلين الأجانب؟" ويشهد تاريخهم التفاوضي في كلّ التمردات أنّهم

لا يرعون إلاّ ولا ذمّة" أم ستتفاوض مع هؤلاء المسلحين الذين لا يمتّون بشيء إلى الدولة إلاّ بحمل السلاح والاعتداء عليها؟ ومعلوم أنّ الدول العربيّة كلّها منذ نشأة مشكلة الإرهاب والاعتداء المسلّح باسم الدين قرّرت عدم الدخول في مفاوضات مع هؤلاء اللاضميريين فكيف يُجبرون دولة ذات سيادة أن تفعل ما يرفضونها كمبدأ؟ وما حدث في شركة مصنع الغاز بإنمناس في الجزائر خير دليل على ما نزعمه. فقد رفضت الجزائر الدخول في مفاوضات مع مختطفي الرهائن مدّعية أنّها ترفض رفضا باتّا المفاوضات مع الإرهابيين بل قالت: إنّها فوق الإرهاب، ووصفتها بالاعتداء على سيادة الجزائر. فهذه قطعة صغيرة جدّا من أراضيها [وأولئك الإرهابيون من أبناء الجزائر، والمختطفون من دول أخرى ومن الجزائر] أعطوها هذا الوصف الرهيب فما بالك بمالي التي احتلّ ثلثا أراضيها من قبل محاربين متعدّدي الجنسيّات منذ أكثر من سنة (...). ألا يُعدّ هذا مكياالين مختلفين لقضيّة واحدة؟"

آخر مغالطة ردّ عليها "هي ما صدرت عن بعض المشاهير في العالم العربيّ من علماء ورؤساء بنديدون ويستنكرون تدخّل الجيش الفرنسي لإنقاذ مالي من حرب شعواء كانت -بدو شكّ- ستطمسها من على الخريطة العالميّة. نقول لهؤلاء العلماء إنّ التنديد بشيء يستلزم الإحاطة بهذا الشيء؛" فالحكم على الشيء فرع عن تصوّره!!!. "ونقول لأولئك العلماء الأجلّاء (...). أين كنتم عند ما بعت هذه الطوائف الباغية على أرض دولة مسلمة يمثّل المسلمون فيها 90% من مجموع السكّان؟". هل تستنكرون تدخّل فرنسا لأنّها دولة غير مسلمة؟ لقد تدخّلت فرنسا في حرب الخليج بين العراق والكويت، وتدخّلت في حرب أفغانستان وفي العراق للمرة الثانية وفي ليبيا؟" وفرنسا معسكر متطوّر في موريتانيا لمحاربة الجهاديين بالتعاون مع حكومة نواكشوط؟ "فما موقفكم من هذه التدخلات المتكررة؟ أهنالك تدخّل نبيل وآخر غير نبيل؟"

11

"الانحراف الفكري، أسبابه، مظاهره، آثاره السيئة، سبل معالجته، وواقع جمهورية مالي" د.هارون المهدي ميغا، رمضان 1437هـ 2016م. وهو ملخص من البحث الأصلي لهذا الكتاب الذي سبقت الإشارة إليه في المقدمة، ومنشور في مدونة المجلس.

12

"هل سيتخلى الكفيل عن المكفول؟" أ. محمد الطاهر ميغا⁽²³⁹⁾. تحدثت في هذه المقالة عن العلاقة بين المتمردين قديما وحديثا وبين فرنسا التي يتحصنون بها، وتقدم لهم دائما غطاء سياسيا، وإعلاميا، ودعمًا ماليًا وعسكريًا ولوجستيًا. وكيف أن فرنسا في حربها على الجهاديين دون الانفصاليين إنما حاربت- على أرض الواقع- المسبب وتركت السبب؟ "فكل المصائب التي تعيش فيها جمهورية مالي اليوم جاءت من طرف MNL A فهي التي أعلنت الحرب على مالي، وهي التي دعت إلى استقلال شمال مالي، وهي التي نهبت وسلبت كل الخيرات، وأباحت مدن الشمال التي تسكن فيها السونغاوي غاو وتنبكتو"، وهي التي استقطبت وتعاونت مع الحركات الجهادية. وبعد ثلاثة أشهر من تدخل فرنسا يتجول أعضاؤها بأسلحتهم في كيدال آمنين مطمئنين!!! "إن كفيهم [فرنسا] ذهبت إلى مناطقهم منفردة دون مصاحبة الجيش المالي بل تعاونت معهم في طرد فلول المحاربين الإسلاميين، وتقوم وكالات الأنباء الفرنسية [المرئية والمسموعة والمقروءة] بدعاية كبيرة لهم".

بانعام النظر فيما تقدم- وهو غيظ من فيض- تجد أن العلماء والدعاة والكتّاب والباحثين في مالي بذلوا- ولا يزالون يبذلون- جهودا كبيرة في مواجهة الانحراف الفكري- أيًا كان مصدره ومحركه- بالوسائل والأساليب المتعددة، كاللقاء المواعظ والخطب في المساجد، وتنظيم الندوات والملتقيات العلمية، وكتابة البحوث العلمية ونشرها في مجلات علمية أو في كتب، والمقالات ونشرها في جرائد

باللغة العربية ك"الصدقة" وفي مواقع التواصل الاجتماعي، وإصدار البيانات والردود...إلخ.

وأن جهودهم لم تقتصر على الجماعات المعروفة في الساحة المالية ولا على مالي وحدها بل امتدت لتشمل نماذج خارج مالي؛ بسبب الانحراف الفكري المشترك بينهم، والاتفاق في الوسائل والأساليب والأهداف، والتعاون بينها، وما قد يكون لها من تأثير على المالية، مثل: حركة الشباب، وداعش، وبوكو حرام...إلخ. كما شملت جهودهم وجود بعضها في بعض دول غرب أفريقيا والعالم، كالخوارج في غانا، والشيعية في السنغال وغرب أفريقيا ونشأتها في العالم، ووسائل مواجهة المد الشيعي في أفريقيا.

إضافة إلى ذكر جهود بعض العلماء من غير مالي، نحو: منهج السعودية الوسطي: فتاوى علماء السعودية المعاصرين: (عهد الملك فهد والملك عبد الله)، و "نماذج من دور قيادات دينية إسلامية خارجية في الأمن والاستقرار بمالي: قديما وحديثا"....إلخ.

كان للإذاعات الأهلية في أغلب مناطق مالي، والصوتيات، والقنوات الفضائية الإسلامية في مناطق مالي، أثر كبير في جهود التوعية كدامبي، ونياتا، والسنة، وكذلك المجموعات والمواقع المختلفة ووسائل التواصل الاجتماعي...إلخ.

239 - الصدقة (مرجع سابق)، العدد 71، مارس/أفريل 2013م/2

المطلب الرابع:

تجارب من جهود المؤلف في مواجهة الانحراف الفكري

في إطار جهود العلماء والدعاة والباحثين في مواجهة العلميّة والفكرية والعملية للانحراف الفكري وللحركات المنحرفة المسلّحة وغيرها، في مالي وغيرها، شارك كاتب هذه السطور بجهود متواضعة في المواجهة؛ بدافع ديني، وشخصي، ووطني، وعلمي؛ وذلك بتقديم بعض الأوراق البحثية في ملتقيات وندوات علمية أقامتها جهات إسلامية من كليات وجمعيات، أو نشرها في مجلات علمية وتنزيلها على الشبكة العنكبوتية، وتزويد بعض الباحثين وبخاصة في الدراسات العليا بمعلومات ومراجع لها علاقة بالموضوع. لعلّ هذا الكتاب أبرز تلك الجهود، وإن سبقه كثير، تقدّم بعضها في المطلب السابق، وورد تفاصيل أكثر عن العناوين الآتية في مواضع أخرى. فما يُذكر هنا إنّما هو مختصرات أو إشارات، منها:

أولاً: "من وسائل مواجهة المدّ الشيعي في أفريقيا" ورقة مُقدّمة إلى الملتقى الدعوي: "الداعية في مواجهة التحديات الفكرية والعقدية" المنعقد في بامكو من 7/30 إلى 1432/8/2 هـ - 2011/7/3 م. تنظيم رابطة الدعاة في مالي وكلية طوبى للدراسات الإسلامية. نقتطف منها ما يأتي:

إنّ هذه الطائفة تعتمد على كلّ وسيلة مادية أو معنوية تستطيع بها تحقيق أهدافها التي رأسها نشر التشيع في العالم - وبخاصة أفريقيا- وكسب مواطن قدام لها إمّا أتباعا، أو مؤيدين، أو مُحايدين. وذروة سنام أهدافها كسب الرأي العام الإسلامي برغم تشويه الحقائق، وهدم الثوابت الإسلامية أو التشكيك فيها، والظعن في كبار الصحابة. وكان من أهمّ وسائل مواجهة المدّ الشيعي في أفريقيا التي وردت في البحث المذكور أعلاه:

- الوسائل العلميّة: توجد وسائل علمية كثيرة لمواجهة المدّ الشيعي إذا أُحسِن استعمالها بدقة وإخلاص، منها:

1- المعرفة الواسعة بحقائق المذهب الشيعي ومركزاته، وعلاقاته بالمذاهب الإسلامية وبخاصة المذهب السني؛ فالحكم على الشيء أو مواجهته فرع عن تصوّره. وأكثر شعوب أفريقيا-المسلمين منهم وغيرهم- لا يعرفون إلا أقلّ القليل عن هذا المذهب، و عن مركزاته، وعن أهدافه الحقيقية، وعن وسائله المادية والمعنوية، الظاهرة والخفية.

2- التوعية الشاملة بحقيقة "التقية" عند الشيعة، وبكونها الركيزة الأساس التي ينطلقون منها في مواقفهم، وعلاقاتهم، وتصرفاتهم المختلفة. فهذه التوعية وسيلة ضرورية في مواجهة المدّ الشيعي في أفريقيا.

3- تكثيف التوعية بضرورة التفريق بين التشيع وحب آل البيت المتجذّر في نفوس المسلمين في أفريقيا؛ فقد وجد التشيع ودعاته في الانتساب لأهل البيت وفي حيم المنتشرين بأفريقيا، وجدوا فيهما غطاءً دينيا، ودرعا اجتماعيا، وتربة خصبة، لبذر دعوته، ووتر حساس ومؤثرا يضغط عليه في نشر مذهبه واكتساب الأتباع.

4- توفير المكتبات التي تحتوي على المصادر والمراجع في مختلف العلوم والمعارف، والمطويات، والمجلات الإسلامية الدورية، باللغات الحيّة وبخاصة العربية، والفرنسية، والإنجليزية، والبرتغالية، وبعض اللغات الأفريقية؛ إذ توجد مكتبات شيعية غنيّة بالمصادر والمراجع في مختلف العلوم والفنون، وما يتعلق بالتشيع والدعوة إليه، ومحاربة المذهب السني والظعن في ثوابته، وذلك في مدن عدد من الدول الأفريقية التي لها علاقة دبلوماسية مع إيران. يتولّى توفير هذه

المكتبات والسُّهْرَ على حسن تسييرها سفارات إيران وملحقياتها الثقافية أو مرتبطون بها.

5- الدعم المادي والمعنوي للقيام ببحوث علمية، ودراسات متخصصة، وإقامة المراكز البحثية، والندوات والمؤتمرات، التي تهتم بدراسة التشيع ومواجهته، وترجمتها إلى اللغات الأخرى كالفرنسية والإنجليزية وغيرهما.

6- القيام بدراسات علمية ميدانية في كل دولة أفريقية عن المد الشيعي ومراكزه، ومؤسساته، وأتباعه ونشاطاتهم. وتسهيل الوصول إلى هذه الدراسات؛ لتعم الاستفادة منها في وضع خطط استراتيجية، وفي تحديد الأهداف العامة والمرحلية للمواجهة.

- الوسائل الإعلامية: يشهد الواقع الديني الشيعي في العالم حضوراً إعلامياً واسعاً، ونشاطاً دوّواً لمؤسسات وهيئات ووسائل إعلامية متنوّعة الأساليب، والتخصصات، واللغات، والمستهدفين؛ في سبيل التمدد الشيعي بالعالم كلّ، وفي سبيل كسب الرأي العام الإسلامي، منها:

1- القنوات الفضائية: القنوات الفضائية الشيعية كثيرة جداً في "عرب سايت، و"نايل سايت"، وغيرهما. وتستقطب دعاءً من مختلف الجنسيات ليُقدِّموا برامج دعوية موجّهة إلى أقوامهم باللغات الحيّة أو بلغاتهم المحلية. فلمواجهتها لا بُدّ من إيجاد قنوات فضائية سنّية كقناة "وصال" التي تبتّ بالعربية ثمّ بالفارسية، والقنوات الفضائية الإسلامية في أفريقيا التي تبتّ باللغات الوطنية كقناة السنّة بكلّ فروعها، مع تنوع برامجها، ولغاتها، ومقدّمها، وتوسيع دائرة المستهدفين.

2- تكثيف الندوات واللقاءات في القنوات الفضائية، مع التركيز على بيان خطورة الجمعيات الشيعية على أمن واستقرار الدول التي تنتشر أو تقوى فيها،

فكرياً أو سياسياً، أو اقتصادياً، أو اجتماعياً. وإبراز تلك الخطورة من خلال النماذج الحيّة كحزب الله في لبنان، وأحداث حزب الله في مدينة كدونا بنيجيريا قبل أكثر من عشر سنوات، وحزب الله في العراق، وغيرها، والأسباب الحقيقية لقطع السنغال وغامبيا علاقاتها مع إيران أيام الرئيسين واد ويحي جامي... إلخ. وكيف أنّ من المبادئ الرئيس في المذهب الشيعي الإعداد والاستقواء عسكرياً.

3- إنتاج البرامج التلفزيونية، والأشرطة، وإصدار الصحف والمجلات الثقافية، والسياسية، متعدّدة اللغات الموجّهة إلى أفريقيا وبلغاتها، والاستفادة من مواقع الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، ولا بُدّ من التركيز على التعريف بمؤسسات الشيعة ومراكزها، والتحذير منها ومن نشاطاتها. اطلع الباحث - عام 2011م - عند جمع المادة العلمية للدراسة المذكورة أعلاه على موقع قيد الإنشاء بعنوان: "مؤسسات الشيعة في أفريقيا" وُضع فيه أسماء وأعلام (17) سبع عشرة دولة أفريقية، وبالضغط على أيّ علّم يخرج لك قائمة بأهمّ مؤسسات الشيعة في الدولة، مع كامل عناوينها، وأسماء مديريها، وأهمّ نشاطاتها، وطلب بإضافة معلومات حول مؤسسات الشيعة!!! وأحياناً تحت أسماء مُموّهة وبرّاقة، نحو: المركز الإسلامي العربي الإفريقي في أبيدجان، وجمعية الرسالة والتضامن الإسلامية بالسودان... إلخ⁽²⁴⁰⁾.

- الوسائل الاجتماعية: تُعدّ الوسائل الاجتماعية مهمّة جداً في مواجهة المدّ الشيعي في أفريقيا التي تمسّ عامّة الشعب، منها:

²⁴⁰- كان ذلك يوم الثلاثاء 1432/6/12 هـ، 2011/6/14 م. والدول هي: مالي، نيجيريا، سيراليون، توغو، ساحل العاج، غانا، بوركينا فاسو، أوغندا، أثيوبيا، جنوب أفريقيا، جيبوتي، رواندا، زيمبابوي، السودان، موريشس، كونغو كينشاسا، تنزانيا.

1- العناية بالشباب وتكوينه في مختلف جوانب الحياة، دينياً، وعلمياً، وثقافياً، واجتماعياً، وسياسياً، واقتصادياً... إلخ؛ فقد تأكد أنّ كثيراً من الشباب الذين يلتحقون بمدارس المراكز الثقافية الإيرانية في أفريقيا أو يُرسَلون بمنح دراسية إلى إيران وغيره هم فرقة مصطادة بعناية: أ- من تلاميذ المدارس الإسلامية العربية الذين لم يتمكّنوا من إتمام دراستهم بعد المتوسطة؛ لظروف أسرهم المادية الصعبة، وكذلك الذين لم يجدوا -بعد الثانوية- طريقاً إلى الجامعات الوطنية وغيرها. وكلتا الطائفتين تتميّزُ بشيئين، هما: الجهلُ بحقيقة الشيعة والتشيعُ؛ إذ لا ترى فيها إلاّ مذهباً إسلامياً كالذهب السني ونحوه. والرغبةُ الشديدة في مواصلة التعليم الإسلامي العربي وفي أيّ دولة إسلامية بغض النظر عن المذهب العقدي فيها. ب- من طلاب التخصصات غير الشرعية كالطب، والقانون، والاقتصاد، والصناعات النفطية، وغيرها. وهؤلاء -وإن كان كثيرٌ منهم مسلمين- ذوو ثقافة إسلامية ضئيلة، سيتولّون فيما بعدُ مواقع اتّخاذ القرار.

2- العناية-أيضاً- بالمتقّفين عامّة، عن طريق تقديم برامج دينية وثقافية خاصّة بهم؛ فطائفة المتقّفين والموظّفين من أهمّ طوائف المجتمعات الأفريقية التي تسعى مراكز التشيع ودعاتها في استقطابهم مادياً ومعنوياً، وثقافياً؛ لأنهم المسيطرون على مقاليد الأمور في الدول حالياً أو مستقبلاً؛ ثم لأنهم مؤرّعون في جميع مجالات الحياة، ومراكز الدولة وإداراتها.

3- إقامة المشاريع ذات الصبغة الاجتماعية أي التي تُقدّم خدمات اجتماعية مجانية ذات صلة مباشرة بحياة الناس اليومية، كالمستشفيات، والمراكز التعليمية، ومراكز التكوين المهنيّ والفتي.

4- تنظيم جهود الجمعيات والمؤسسات السنّية والتنسيق بينها في الأعمال الاجتماعية والإنسانية التي تُقدّمها.

- الوسائل السياسية: من الوسائل السياسية المهمة في مواجهة التمدد الشيوعي في أفريقيا:

1- الإكثار من المُحقّيات الثقافية والدينية في سفارات الدول السنّية، وتفعيل نشاطاتها في مجالات التوعية الثقافية، وعقد الندوات والمؤتمرات العلمية، والمسابقات الدينية والثقافية. يقول د. القفاري: "وقد تحوّلت سفارات دولة الشيعة في إيران إلى مركزٍ للدعوة إلى مذهبها في صفوف الطلبة والشباب، والعاملين المسلمين في العالم. وهي تهتمُّ بدعوة المسلمين أكثر من اهتمامها بدعوة الكافرين" (241).

2- الاستغلال الجيّد والمدرّس لِفُرص توتّر العلاقات السياسية أو انقطاعها بين دول أفريقية وإيران؛ وذلك بتقوية التعاون السياسي، والثقافي، والتنموي، مع تلك الدول الأفريقية. يُدعّم هذا الاستغلالُ بوثائق مرئية ومقروءة عن ميل أهل التشيع -إذا قويت شوكتهم- إلى الصراع والاصطدام بالطوائف والحكومات وبخاصة السنّية، واللامبالاة بقوانين البلد إذا لم تتماشَ ومبادئهم.

- الوسائل الاقتصادية: من الوسائل الاقتصادية لمواجهة التمدد الشيوعي في أفريقيا: إقامة المشاريع الاستثمارية الطويلة الأمد، وذات النفع العامّ والمباشر، كالاستثمار في المجال الصحيّ، والزراعيّ، والتخصصات العلمية في التعليم العالي، وفي مجال المياه والكهرباء... إلخ. وبخاصّة في ظلّ الفرص المتاحة لافتتاح كليّات وجامعات أهلية متعدّدة التخصصات.

241 - أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، عرض ونقد، د.ناصر عبد الله القفاري/5، بدون. (من كتب المكتبة الشاملة الإلكترونية).

ثانيا: "هل من تطبيق الشريعة ما قامت به الحركات المسلّحة في شمال مالي"؟ بماكو 2013/01/08م. (منشور على الشبكة العنكبوتية، وعلى مدوّنة مجلس علماء وكتّاب شمال مالي)، ونَشَر المؤلف مقالا مفصّلا -بعدة حلقات- في جريدة الصداقة تحت عنوان: الاستهزاء بالشريعة والتميز في تطبيقها بشمال مالي" (242).

تقدّم الحديث عن الحركات المسلّحة التي سيطرت على شمال مالي وما قامت به من تطبيق الشريعة -حسب زعمها-؛ فكتب المؤلف هذه الدراسة لبيان انحرافها الفكري والعملي، ولتفنيد زعمها، وتأكيد أنّ ما قامت به أضرباً بالإسلام والمسلمين أشدّ الضرر؛ فكان ممّا جاء في الدراسة:

من المسلمّات عند كلّ مسلم حقيقي أنّ شريعة الإسلام صالحة لكلّ زمان ومكان، وتطبّق بالشروط والضوابط التي استنبطها العلماء من النصوص الشرعيّة وفصّلوا القول فيها. هذا أمر لا مُحابة ولا مُجاملة فيه، ولا ينتطح فيه عنزان.

لكنّ ما جرى في مدن شمال مالي ممّا يُسمّى (تطبيق الشريعة) لا علاقة له - لا من قريب و لا من بعيد - بالتطبيق الحَقّ للشريعة وإنّ سمّوه كذلك؛ لأنّه يفتقد الشروط والضوابط الأساس؛ فضلا عن أنّه حصر الشريعة الشاملة لكلّ شؤون الحياة حصرها في بعض الحدود الجنائيّة وبعض المظاهر. ويظهر الاستهزاء بالشريعة، والتمييز والتميع في تطبيقها بمدن شمال مالي على أيدي المسلّحين الجهاديين من خلال الموازنة بين ما جرى في مدينتي غاو و تنبكتو وبين ما جرى في مدينة كيدال. ففي مدينتي غاو و تنبكتو تجد عندهم: جلد الزاني،

242 - انظر: الصداقة (مرجع سابق) العدد 70، يناير/فبراير 2013م/2، وأعداد بعده لا يحضرني أرقامها.

ورمي المحصّن، والتعزير على التدخين بالضرب أو السجن لمُدّة، وقطع يد السارق، ونوعاً من حدّ الجِرابة (قطع اليد والرجل من خلاف)، ومنع الدخان (Cigarette) والتبغ (Tabac) يُستعمل بالمضغ في الفم) منعهما بيّعا واستعمالا، ومنع مشاهدة التلفزيون، وقطع القمصان والسرراويل لتكون عند نصف الساق أو أسفل منه قليلا، وضرب المرأة في الشارع - في وضح النهار- إن لم تكن تلبس لباسا ساترا، والزواج بالإكراه، و تطليق المرأة من زوجها بالإكراه بسبب تمرّده على بعض تصرّفات أولئك المسلّحين، والتعرّض بالأذى الجسدي الشديد لمن قد يعترض على بعض تصرّفاتهم السيّئة، وهدم المزارات... إلخ.

أمّا في مدينة كيدال فتطبيق الشريعة مَحْصُورٌ فيما يأتي: قطعُ القمصان والسرراويل لتكون عند نصف الساق أو أسفل منه قليلا، وحضور الجماعة في المسجد، وعدم قبول التعرّض للناس أو ممتلكاتهم بأذى من أيّ كان، ومنع الدخان (Cigarette) بيّعا واستعمالا. أمّا التبغ (Tabac) فمُباحٌ مُطلق؛ لأنّ الإدمان عليه في مجتمع الطوارق عند الرجال والنساء في كلّ مكان وزمان كالإدمان على شرب الشاي الأخضر إلّا من رجم ربك. وتوجيه النساء إلى اللباس الساتر، والتفريق بينهن وبين الرجال في السوق بتحديد جهة خاصّة بكلّ طرف مع إتاحة الفرصة لكلّ طرف ليشتري من الطرف الآخر.

هذه هي الأمور التي طبّقت فيها الشريعة في مدينة كيدال أمّا ما عداها فلم يثبت قطُّ تطبيق الشريعة فيها؛ لأنّها مدينة فاضلة وكذلك من فيها؟؟؟

بقي في زعم تطبيق الشريعة: ما يتعلّق بهدم المزارات في مدينة تنبكتو التي قام بها حركات أنصار الدين والقاعدة. فماذا يترتّب على هدمها؟ كان لهدم تلك المزارات ضررٌ أشدُّ على الإسلام والمسلمين؛ لما يأتي:

أ- أن هدمها أدى إلى اعتبارها تراثا عالميا، ومعنى ذلك إعادة بنائها، والعناية بها والمحافظة والإنفاق عليها بشكل أكبر وأوسع ممّا كانت عليه قبل الهدم. والقواعد الإسلامية تأمرنا بـ "الأخذ بأخفّ الضّرين"، و "الضّرر لا يزال بضّررٍ أشدّ منه".... إلخ. ولا مجال للمقارنة بينها قبل الهدم وبعد إعادة البناء التي شهدتها. والمُسلمُ العاقل الواعي، الموازن بدقّة بين المصالح والمفاسد، والمكاسب والخسائر، ليس من يعرف الخيرين والشّرّين، وإنّما هو من يعرف خيرَ الخيرين وشّرَ الشّرّين. قال ابن تيمية -رحمه الله-: "ليس العاقل الذي يعلم الخير من الشرّ، إنّما العاقل الذي يعلم خيرَ الخيرين وشّرَ الشّرّين". "وكمالُ الورع أن يعلم الإنسان خيرَ الخيرين وشّرَ الشّرّين، ويعلم أنّ الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد أو تقليلها"⁽²⁴³⁾. هذا الموقف هو الذي ينبغي- في رأيي- أن يقفه المسلم المائي العاقل الواعي المُخلص لدينه ووطنه وشعبه، وأن يقفه -أيضا- كلُّ من يهتمّ بالإنسان وبشؤونه العامّة والخاصّة، ويزن الأمور بموازين مقاصد الشريعة، وقواعدها.

ب- إضعافُ جانبِ دعاةِ أهل السنّة والجماعة الذين يدعون إلى تغيير الجانب السيئ من زيارتها بالحكمة والموعظة الحسنة؛ بتصويرهم في صورة برابرة ضدّ كلّ ما هو إنسانيّ، وبأنّهم وهّابيون دعاة إلى دين دخيل على مالي وأفريقيا مثلما كان يُقال من تُهمّ في بداءات النهضة السنيّة منذ خمسينيّات القرن العشرين الميلادي بهذه البلاد وغيرها من مناطق غرب أفريقيا.

ت- المصادقة على ما تنشره وسائل إعلام غربيّة من اتّهامات للإسلام والمسلمين بالبربريّة وعداوة الحضارة والعنف والتدمير.

أرأيتَ كيف أنّ ما قامت به تلك الحركات باسم (تطبيق الشريعة) في مدن شمال مالي إنّما هو- في الحقيقة- مُحاربةٌ لله ولرسوله، وسعيٌ في الأرض فسادا، ونفاقٌ، واستهزاءٌ بالشريعة، وتمييزٌ وتمييعٌ في تطبيقها، وإضرارٌ بالإسلام والمسلمين وبخاصة أهل السنّة والجماعة في هذه المناطق وفي مالي كلّها، بل وفي غرب أفريقيا عامّة!!!! وقد كان للعنف ضدّ المرأة المسلمة نصيب وافر "أثناء احتلال الشمال في مارس 2012م ارتكبت الجماعات المسلّحة أعمال عنف جنسيّ بما في ذلك الاغتصاب وأحيانا الاغتصاب الجماعيّ، والاستعباد الجنسيّ، والزواج القسري". وغالب الضحايا فتيات قاصرات، يُعتدى عليهنّ في منزل أهلهنّ أو بعد الهجوم على حافلات النقل والسيارات⁽²⁴⁴⁾.

"إنّ هذه الأعمال الإجرامية التي قامت بها بعض الحركات المسلّحة أثناء الصراع في مالي من 2012م تظهر لنا أنّ دخول هؤلاء المسلّحين في الدولة وسيطرتهم على شمالها ليس للإصلاح وإنّما كان دخولهم فيها للإفساد والتخريب"⁽²⁴⁵⁾.

ثالثا: "من له إعلان الجهاد: تنظيم الدولة الإسلامية نموذجا" بحث تقدّم به المؤلّف إلى الدّورة الشّرعيّة: (منهج الخوارج: عارٌ ودماز) تنظيم دعاة وزارة الشؤون الإسلامية بالرياض، بماكو 20-22/10/1435هـ، 17-19/8/2014م. تناولت هذه الدورة العلميّة الشّرعيّة قضيّة قديمة وجديدة،

²⁴⁴ - القتال بين المسلمين صورته وأسبابه في أزمة مالي 2012م (مرجع سابق) 71-72 (نقلا عن سليمان بالدو، تقرير الخبير المستقلّ المهنيّ بحقوق الإنسان في مالي، الأمم المتّحدة، الجمعية العامّة من 10 يناير 2014م، مجلس حقوق الإنسان، الدورة (25) البند (10) من جدول الأعمال القنية وتعزيز القدرات ص16-16. لم أقف عليه)

وهي حمل حركات جهاديّة للسلاح في وجوه إخوانهم المسلمين؛ بِحُجَج كثيرة، وأهداف مختلفة، مبناها الانحراف الفكري، والغاية فيه تُسوِّغ الوسيلة. فمن الحجج: فسق الحكّام، وموالأهم للأعداء والتمكين لهم في بلاد الإسلام وخيراتها. ومن الأهداف: تطبيق الشريعة، والسعي في إعادة الخلافة الراشدة... إلخ. لم يترتب على ذلك الإتيان على الحرث والنّسل، وأكل الأخضر واليابس -فحسب - بل ساعد -أيضا- في تأليب الأعداء على المسلمين في ديارهم وخارجها. كما ساعد في تعطيل مقاصد شرعية مهمة كدرء المفسد أو تقليلها مُقدّم على جلب المصالح أو تكميلها، والأخذ بخير الخيرين و تفادي شرّ الشرّين، والضّرر لا يُزال بضرر أشدّ منه، وغيرها.

لِمَ تنظيم الدولة وهو بعيد عن مالي؟ إذا كان تنظيم الدولة الإسلاميّة بعيدا عنّا مكانًا فإنّه قد كان لنا - نحن الماليتين- في القاعدة، وأنصار الدين، وحركة التوحيد والجهاد في غرب أفريقيا وغيرها، نموذجًا حيًا وصورة مطابقة له قولًا وعملاً وسلوكًا، وأثارًا سيّئة على الكليّات الخمس التي يُعدّ حفظها والمحافظة على سلامتها ضروريًا في شريعتنا وفي الشرائع السماوية قبلنا، بل حتى في بعض القوانين الوضعيّة. كما أنّ الحركات المسلّحة في مالي إمّا مؤبّدة لـ "داعش" أو مبايعة لها.

تعريف الجهاد لغة واصطلاحًا، وشروطه، وضوابطه، وصوره. الجهاد لغة: تدور مادّة الجيم والهاء والذال حول المشقّة، وبذل الوسع، والطاقة، والجهد

بمعنى الوسع والجهاد: المبالغة في بذل الطاقة واستفراغ الوسع في الحرب أو اللسان وما أُطبق من شيء⁽²⁴⁶⁾.

الجهاد شرعا: ورد له تعريفات كثيرة، من أهمّها هو: "قِتَالُ مُسْلِمٍ كَافِرًا غَيْرَ ذِي عَهْدٍ بَعْدَ دَعْوَتِهِ لِلإِسْلَامِ وَإِبَائِهِ؛ إِعْلَاءَ لِكَلِمَةِ اللَّهِ"⁽²⁴⁷⁾. أمّا شروط الجهاد فقد ذكر ابن قدامة -رحمه الله- للجهاد القتالي المُجمّع على وجوبه سبعة شروط، هي: الإسلام، والبلوغ، والعقل، والحرية، والذكورية، والسلامة من الضرر، ووجود النفقة. ثمّ ذكر أدلّة كلّ شرط من هذه الشروط السبعة⁽²⁴⁸⁾. وزاد بعض العلماء شرطًا ثامنًا لوجوب الجهاد على الفرد وهو: إذنُ الوالدين المسلمين إذا كان الجهاد فرض كفاية.

أمّا ضوابط الجهاد فأهمّها: الأوّل: أن يكون الجهاد مع إمام المسلمين أو بإذنه، وإمام المسلمين حاكمهم المسلم (الملك أو رئيس الدولة أو الأمير) الذي لم يتلبّس بكفر صريح، واستقرّ بيده الحكم إمّا بالبيعة المباشرة له، أو بالعهد إليه، أو بالاستيلاء بالقوة والمغالبة. وهناك تفاصيل تتعلّق بهذه الطرق الثلاث يُرجع إليها في مظانّها. الضابط الثاني: أن تكون الغاية من الجهاد إعلاء كلمة الله. الضابط الثالث: تقدّم دعوة الإسلام لمن يُراد قتالهم، إذا كانوا ممّن لم تبلغهم الدعوة، فيجب تبليغهم على الراجح من قولي العلماء. الضابط الرابع: أن يكون

²⁴⁶ - معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء ، مادّة جهد ، و لسان العرب، بن منظور الأفريقي المصري ، مادّة جهد.

²⁴⁷ - الموسوعة الفقهية الكويتية مادة: الجهاد.

²⁴⁸ - المغني لموفق الدين عبد الله بن أحمد ابن قدامة 163/9، طبع دار إحياء التراث العربي 1405هـ - 1985م،

الطبعة الأولى ، وينظر أيضا كتاب: فقه الجهاد لحسن أيوب/ 83 .

الجهاد بالعدل بعيدا عن العدوان والبغي. الضابط الخامس: لا جهاد في دار الإسلام. أمّا ما يقع فيها من قتال بين المسلمين ففتنة وإفساد. الضابط السادس: أن يؤديّ الجهاد إلى مصلحة راجحة، وألاّ يترتب عليه مفسدة أعظم؛ وذلك لأنّ الجهاد بجميع صورته إنّما شرع لتحقيق المصالح ودفع المفساد عن الإسلام والمسلمين أفرادا وجماعة ودولة. الضابط السابع: وجود الدولة المسلمة ومقوماتها: الأرض المستقلة، والمجتمع المسلم، والحاكم، والسُّلطة الإسلامية... إلخ. الضابط الثامن: وجودُ الرّاية وأن تكون إسلاميّة ولا تكون راية عصبية وجاهليّة. الضابط التاسع: تمايزُ الصفوف في الميدان؛ بأن يكون مُعسكراً الكفّار في جهة، ومُعسكراً المسلمين في جهة أخرى. الضابط العاشر: الاقتداء بالهدي النبوي في موازنة الأمور لاختيار خير الخيرين أو دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما. الضابط الحادي عشر: أنّ نصرته المسلم لأخيه إذا اعتدى عليه الكفّار من جهاد الدفع الواجب على الأعيان، لكنّ هذه النصره الواجبة ليست مطلقة بل مُقيّدة بقيود⁽²⁴⁹⁾.

²⁴⁹ - ينظر: التفاصيل في كتاب: الجهاد في سبيل الله كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟ للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر، 1414هـ/1993م بيروت لبنان. وكتاب: مختصر جهاد المسلمين بين فهم الغلاة وتخذيل المرجفين للدكتور عصام عبد الله السناني، عام 1427هـ بدون. وضوابط الجهاد في الشريعة للدكتور عبد الوهاب منصور الشقحاء، مقال منشور على هذا الرابط: <http://www.altaleeah.com/vb/showthread.php?t=1215>، وحمل السلاح لتطبيق الشريعة في العصر الحديث، ما وقع في مالي نموذجا، المجلس الأعلى الإسلامي، رمضان 1433هـ يوليو 2012م بماكو، مالي.

بانعام النظري الشروط والضوابط يتبيّن:

- أنّ الشروط تتعلّق بالمسلم الفرد، وأمّا الضوابط فتتعلّق بالفرد، والمجتمع، والدولة، وأحيانا بالأمة الإسلاميّة؛ فمراعاة تحقيق مصالحها ودفع المفساد عنها أهمّ وأوجب. والقاعدة معروفة "المصلحة العامّة مقدّمة على المصلحة الخاصّة".
- أنّ من أهمّ مقاصد التشريع الإسلامي تقديم درء المفساد أو تقليلها على جلب المصالح أو تكميلها.
- ومن أهمّ مقاصد الشريعة الإسلاميّة بل الشرائع السماويّة كلّها حفظ الضروريّات أو الكليّات الخمس التي يجب أن يهدف الجهاد إلى تحقيقه وتوفير الوسائل والأساليب للمحافظة على سلامتها.
- إنّ الذي يُجاهد طائفةً من ثلاث فِرَق: الأولى: النفس والشيطان. وهو جهاد ينحصر على الفرد نفسه. والثانية: الكفّار والمنافقون، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَبْسُ أُمُصِيرُ} [سورة التحريم 9]. والطائفة الأخيرة مجموعة من المسلمين: الخوارج، البغاة، وهم قوم يخرجون على الإمام يحملون السلاح ويريدون خلعه لتأويل؛ وفيهم منعة يُحتّاج في كفّهم إلى جمع الجيش؛ فيجب على الناس معونة إمامهم في قتالهم. قُطّاع الطرق (أهل الجِرابة)، وهم قوم امتنعوا من طاعة الإمام وخرجوا عن قبضته بغير تأويل وفيهم شوكة. أرباب البدع والمنكرات والضلالات.

والذي لا يُجاهد هو:

- المسلم الذي لم يصدر عنه واحد ممّا تقدّم ذكره.

- فِرْقَةٌ مِنَ الْكُفَّارِ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ قَتْلُهُمْ وَلَا التَّعَرُّضُ لَهُمْ بِأَيِّ صُورَةٍ مِنْ صُورِ الْأَذَى، وَهُمْ: الذمي، والمعاهد، والمستأمن. والدولة الإسلامية - شعبا وحكومة - مُكَلَّفَةٌ بِتَقْدِيمِ الْحِمَايَةِ لِرِعَايَاهَا الْمُسْلِمِينَ وَلِهَذِهِ الْفِرْقَةُ بِطَوَائِفِهَا الثَّلَاثِ، وَقَدْ جَاءَ الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ فِي تَحْرِيمِ دِمَاءِ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ وَأَعْرَاضِهِمْ أَوْ أذْيَتِهِمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَقْوَالِ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَالْخَلْفِ.

كُلُّ هَذِهِ الْأُمُورِ مِنَ الشُّرُوطِ وَالضُّوَابِطِ، وَقَدْ دَلَّتْ عَلَيْهَا نصوص الكتاب والسُّنَّةِ، وَأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ الْمُدَقِّقِينَ الْمُحَقِّقِينَ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ، مِمَّا أَغْفَلَهُ تِلْكَ الْحَرَكَاتُ الْمُنْحَرِفَةُ فِكْرِيًا -تَنْظِيمِ الدَّوْلَةِ وَغَيْرِهَا- الَّتِي تَحْمِلُ السَّلَاحَ فِي وَجْهِهِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَالِي وَفِي غَيْرِهَا.

رابعاً: "نماذج من دور قيادات دينية إسلامية خارجية في الأمن والاستقرار بمالي: قديماً وحديثاً" بحثٌ قَدَّمَهُ الْمُؤَلِّفُ فِي الدَّوْرَةِ التَّأْهِيلِيَّةِ: (دور القيادات الدينية في تعزيز السلم والمصالحة الوطنية في مالي)، الَّتِي نَظَّمَتَهَا رَابِطَةُ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ بِالتَّعَاوُنِ مَعَ مَكْتَبِ هَيْئَةِ الْإِغَاثَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ، فِي بَمَاكُو مَالِي بِتَارِيخِ 2014/8/26-23م (منشور على الشبكة العنكبوتية، ومدونة مجلس علماء وكتّاب شمال مالي).

إنَّ الْأَحْدَاثَ الْفَظِيْعَةَ الَّتِي وَقَعَتْ فِي مَالِي عَامَ 2012م بِسَيْطَرَةِ الْحَرَكَاتِ الْإِنْفِصَالِيَّةِ وَالْجِهَادِيَّةِ الْمُسَلَّحَةِ عَلَى مَدَنِ شِمَالِ مَالِي، وَزَعْمَهَا تَطْبِيقَ الشَّرِيعَةِ، وَمَا تَبَعَ ذَلِكَ مِنْ تَشْتِيْتِهِمْ عَامَ 2013م، فَتَحَتْ هَذِهِ الْأَحْدَاثُ الْأَبْوَابَ عَلَى مِصَارِعِهَا لِقِيَادَاتٍ دِينِيَّةٍ وَهَيْئَاتٍ إِسْلَامِيَّةٍ ذَاتِ صِفَةِ عَالَمِيَّةٍ، وَبَاحِثِينَ وَعُلَمَاءَ، وَكُتَّابَ وَصَحْفِيَّيْنَ، وَسِيَاسِيَّيْنَ، فِي مَنَاطِقٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ، وَفِي وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ الْمُتَعَدِّدَةِ (إذاعات، صحف ومجلات، قنوات فضائية، مواقع التواصل

الاجتماعي، الشبكة العنكبوتية)؛ لِإِصْدَارِ أَحْكَامٍ جَائِرَةٍ، أَدْنَاهَا تَتَّهَمُ الْمُسْلِمِينَ الْإِفْرَاقَةَ فِي مَالِي وَالمجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا، وتشاد، بالتعاون مع الكُفَّارِ وَأَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ (فرنسا والدول الغربية) لقتل المسلمين (العرب والطوارق) وتهجيرهم من أرضهم. وأعلّاهما تصفهم بالكُفَّارِ الْإِفْرَاقَةَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ لِإِبَادَةِ الْمُسْلِمِينَ غَيْرِ الْإِفْرَاقَةَ. وَاعْتَبَرَهَا بَعْضُهُمْ حَرْبًا صَلِيبِيَّةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ يَشَارِكُ فِيهَا أَبْنَاءُ مَالِي وَالْمَنْطِقَةِ. وَقَدْ كَانَ صَدَى هَذِهِ الْأَحْكَامِ الْجَائِرَةِ وَتَأْتِيرِهَا السَّلْبِيَّ قُوِيًّا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَالِي، وَبِخَاصَّةِ الْمُتَعَلِّمِينَ تَعْلِيمًا عَرَبِيًّا إِسْلَامِيًّا، وَعَلَى قِيَادَاتِهِمُ الدِّينِيَّةَ وَغَيْرِهِمْ -قَدْ تَقَدَّمَ شَيْءٌ مِنْهَا- وَلَمْ تَكُنْ رَدُودَ بَعْضِهِمْ بِهَيْئَةٍ.

فَلَمَّا قَامَتِ رَابِطَةُ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ بِالتَّعَاوُنِ مَعَ مَكْتَبِ هَيْئَةِ الْإِغَاثَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ فِي بَمَاكُو الَّذِي يَشْرَفُ عَلَيْهِ الْأَخُ الدُّكْتُورُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مُحَمَّدِ مِيغَا- رَحِمَهُ اللَّهُ- بِتَنْظِيمِ هَذِهِ الدَّوْرَةِ لِقِيَادَاتٍ دِينِيَّةٍ وَطَلِبَةٍ، وَقَعَ الْإِخْتِيَارُ عَلَى كَاتِبِ هَذِهِ السُّطُورِ لِلْمِشَارَكَةِ بِكَلِمَةٍ؛ فَقَدَّمَ وَرَقَةً عِلْمِيَّةً بِالْعَنْوَانِ الْمَذْكُورِ أَعْلَاهُ. مِمَّا وَرَدَ فِيهَا: أَنَّهُ عَبْرَ كَلِّ الْقُرُونِ وَالْمَمَالِكِ وَالْإِمْبِرَاطُورِيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِغَرْبِ أَفْرِيْقِيَا الَّتِي أَزْدَهَرَتْ فِيهَا الْحَضَارَةُ وَالثَّقَافَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَوُجِدَتْ قِيَادَاتٌ دِينِيَّةٌ إِسْلَامِيَّةٌ خَارِجِيَّةٌ مُخْلِصَةٌ فِي النَّصِيْحَةِ لِلَّهِ وَلِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَخَاصَّتِهِمْ، بِعِيدَةٍ عَنِ اتِّبَاعِ الْهَوَى، وَالْعَصْبِيَّةِ، وَالْجَهْوِيَّةِ، كَانَ لَهَا أَثْرٌ كَبِيرٌ فِي تَرْسِيخِ الْأُخُوَّةِ الدِّينِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ، وَتَحْقِيقِ الْوَتَامِ الْوَطَنِيِّ، وَتَعْزِيزِ السَّلْمِ، وَالِاسْتِقْرَارِ الْاجْتِمَاعِيِّ، فِي الْمَنْطِقَةِ. أَمَّا فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ فَقَدْ وَجَدْنَا لِقَلَّةٍ مِنْ تِلْكَ الْقِيَادَاتِ الدِّينِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْخَارِجِيَّةِ أَثْرًا إِجْبَابِيًّا فِي أَحْدَاثِ مَالِي 2012م وَغَيْرِهَا. وَفِي الْمَقَابِلِ كَانَ دَوْرُ الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ بِمُخْتَلَفِ مَسْتَوِيَاتِهِمْ وَانْتِمَائِهِمْ سَيِّئًا وَسَلْبِيًّا، وَأَحْكَامَهَا عَاطْفِيَّةً وَجَائِرَةً، مَبْنِيَّةً عَلَى الْمَغَالِطَةِ، يَأْتِي بَيَانُهَا.

من التأثير الإيجابي للقيادات الدينية الإسلامية الخارجية في القديم: الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ) الذي كان بينه وبين سلاطين بلاد السودان الغربي وعلمائها مراسلات علمية، ولقاءات في القاهرة. من أشهرها مراسلة لسلاطين وعلماء بلاد السودان الغربي عموماً (مملكة سنغاي ومالي)، ولسلطان كاشنه خصوصاً. وقد ضمّتها الوصية بتقوى الله، والتذكير بالأخرة، وعدم الاعتزاز بالدنيا وزينتها، والدعوة إلى الوقوف عند حدود الأحكام الشرعية، وإلى العدل بين الرعية، والأمر بالمعروف وإنكار المخالفات الشرعية التي سمع عنها في دولهم. كما طالبهم باستفتاء أهل العلم الثقات من حملة الشريعة عن كل ما يعرض لهم من مشكلات⁽²⁵⁰⁾.

وفي تاريخ الفتاش لمحمود كعت أن أسكيا محمد الكبير إمبراطور سنغاي الإسلامية التقى السيوطي بمصر في عودته عام 903هـ من أداء الحج⁽²⁵¹⁾، وسأله عن قضايا شملت الشؤون الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والجسبة. وافقت إجابات السيوطي عنها إجابات علماء السودان الذين كان أسكيا قد سألهم كالشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت 909هـ) وغيره، كما يقع الحافر على الحافر⁽²⁵²⁾؛ فساعدت في إقرار الأمن الاجتماعي، والديني، والاستقرار السياسي، والوثام الوطني...

²⁵⁰ - انظر: نيل الإبهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكي، تحقيق د.علي عمر/265، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1 عام 1423هـ/2004م، والإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، آدم عبد الله الألوري/89، ط3، عام 1398هـ/1978م.

²⁵¹ - انظر: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش، محمود كعت/12-13، 68، نشر هوداس ودلافوس، مطبعة برين، باريس عام 1332هـ/1913م

²⁵² - انظر: المصدر السابق/15

وللسيوطي رسالة مهمة مؤرخة بحوالي عام 898هـ/1493م للعلماء والسلاطين في غرب أفريقيا رداً على أخرى أرسلها إليه الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن علي اللمتوني، سمّاها "مطلب الجواب بفصل الخطاب". وقد ردّ عليها السيوطي برسالة سمّاها "فتح المطلب المبرور وبرد الكبد المحرور في الجواب عن الأسئلة الواردة من التكرور"⁽²⁵³⁾.

وفي هذه الرسالة مسائل فقهية، وعقدية، وثقافية وتعليمية، وأخرى تتعلق بالعادات الاجتماعية والاقتصادية، وبالسياسة الشرعية وإدارة شؤون الناس والدولة، في بعض مجتمعات السودان الغربي، وداخل الصحراء، وفي حوض نهر السنغال.

ولا شك في أن إجاباته وتناولها لهذه القضايا الشاملة قد شاركت بقوة في تحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع الإسلامي وقتئذ (ومنه شعوب وأجزاء كبيرة في جمهورية مالي الحالية)؛ حيث وجدت صدقاً طيباً تعليمياً وثقافياً، واجتماعياً، وسياسياً، وإصلاحياً، لدى السائل نفسه، ولدى السلاطين والملوك، والعلماء والمثقفين، وفي المجتمعات التي نشرت فيها. فصلنا القول فيها في بحوث أخرى كالمراسلات العلمية.

نماذج إيجابية حديثة: بعض علماء بلاد الحرمين الشريفين:

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت 1420هـ) - رحمه الله -.

وقد تقدّم بيان موقفه من (الخوارج) الجمعية الإسلامية (جمعية أنصار السنة)

²⁵³ - ينظر نصّ الرسالتين في: الحاوي للفتاوى، عبد الرحمن السيوطي، ج1/284-291، 294-291، دار الكتب العلمية، بيروت، عام 1408هـ/1988م. ويلحظ أن السيوطي يستعمل كلمة "التكرور" -تارة- ويريد بها السودان الغربي.

التي ظهرت في شرق مالي منتصف السبعينيات من القرن العشرين الميلادي، وما كان لرسالته من صدى طيب⁽²⁵⁴⁾.

وكذلك موقف سماحته الثابت في التثبُّت والتحرِّي بمختلف الوسائل والأساليب، ومن مختلف الجهات والشخصيات، ممَّا كان ينقله إليه بعض مَنْ يُتَاجِرُونَ بالأحداث في بعض البلاد الإسلاميَّة من منطلق عنصري، وعاطفي، وتشجيني، وتلفيق. من هذا رسالةٌ وصلت الشيخ في 1412/2/3 هـ من حامد محمد الأنصاري الطالب في دار الحديث الخيرية في مكَّة المكرمة آنذاك عن أحداث التمرد في مالي قال فيها: " فأفيدكم العلم الحقيقي بأنَّ إخوانكم في الإسلام البيض من جمهوريَّة مالي (...)عربهم وعجمهم، أشرافهم، وأنصارهم، وطوارقهم، وغيرهم من البيض⁽²⁵⁵⁾ [تقوم] دولتهم العلمانية بالضغط الشديد عليهم، تتهب أموالهم، وتهدم بيوتهم، وتعدم نفوسهم، وتُحرق جُثثهم، وسدَّت عليهم أبواب الخروج إلى الخارج لِتتمكَّن من إعدام هذا الجنس بأكمله....".

أحال الشيخ الرسالة إلى مدير الدعوة في الخارج للاستفسار من مكتب الدعوة في موريتانيا عن الموضوع وإرفاق ما لديه من معلومات. وكان من ثمار جهده رحمه الله بعض زيارات إمام الحرم المكيَّ الشيخ السبيل -رحمه الله- الآتية، وما كشفته من حقائق وتلفيقات منها ما ورد في رسالة ذلك الطالب.

إمام الحرم النبوي الشيخ عبد العزيز صالح -رحمه الله- في سبعينيات القرن العشرين الميلادي.. كلَّفه الملك فيصل في أفريل 1973 م بوضع حجر الأساس للجامع الكبير في بماكو (جامع الملك فيصل)، ولمَّا اكتمل بناؤه كلَّفه أيضا

²⁵⁴ - انظر التفاصيل في بحثنا: المراسلات العلميَّة وأثرها التعليمي والدعوي بغرب أفريقيا، رسالة ابن باز نموذجاً، مجلَّة قراءات أفريقيَّة، العدد 3، ذو الحجَّة 1429 هـ ديسمبر 2008 م ص 8-15

²⁵⁵ - كان في العبارة تعقيد بالتقديم والتأخير فقمنا بترتيب الصياغة من غير زيادة ولا نقصان.

عام 1979 م بافتتاحه، وكان بصحبته العلامة عطية محمد سالم -رحمهم الله-، وقام بمحاضرات ولقاءات مع العلماء وغيرهم. كما زار الإمام جمهوريَّة مالي في عهد الرئيس الأسبق الجنرال موسى تراوري في الثمانينيات للدعوة إلى وحدة المسلمين في مالي، وعدم التنازح والتناحر فيما بينهم بسبب مسائل اختلافيَّة بعضها من السنن. كنتُ في ذلك الوقت طالبا بالجامعة الإسلاميَّة بالمدينة.

إمام الحرم المكيَّ الشيخ محمد السبيل -رحمه الله- الذي زار جمهوريَّة مالي عدَّة مرَّات؛ فقد زار مناطق مختلفة من مالي في ثمانينيات القرن العشرين الميلادي أيَّام الرئيس الجنرال موسى تراوري وكان الهدف هو الدعوة إلى وحدة المسلمين في ظلِّ ما بدأ ينتشر بينهم من تناحر وتنازُّد بسبب مسائل عقديَّة وفقهيَّة.

وزارها -أيضا- في أواخر القرن العشرين الميلادي أيَّام الرئيس ألفا عمر كوناري، في ظلِّ تمرد الطوارق والعرب 1993-1996 م؛ فزار المناطق الشماليَّة من مالي للوقوف على حقيقة ما كان ينشره كثير من جاليات أولئك المتمردين الذين يعيشون في السعوديَّة ودول الخليج وغيرها في وسائل الإعلام العربيَّة المرئيَّة والمقروءة وبخاصَّة "جريدة المسلمون" التي كانت تصدر في جدَّة (تمَّ فيما بعد وقف صدورها) كانت تنشر أخبارا وصورا تزعم بها ارتكاب فظائع وإبادة جماعيَّة في حقِّ المسلمين الطوارق والعرب من قبيل الأفارقة الوثنيين جيشا وشعبا وحكومة، كالتي سبقت في خطاب الطالب حامد الأنصاري إلى الشيخ ابن باز!! وكان عمر الأنصاري أبرزَ مَنْ ينشرها في جريدة المسلمين، وأعاد نشرها في كتابه "الرجال الزُّرق"، وقد زار رئيس الدولة (الأزوادية) المُعلنة بلال أغ الشريف وأهداه نسخة من الكتاب، عليها مباركته له وتوقيعه بتاريخ 2012/4/30 م. عثر عليها شبابُ الحراك المقاوم لهم في مقرِّهم بعد طرد الحركة الجهاديَّة لحركتهم الانفصاليَّة من غاو.

لقد كان لما سجَّله الشيخ السبيل خلال زياته -وليس من رأى كمن سمع- أثر كبير جداً في دحض تلك المزاعم والأخبار لدى شعوب ودول عربية كثيرة لا سيَّما في السعودية ودول الخليج.

وقد أوردت تفاصيل ونماذج موثقة بالصور عن هذه الجهود في غير هذا الموضوع⁽²⁵⁶⁾.

بانعام النظر في مواقف القيادات الدينية الإسلامية السابقة التي انطلقت من الأخوة الإسلامية والإنسانية وما تقتضيانه من التآزر والتعاون، ومن النصيحة الصادقة لله وللمسلمين عامتهم وخاصتهم، وما حققته من نجاح، بانعام النظر في مواقفها نجد أنها إنما نجحت في المساعدة في تعزيز الأمن والاستقرار، وترسيخ الوحدة الوطنية، وتحقيق المصالحة الشعبية والدينية بجمهورية مالي؛ لأنها انطلقت انطلاقاً صحيحة، هدفتها تحقيق مصالح العباد والبلاد، وكانت بعيدة عن الهوى والزيغ، والحكم على الشيء قبل تصوُّره، منهجها التثبت والتحري، والتدقيق، والموضوعية... إلخ.

إنَّ الدقَّة، والموضوعية، والبحث العلمي الذي لا يعرف المجاملات والهوى فرضت على الورقتين السابقتين سؤالاً مهماً جداً وهو: ألم تُوجد

²⁵⁶ - انظر بحثنا: (التواصل الثقافي والحضاري بين المملكة العربية السعودية وجمهورية مالي: دور قيادات علمية ودينية بالمملكة في الأمن الثقافي والديني وفي الاستقرار والتماسك الاجتماعي بجمهورية مالي نموذجاً)، ورقة مقدّمة إلى المؤتمر الأوّل للاستعراب الإفريقي. المسار الثاني: التواصل الثقافي والحضاري، محور التواصل بين الدول الإفريقية والمملكة العربية السعودية سياسياً، اجتماعياً، اقتصادياً، ثقافياً. تنظيم مركز البحوث والتواصل المعرفي بالرياض المملكة العربية السعودية، تمّ الانتهاء من إعدادها بتاريخ 27 سبتمبر 2020م. أُلغى المؤتمر بعد أن أُعدَّ لانعقاده أوائل 2021م. وقد تمّ تزويد المركز المذكور وبعض الباحثين في دور المملكة بنسخ إلكترونية منها.

قيادات دينية إسلامية خارجية كان لهم - في الأحداث الأخيرة بمالي- مواقف سلبية تركت آثاراً سيئة على الأمن والاستقرار، والوحدة الوطنية، والتعايش السلمي في مجتمع مالي المسلم في أغلبه؟

والإجابة العلمية والموضوعية تقول: بلى. لقد كان لكثير من القيادات الدينية الإسلامية الخارجية في أحداث عام 2012-2013م مواقف سلبية، سيئة، جائرة، تركت آثاراً سيئة على الأمن والاستقرار، والوحدة الوطنية في مالي، وحفرت جروحاً عميقة في نفوس كثير من الماليين الخاصة والعامة؛ لأنَّ أصحاب هذه المواقف انطلقوا من الحكم على الشيء قبل تصوُّره، والبناء على معلومات ناقصة أو مشوهة مستقاة من مصادر كاذبة ومغرّضة، أو من اتّباع الهوى، أو التعصّب العنصري، أو لشيء في نفس يعقوب... إلخ.

من تلك المواقف:

1) موقف الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ممثلاً في رئيسه الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي وأمينه العام ناصر العمر، الذين رأوا في مهاجمة حكومة مالي والجيش الفرنسي وقوات دول غرب أفريقيا لتلك الحركات المسلّحة الجهادية حرباً صليبية على المسلمين، يُشارك فيها أبناء مالي والمنطقة. وقد أخبرني البروفسير محمود زبير سفير مالي الأسبق في دول الخليج أنّ العلامة الشيخ عبد الله بن محفوظ بن بيّه عارض بقوة هذا القرار، وحاول -وهو أدرى منهم بشؤون مالي ومجتمعاته وإسلامها- توضيح الكثير من الإشكالات حول القضية لكن بدون جدوى. والأغربُ اختلافُ موقف الاتحاد -هنا- عن موقفه من "تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) حيث أصدر الاتحاد نفسه بياناً في 2014/7/3م أعلن فيه "أنَّ إعلان فصيل معين للخلافة باطل شرعاً، لا تترتب

عليه أيُّ آثار شرعيّة، بل تترتّب عليه آثار خطيرة على أهل السنّة في العراق والثورة في سوريا". و وجد في الإعلان دلالةً على "الافتقار إلى فقه الواقع، وأشبهه بالانقضاض على ثورة الشعب التي يشارك فيها أهل السنّة بكلِّ قواهم"⁽²⁵⁷⁾. لبتّ الأتحاد وقفَ هذا الموقفَ نفسه فيما وقع في شمال مالي من قبيل الحركات الانفصاليّة، والقاعدة وحلفائها أنصار الدين وحركة التوحيد والجهاد في غرب أفريقيا؛ فهما فصيلان مُعيّنان مسلّحان أراد الأوّل فرضَ دولة طارقيّة خالصة وعلمانيّة، وأراد الآخر فرضَ إمارة إسلاميّة. وإذا كان أهل السنّة في العراق وسوريا هم المتضرّرون الأوّل والأخير - داخليًا وخارجيًا - من أعمال "داعش" التي أهونُ أضرارها أنّها قدّمت خدمات مجانيّة للشيعية في حربها الشعواء على السنّة، فإنّ المتضرّرين الأوّل والأخير من أعمال هذه الحركات الانفصاليّة والجهاديّة في مالي وفي غرب أفريقيا كلّها هم أهل السنّة - أيضًا -، وأهونُ أضرارها أنّها استأسدت عليهم غلاة الصوفيّة ووعوغيّتها وأعاونتهم في الداخل والخارج، وبعض رجالات الحكومة العلمانيّين والعملاء؛ فأعلنوا الحرب شعواء حتى إنهم خلطوا الحابل بالنابل من القول والعمل والوسائل في محاولاتهم اليائسة للإتاحة بالإمام محمود ديكُو، الرئيس السنّي للمجلس الأعلى الإسلامي في مالي.

(2) بيان العلماء والدعاة بمملكة البحرين بتاريخ الاثنين 9 ربيع الأوّل 1434هـ 21 يناير 2013م عن الحرب في مالي وقّع عليه (81) واحد وثمانون شخصًا. جاء فيه: أنّ الحرب عدوان غاشم، وتعدّي لا يمكن السكوت عنه، مع تحذير الدول العربيّة والإسلاميّة من معاونة الجيش الفرنسي في حربه لمالي، ودعوة الأئمّة والخطباء والدعاة إلى تعريف الناس بمحنة الشعب المالي.

(3) وطالبت نقابة الدعاة المصريّة أيّام الرئيس محمّد مرسي جميع الأنظمة العربيّة والإسلاميّة برفض العدوان على جمهوريّة مالي وبدعم المقاومة في مالي بالمال والسلاح.

(4) وذهب الشيخ محمد الحسن الددو، رئيس مركز تكوين العلماء بموريتانيا، إلى أنّ ما تقوم به فرنسا من مساعدة الجيش المالي لقتال تلك الحركات الجهاديّة "أعظم وأفظع من كل تلك الأخطاء التي يرتكبها بعض المسلمين"، "وجريمة نكراء، وأمرًا محرّمًا شرعًا".

(5) وقال د.الخليل النحوي - من موريتانيا - مسوِّغًا موقف من اعتبرته الحرب حربًا صليبيّة: "إذا لم يقبل الساسة والعسكريّون أن يتركوا فرصة لمعركة ناعمة تستهدف الإقناع بأدواته المناسبة طالما كان ذلك ممكنًا؛ فسيكون من حقّ كثيرين أن ينظروا إلى هذه الحرب باعتبارها حربًا استعماريّة صليبيّة أخرى"⁽²⁵⁸⁾.

(6) أمّا الشيخ أبو المنذر الشنقيطي فقد وجد في المعركة في مالي معركةً بين جماعة تسعى إلى تحكيم الشرع ودول كفريّة تريد القضاء على دين الله. ويستغرب ألاّ تجد الإمارات الإسلاميّة التي قامت من أجل تحكيم الشريعة سنّدًا ولا نصرًا من المسلمين⁽²⁵⁹⁾.

والغريب أنّ بعض المواقف الموريتانيّة قد جاءت استجابةً لطلب مُختار بلُمختار الأعور أبي العباس أمير كتيبة "الموقّعون بالدماء"، فقد سبقت دعوتُه -وهو يضرب على أوتار القوميّة، والقراية، والجوار- العلماء وطلّاب العلم في

²⁵⁸ - الشرق الأوسط عدد 12434، الأربعاء 11 ربيع الأوّل 1434هـ 23 يناير 2013م.

²⁵⁹ - انظر عن كلّ ما تقدّم: موقع المقريني www.almaqreze.net www.hanein.info بتاريخ 2013/1/19م.

www.dd.sunnah.net بتاريخ 2013/1/22م.

موريتانيا لنصرة إخوانهم المسلمين في أزواد؛ بسبب معاناتهم، والجهل، وقلة العلم المنتشرة في هذه المنطقة؛ فالموريتانيون -كما يقول- بحكم القرابة والجوار أولى بالسبق إلى النصرة من البعيدين الذين سبقوهم⁽²⁶⁰⁾.

(7) ولقد خصَّ الشيخ الدكتور مبارك بن عبيد الحربي من السعوديين هذه القضية في إحدى خطبه في الجمعة، لا يكاد يخرج عن السابقين إلا قليلاً. ذكر في فيديو الخطبة التي تناقلته -ولا تزال- مواقع ومجموعات على وسائل التواصل الاجتماعي أنّ سگان شمال مالي-سمّاه (أزواد) هم العرب والطوارق وبعض الأفارقة. وأنّ فرنسا احتلت بلادهم؛ "فهبُّوا جميعاً لمقاومتهم ودحرهم". أقول له: تنعم في تاريخ ذلك الوقت تجد أنّ بعض كبار المتعاونين مع الاستعمار الفرنسي والموظفين لديه رجال منهم، مستشارون، وقضاة.

ويقول عنهم: "يدينون بالإسلام جميعهم وعلى مذهب أهل السنة والجماعة". وأنهم تمكّنوا عام 2012م من تحرير بلادهم "وأعلنوا الاستقلال، وأعلنوا تطبيق الشريعة الإسلامية؛ فلم يُعجب هذا الأمر الغرب الكافر الذين لا يريدون للمسلمين أن ينالوا حقوقهم فأعلنت الحرب عليهم بحجة محاربة الإرهاب ولمنع تطبيق الشريعة".

أكاد أعتقد أنّ لمفهوم أهل السنة والجماعة وتطبيق الشريعة الإسلامية عند الشيخ مبارك ضبابيةً سيّما -هنا- الحكم على الشيء قبل تصوّره، والغلوّ الشديد في الحماسة، والتلبيس عليه من بعض القوم؛ فسيأتي عن الدكتور محمد الأنصاري-وأهل مكة أدرى بشعابها-أنهم في المنطقة ما بين أشعرية وبيدعيين، وفي السعودية والخليج أهل سنة وجماعة. وتمعن ما وصفهم به

حول أداء الصلاة وصوم رمضان، والعبادات السيئة التي ذكرها⁽²⁶¹⁾ ثمّ قل لي بالله أيّ شريعة إسلامية يطبقها من تلك حالهم، والمتضرر الأول والأخير منهم هم المسلمون؟؟؟؟؟

واقراً حقيقة الحركة الانفصالية فهي حركة قومية، علمانية، ليبرالية، مدعومة في كل شيء من فرنسا وعملائها، ولم يكن أبداً في أجندتها تطبيق الشريعة -كما يزعم الشيخ الدكتور-، واضطرت إلى مجاملة الحركات الجهادية التي ساعدتها في السيطرة على شمال مالي في قضية تطبيق الشريعة؛ فلما تبينت حقيقة الحركة الانفصالية تلك حاربها وطردتها إلى كيدال. وراجع التمييز -وقد تقدّم- فيما قاموا به من تطبيق الشريعة بين غاوتونكتو وبين كيدال!!!!!!

يقول: -أيضاً- "أعلنت فرنسا الحرب عليهم [العرب والطوارق] بحجة محاربة الإرهاب ولمنع تطبيق الشريعة". راجع معلوماتك فهي مغلوبة!!! من الذي جاء بفرنسا ولا تزال تتعاون معها جهاراً نهاراً؟ أليست الحركة الانفصالية التي تقوّت بالحركات الجهادية؟ وإلى الآن من يدعمهم سياسياً، واستراتيجياً، وعسكرياً، ومالياً... إلخ غير فرنسا وعملائها؟ لعلّ الشيخ الدكتور يطّلع على مقالات أبو بكر الأنصاري في موقع الحوار المتمدّن، أو مقالاته الثلاثة التي تقدّم نقلها حرفياً إلى هذا الكتاب، وما تقدّم عن الأهداف الحقيقية لتمرداتهم قديماً وحديثاً واستمداداتها.

وأنهم الشيخ مبارك المالىين وحكوماتهم بأنهم تعاملوا مع العرب والطوارق المسلمين الساعين -في رأيه- لتطبيق الشريعة تعاملوا معهم بالعنصرية

²⁶¹ - انظر: صفحة 236-237 من هذا الكتاب، والتعريف بالعرب في جنوب الصحراء أزواد وعاصمتهم تمبكتو،

د.محمد بن محمد بن الأمين الأنصاري/32-34، مكة المكرمة 1428هـ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية.

²⁶⁰ - انظر: صحراء ميديا، أخبار الساحل شمال مالي 5/12/2012 WWW.saharamidia.net

المقيدة. ودعا إلى نصرتهم، وأورد أحاديث نصره المسلم لأخيه المسلم. قل لي بالله عليك من الذين تضرّروا من كلّ الجوانب -ولا يزالون- من تصرّفات وتمرّدات وحروب هؤلاء الذين تدعو المسلمين إلى نصرتهم؟ وما دين أغلب الماليتين وبخاصّة غالبية سكّان شمال مالي غير الطوارق والعرب؟؟؟

(8) أمّا قناة الجزيرة وموقعها (الجزيرة.نت) فحدّث ولا حرج؛ فما أكثر الأخبار والمقالات التي ينشّرها عن القضية وفيها الكثير جدًّا من أباطيل وأكاذيب، وتحريفات وتلفيقات متعمّدة، وتعصّب بالباطل للطوارق والعرب. تنعمّ النظر-على سبيل المثال- في بعض ما جاء بمقال "إقليم أزواد/ مالي" بتاريخ 2016/2/11م: "المكوّن الأساسي المعروف لبلاد أزواد في بشمال مالي هم الطوارق (...) نسبتهم حوالي 35% (...) والمكوّن الثاني هم العرب (...) نسبتهم 25% (...) كما تضمّ (...) عرقيات من الزوج أهمّها: السونغاي، ولغتهم مزيج من البمبارة- لغة الزوج الأولى في مالي- والفلاينية. ويسكنون في الأصل ما بين مدينة غاوا والنيجر. لكنّ الحكومات الماليّة المتعاقبة عملت -منذ انقلاب 1991م على ربطهم بشمال مالي فأعطتهم أراضي واسعة في إقليم أزواد، وخاصّة في تمبنكتو وغاو (...) ونسبتهم 30%....".

لا تكاد تجد في هذا المنقول معلومة واحدة صحيحة أو يخفى تحريفها على مبتدئ في قراءة تاريخ المنطقة وجغرافيتها، قديما وحديثا؛ فالمصادر والمراجع الموثّقة للحقيقة بالمئات وبمختلف اللغات الحيّة. راجع بعض ما تقدّم تجد فيه ما يكذب هذه النسب المئوية المزعومة .

والشيء نفسه تجده في القنوات العربية الأخرى المرئية وغيرها، ولقاءاتها مع الإنفصاليين الطوارق والعرب فحسب في برامج مباشرة وغير مباشرة، أمّا

المجموعات القبيلة الأخرى فلا تجد لها صوتا أو مقابلة في هذه القنوات إلا نادرا جدًّا

ما أكثر مثل هذه الأباطيل والتحريفات في مقالات موقع قناة الجزيرة التي يفنّدها مرور سريع بتاريخ المنطقة وجغرافيتها ولو في كتاب تاريخي أو جغرافي في المرحلة الابتدائية. وكذلك تقارير مراسليها التلفازيّة الصوتيّة وغيرها⁽²⁶²⁾.

والأدهى والأمر أن تتغافل هذه الأصوات المندّدة، المستنكرة، المتعصّبة، الواصفة للتدخل بالحرب الصليبيّة على المسلمين الطوارق والعرب، الأمر أن تتغافل عن التعاون الاستخباراتي واللوجستي الموريتانيين للتدخل الفرنسي بحجّة معرفتها بالمنطقة وبلغة سكّان شمال مالي وتركيباتهم الاجتماعيّة، وهو تعاون أشار إليه كثير من المراقبين ووثّقوه وإن تغافل هؤلاء وأشياعهم⁽²⁶³⁾. وماذا عن التعاون بين الجيش الفرنسي والموريتاني وكذلك الأمريكي في محاربتهم بموريتانيا؟

لقد صرّح الرئيس الفرنسي هولاند وأشاد بدعم الإمارات المادي، والعسكري للعمليات العسكريّة الفرنسيّة في مالي؛ انطلاقا من القاعدة الفرنسيّة في أبو ظبي، واستخدام بعض المعديّات كالطائرات الموجودة فيها⁽²⁶⁴⁾. ولم تصف تلك الأصوات المستنكرة لا موريتانيا ولا الإمارات ولا شعبيهما بالمشاركة في حرب صليبيّة ضدّ المسلمين الطوارق والعرب!!!!.

²⁶² - وكذلك مقال: "أزواد من ثورة تحرّر إلى حرب إرهاب" 2016/2/10م

²⁶³ - انظر: قراءات إفريقية عدد 16 (مرجع سابق)/45

²⁶⁴ - انظر: المرجع نفسه/63

9) غَيْرُ أولئك كثيرٌ جداً من الجزائر، والمغرب، وقطر، والكويت، والسعودية، أفراداً، وفي أوساط الجمعيات، وفوق المنابر، وفي المجالس والصحف، ومواقع التواصل الاجتماعي. ليس الهدف الاستقصاء وإنما التمثيل. كانت بداءاتُ التفنيد، والبيان والتوضيح للحقائق لمن بالدول الثلاثة الأخيرة ممن خاضوا في المشكلة، عبر الوسائط المذكورة وحصلنا على عناوينهم، كانت البداية إرسال بعض الدراسات والبحوث إليهم، كلٌّ عبر بريده الإلكتروني كدراسة المجلس الأعلى الإسلامي، وموضوعات ندوة "أزمة شمال مالي الجذور التاريخية والسياسية" بمحاورها الثلاثة، وقضية الطوارق في مالي... إلخ. رحم الله تعالى أخانا الشيخ عبد الرحمن السَّغاي ميغا، الذي زوَّدنا بالعناوين.

10) أختِمُ هذه المواقف السلبية والسلبية بل الجائرة بمحمد سليمان الزواوي في مقالته بمجلة البيان "معركة المركز والأطراف إفريقيا الوسطى نموذجاً"⁽²⁶⁵⁾؛ فقد انطلق من خلط الأوراق غير المتشابهة ببعض، ومن أتباع الهوى، ومن التعصُّب العرقي والعنصري حسب مفرداته هو، "أفارقة ضد طوارق وعرب"؛ لدرجة تكفير غيرهم من المالين "أفارقة مالي ضد الطوارق المسلمين"؛ فَمَا هو يتحدث عن التطهير العرقي الذي تعرَّض له المسلمون في جمهورية إفريقيا الوسطى من قبل المسيحيين والوثنيين فيجعل ذلك التطهير بشخصياته، ودوافعه، ومقدماته، ونتائجه، عين ما حدث في مالي قبل جمهورية إفريقيا الوسطى!!! وإليك الدليل من مقالته:

أ. تطهير عرقي وديني من المالين (الوثنيين أو الكفار) يقول: "ودائماً عند ما يكون هناك مسلمون تغيب معايير حقوق الإنسان، ويتمُّ التعامي عن

الانقلاب على الديمقراطية، ويتمُّ غرضُ الطرف عن ملاحقة مَنْ يقومون بالتطهير العرقي والمذابح الإثنية، ويدخل مناصرو الحريات في حالة من الجمود السلبي حتى تفرغ القوى المضادة من التطهير العرقي والديني، حدث ذلك من قبل في مالي"⁽²⁶⁶⁾. إذن ما وقع في مالي تجاه الحركات الجهادية تطهير عرقي وديني للمسلمين قام به غير المسلمين، ونام عنه جمعيات حقوق الإنسان لأن الضحايا مسلمون!!!. الزواوي مُصيب في مُقدماته وخاطئ في النتيجة والأهداف؛ فبين ما وقع في أفريقيا الوسطى وما وقع في مالي بعد المشرقين.

ب. "أفارقة ضد طوارق وعرب"!!! و "أفارقة مالي ضد الطوارق المسلمين"!!! يقول الزواوي: "كما تمَّ استدعاء القوات الفرنسية لنجدة أفارقة مالي بعد ما تقدَّم الطوارق المسلمون باتجاه العاصمة بماكو، وباتت المطارات التي تسيطر عليها فرنسا في البلاد في خطر الوقوع في يد الطوارق وتبدل محددات الصراع؛ لتأتي فرنسا مرة ثانية وتدفع الطوارق إلى الشمال، وتعيد الكفة إلى صالح الأفارقة على حساب المسلمين، الذين عادوا إلى التزوح في الجبال والكهوف بعيداً عن مواطن الثروات، وشنت ضدهم مذابح دموية شائنة تحت سمع وبصر فرنسا والمجتمع الدولي"⁽²⁶⁷⁾.

ج. "تفريغ المسلمين في مالي من مناطقهم لصالح غيرهم"!!! يقول: "كانت استراتيجية إفراغ المسلمين من مناطق صنع القرار في تلك الدول استراتيجية مُمَنَّجة ومنظمة، وتكرَّر ذلك النمط في كلِّ من مالي، والنيجر، ونيجيريا، والمناطق الأخرى حول القارة"⁽²⁶⁸⁾.

²⁶⁶ - مجلة البيان، السنة 29، العدد 37-38/322

²⁶⁷ - المرجع السابق 38/

²⁶⁸ - المرجع نفسه 39/

²⁶⁵ - مجلة البيان، السنة 29، العدد 322، جمادى الآخرة 1435هـ أبريل 2014م ص 37-39 (من إصدارات

المنتدى الإسلامي).

وَكَمْ تَمَالِكُنِي الْعَجَبُ الْعُجَابُ—ولا يزال- أن تكون مجلّة البيان هي التي نشرت هذا المقال.

لكنّ أحد علماء القوم في السعودية كفانا جهد تكذيب كلّ ما سبق من المواقف السلبية والعنصرية ضدّ المسلمين غير العرب والطوارق، الواصفة لهما بالمسلمين الصادقين الخالصين.

وقبل نقل ما يردُّ به على ما جاء في المواقف كلّها نذكر عنه بعض الدعاوي والتحريفات لعلاقتها بالانحراف الفكري العنصري والقبلي، الإقصائي، شيثان من المغذيات الأساس لتمرّذاتهم؛ فهو يدّعي أنّ المنطقة أي شمال مالي "تعود إلى ثلاثة عناصر: أوّلاً: الأنصار...ثانياً: كِنْتَا⁽²⁶⁹⁾....البرابيش"⁽²⁷⁰⁾. ويقول: "الزواج الموجودون في تمبكتوهم من الجنوب ومن نيجيريا"، "وما بقي في المدينة [تنبكتو] إلاّ جماعاتُ الزنوج الذين أتوا من الجنوب ومن نيجيريا والنصارى". "إنّما يوجد الزنوج وبعض الطوارق الذين أتوا من الشرق"⁽²⁷¹⁾ إذن السنغاي وهم الأغلبية في المنطقة كلّها قديماً وحديثاً، وأبرز مكوّن لمملكة سنغاي التي سيطرت على المنطقة كلها بما فيها جنوب ليبيا والجزائر وبخاصة ما يسمونه الآن جهتان ب (أزواد)، ولغتهم الغالبة فيها قلّ من جميع شعوب المنطقة من لا يُتقن إحدى لهجاتها، السنغاي- إذن- مُجْتَلَبُونَ من الجنوب ونيجيريا؟ رأيّت التحريف والكذب البواح وسكان الجنوب من السوننكي والماندنغ والفلولان، الأولى أكبر مكوّنات مملكة غانا، والثانية أكبر مكوّنات مملكة مالي، والأخيرة أكبر مكوّنات مملكة ماسينا، يا من تزعم التفرغ للعرب والطوارق من المنطقة؟ ولم يتنبّت من تحريف وتزييف الحقائق؟

²⁶⁹ - كتبها بكسر الكاف، ولذلك علاقة بالعداوة بين القبيلتين، ستأتي الإشارة، وإلاّ فالمعروف كتابها بضمّها.

²⁷⁰ - التعريف بالعرب في جنوب الصحراء أزواد وعاصمتهم تمبكتو، د.محمد بن محمد بن الأمين الأنصاري/11-42، مكة المكرمة 1428هـ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية.

²⁷¹ - المرجع نفسه بالترتيب/16، 17، 18

اسْتَمِعُوا جميعاً يا قوم إلى د.محمد بن الأمين الأنصاري نفسه وهو يذكر عادات سيئة بل مناقضة تماماً للإسلام، راسخة في هؤلاء الذين خصّصتموهم بالإسلام دون غيرهم من السودان المسلمين الذين رميتهم بالوثنية والمشاركة في حرب صليبية على الإسلام والمسلمين الطوارق والعرب. يقول -والعهدة عليه-: "الصلاة هي عماد الدين، وليس للإنسان من حظّ في الإسلام ما لم يُصلِّ. وما أكثر الذين لا يُصلُّون من هذا المجتمع [العربي والطارقي في المنطقة]!!!؛ لأنّ المصلِّين أنفسهم جعلوا التيمّم كالوضوء سواء بسواء؛ فهم يتيمّمون وإن كانوا على ساحل النهر وعلى بئر مملوء بالماء. وقد يتيمّم أحدهم ثمّ يصلّي -كما يزعم- ثمّ يدخل الماء ليُسيح، وهذه مصيبة. وقد قلت لبعضهم ممّن جادلتُ ألم يقل الشيخ الأخضرى: مَنْ صَلَّى بلا وضوءٍ وعذِرَ كَفَرَ؟ وهو الفقيه الذي يقلّدونه. وأبعد من هذا أنّ الرجل يعيش في الإسلام ستين وسبعين وهو يتيمّم بلا عذر شرعي، إنّنا لله وإنّا إليه راجعون"⁽²⁷²⁾. رأيّت إنّ أهل مكّة أدرى بشعابها، ومن نصّدق أنتم أو الدكتور الأنصاوي؟

وماذا عن الصيام عند هؤلاء الذين خصّرتهم الإسلام فيهم دون الزنوج؟ اسمعوا الجواب من في الدكتور الأنصاري نفسه وهو منهم، يقول -والعهدة عليه-: "موقف هذا المجتمع من صيام رمضان بصورة عامّة موقفٌ سلبيٌّ؛ فهم يُفطرون كما يشاؤون، وقليلٌ من يصوم في عرب هذه البلاد [وطوارقهم] بزعم المرض. وربّما عاش الرجل منهم الخمسين والستين والسبعين وما عمّره صام، ولا قضاء ولا إطعام!!! ويذكرون أسباباً واهية، وأعداراً ضعيفة، وهم

²⁷² - التعريف بالعرب في جنوب الصحراء/32-33

يصومون بعد موجة الهجرة إلى البلاد العربية. وأمّا السودانيون فهم يصومون، كما يحرصون على الوضوء"⁽²⁷³⁾.

حدّثنا الدكتور -أيضا- عن الأخلاق السائدة فيهم فقال: "قضية الأخلاق تناولها كثيرٌ من السليبيّات، فما يُطبّق من الأخلاق إنّما هو بناء على التقاليد والتقليد، ليس بناءً على ما جاء في الشريعة، فهذا المجتمع مجتمع مختلط إلاّ ما شاء الله"⁽²⁷⁴⁾.

وأما من حيث العقيدة فيُسجّل غلبة الأشعرية على الكنتنتصار (الأنصار)⁽²⁷⁵⁾. أمّا كُنْتَه فيقول عنهم: "قد انتشرت فيهم البدع قديما، وألوانٌ من الشرك، وغلّوا في مشايخهم كما هو حاصل في قبر الشيخ [الكنتي الكبير] في الصحراء في السبل التي يسلكها المسافرون إلى الجزائر وإلى موريتانيا. فهذا القبر لا يمرُّه أحد إلاّ وطاف به من هذه القبائل، وقدّم له القربات. ما عدا الأنصار وهم ما قدّموا لأحدٍ تقديسا، ولم يكن من يُقدِّسونه. وهذا معروفون به في تلك البلاد، بل هم أبعد عن هذه القضية. وكلُّ ما عندهم هو العبادات التي نشأت في المجتمع الإسلامي في العبادات ومعروفة. ولم يصلوا إلى أن يكونوا قبوريين، وإن كانوا يقرّبون الصدقات والذبائح على وجه الصدقة". "ولكنّ إخوانهم كُنْتا على قمّة الابتداع والغلوّ في مشايخهم"⁽²⁷⁶⁾.

والدكتور الأنصاري عاطفيٌّ جدًّا بل متناقضٌ في تبرئة جماعته وتزويرها كلّها عن البدع والمخالفات الشرعية، وفي رمي الكُنْتَه كلّهم بالشركيات والإيغال في البدع وتقديس الأشخاص؛ ومنطلقٌ من العداوة التاريخية الشديدة المتوارثة التي

273 - المرجع نفسه/33-34

274 - المرجع نفسه/34

275 - انظر: المرجع السابق/26-32

276 - المرجع السابق/37، 38

لا تزال قائمة بين الجماعتين. كما أنّ روح افتخاره بقومه على الكُنْتَه بارزة في عباراته⁽²⁷⁷⁾. فما أعظم -أيضا- الصلاة بدون وضوء، وعدم صيام رمضان، بدون عذر شرعيّ في الفريقين، لسنوات طويلة، كما قال هو نفسه. حتى إذا ما سافروا إلى البلاد العربية تغيّر الحكم فيهما وفي غيرهما بتغيّر البيئة والمجتمع!!؛ فيتوضّؤون للصلاة، ويصومون رمضان، وتُصبح عقيدتهم -التي جاؤوا بها- سيّئة سلفية خالصة. وهل يلزم من كون الأنصار لا يقدّسون شيخ الكُنْتَه أنّهم لا يقدّسون غيره، وبخاصّة في تنبكتو التي خصّهما بها؟؟؟.

الذي يعيننا أكثر أن نقول لأولئك القيادات الدينية في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ودعاة البحرين وعلمائها، ونقابة الدعاة المصريين، و الشيخ الددو، والنحوي، والشنقيطي، والزواوي، والشيخ مبارك عبيد الحربي، وغيرهم كثيرٌ جدًّا من أصحاب الموقف السلبيّ والظالم للمسلمين -غير العرب والطوارق في مالي- المدافعين بقوة وعاطفية وحمية جاهلية عن الحركات الانفصالية والجهادية وما قاموا به من تدمير وتخريب باسم تطبيق الشريعة، نقول لهم جميعا هؤلاء - بشهادة بعضهم- من حصرتم فيهم الإسلام بمالي؟ وقلتم إنّهم يتعرّضون لتطهير عرقي وديني، من قبل وثنيين زنوج ماليين وأفارقة، وصليبين. ما أعظم ما خفي!!! اللهم سلّم.

إنّ على القيادات الدينية في الخارج المتحدّثة باسم الإسلام أفرادا، أو هيئات، أهلية أو حكومية، أن يخلصوا النصيحة لله وللمسلمين فيما يقولون، وأن يتجرّدوا من الهوى والعصبية، والقول بالهتان، وتأجيج نار الفتن بين المسلمين، من دول أخرى غير دولهم هم، وأن يتثبتوا ويتبينوا؛ فالحكم على الشيء

277 - انظر: المرجع نفسه/39-40

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات؛ فقد أعان على بيان: أنّ الانحراف الفكري "ميلُ الفكر ومخالفتهُ لدين المجتمع وما يؤمن به من قيم وأخلاق، وما تسود فيه من ثقافة، وما تحكمه من أنظمة وقوانين، وانحرافه عن الوسطية والاعتدال باتجاه التطرف، سواء في التشدد أو التفریط".

بعد الحديث عن التفكير والعقل، وتعريف الانحراف الفكري مُجرّأً ومركباً، طاف البحث -من المبحث الأول إلى الرابع ومطالها- حول قضايا كثيرة ومهمة تتعلق بالانحراف الفكري: مظاهره التي منها: الهزيمة النفسية، والفوضوية في طلب العلم وفي التفكير، وسوء التعامل مع المعلومات غير الملائمة لما عند المنحرف فكرياً، واللجوء إلى العنف، والتعصّب الأعمى... إلخ. وأسبابُ الانحراف الفكري التي منها: أسباب من داخل مجتمعاتنا، شملت أسباباً علمية، ونفسية، وتربوية، واجتماعية، ودينية، وسياسية. وأسباب أخرى خارجية كالغزو الفكري، والانفتاح الإعلامي غير المنضبط. ووقف لبيان آثار الانحراف الفكري؛ فذكر منها: آثاراً عقديّة ودينيّة، وآثاراً اجتماعيّة. وفي سبل معالجة الانحراف الفكري ركّز على المعالجة الأسريّة، والفكريّة، والعملية، والسياسية، ومواجهة عوامل انتشاره ووسائله ومن وراءه.

ثمّ وقّفنا البحثُ على عوامل انتشار الانحراف الفكري، فمن الجهات التي تقف وراء المرجئة والمعتزلة، والعوامة بجميع أنواعها، والتيارات الهدامة العلمانية ونحوها، ثمّ الصوفية، والشيعية، وقوى الهيمنة في العالم. وتحدّث عن علاقة الانحراف الفكري بإثارة الفتن في المجتمعات وزعزعة أمنها واستقرارها، فكثرت الرايات التي تُرفع باسم الإسلام حتى تكاد -من كثرتها- تهزّ قناعات الفرد والمجتمع

فرع عن تصوّره؛ فقد كان لبعضهم يدٌ طولى في إشعال نار الحمية الجاهلية، وفي تعميق شخ في جدار الوثام الاجتماعي والديني، والمصالحة الشعبية، وفي انعدام الأمن والاستقرار، والتشجيع على الانحراف الفكري بقصد أو بدون قصد، ليس في مالي موضوع حديثنا -فحسب- بل في كثير من المجتمعات والبلاد والشعوب الإسلامية؛ بسبب مواقفهم السيئة ومنطلقاتها الأسوء.

وعلى القيادات الإسلامية في الداخل الدور الأكبر في مقاومة الانحراف الفكري بكل أشكاله، وفي نشر الوعي الديني، وثقافة التلاحم الاجتماعي والمواطنة الصالحة، وفي ترسيخ الأمن والاستقرار، والمصالحة الوطنية، عن علم وبصيرة، وفقه الواقع والنوازل بجوانبها المختلفة، كل ذلك بحكمة وعدل، وردّ الحقوق إلى أهلها، وتقديم درء المفاسد أو تقليبها على جلب المصالح أو تكميلها.

"إنّ المسؤولية الملقاة اليوم على عاتق علماء الأمة في ظلّ ما يحصل وما هو متوقّع، أكبر من أيّ وقت مضى؛ إذ عليهم أن ينشطوا لوقف الزيف الذي لم ينقطع عقوداً من دماء المسلمين، وللعمل على توحيد الأمة بتصحيح الانتماءات، ونبذ العصبيّات، والبعد عن إذكاء النعرات التي تخدم أهداف أعداء الأمة. وليعلم الأفراد أنّ من أراد السلامة لنفسه وأهله وشعبه فعليه ألاّ يتورّط في دماء المسلمين وغير المسلمين المعصومة، فضلاً عن الشماتة فيها أو الفرح بها"⁽²⁷⁸⁾. أو الكذب والافتراء عليها.

²⁷⁸ - مجلّة البيان، عدد 395 سنة 35، رجب 1441 هـ، مارس 2020م/33، مقال: (إعلاء مصالح الأمة سبيل حقن الدماء المحرّمة سيد حمدي).

في الثوابت. وعن أثر الرافضة، والخوارج، وضعف التحصين الشرعي، في انتشار الانحراف الفكري؛ لينتقل بعد ذلك إلى بيان أثر الفرق في انتشار الانحراف الفكري في مجتمعاتنا المعاصرة. وأثر الانحراف الفكري في نشأة الإرهاب وتغذيته، مع ذكر نماذج من الفرق المنحرفة.

وحيث إنَّ الانحراف الفكري قد انتشرت نبرأته واكتوت بها -على شكل من الأشكال- المجتمعات الإسلامية في كلِّ مكان، وانفقت أفكار أصحابه، وأهدافهم، ووسائلهم، ومناهجهم، توقّف البحث عند الانحراف الفكري في مالي: واقعه، ونماذج منه، وجهود العلماء والدعاة في مواجهته، وأخيرا نماذج من جهود كاتب هذه السطور نفسه في مواجهته. ودور بعض العلماء والدعاة من خارج مالي في تعجيج عدم الاستقرار والأمن الديني والثقافي والتلاحم الاجتماعي في مالي، وطائفة على عكس هؤلاء. فذكر مقتطفات من الندوات والبحوث التي تمثل جهود العلماء وجهود المؤلّف وغيرهم.

ثمّ جاءت خاتمة البحث هذه مع أهمّ النتائج التي منها:

- 1) الأصل في الإنسان - وبخاصّة المسلم- هو سلامة الفكر والعقل، حتى تطرأ طوارئ كثيرة ومختلفة تنحرف به إلى الإفراط أو التفريط.
- 2) الانحراف الفكري والديني من أخطر أنواع الانحرافات؛ لما يترتب عليهما من أعمال عنف، وأضرار شديدة بالكليّات الخمس التي تُعدُّ المحافظة عليها من المعلوم من الدين بالضرورة.
- 3) للانحراف الفكري أسباب تدفع إليه، ومظاهر يبرز فيها، وجهات كثيرة ومتعدّدة تُغذّيه سرّاً أو علانية، وأثار سيّئة لا تقتصر على صاحبه - فحسب- بل تتجاوزها إلى أسرته، ومجتمعه، ودينه، ودولته، والأمة؛ فوجب السعي في معالجته

بمختلف الوسائل والأساليب والسبل انطلاقاً من ديننا الحنيف ومقاصده، والحق الإنساني.

4) إنَّ تغيير الأفكار والآراء والمواقف والاتجاهات من أهمّ الوسائل والأساليب إلى تغيير السلوك، وبناء شخصيّة قويّة مستقيمة.

5) لمخالفة منهج السلف الصالح في التلقّي والاستدلال، مع قلّة البضاعة في العلم الشرعي ومقاصد الشريعة، وفي فقه الواقع والأولويّات، أكبر الأثر في انتشار الانحراف الفكري.

6) ضرورة التوسّع في وسائل وأساليب تثقيف عامّة الناس وخاصّتهم ثقافة عامّة بموقف الإسلام الصحيح في مختلف شؤون الحياة، حتى لا يقتصر العلم به على المختصّين في الشريعة أو الدراسات الإسلامية.

7) لا بدّ من بذل كلّ مُستطاع للقضاء على جميع أنواع الفساد، والظلم، والطغيان، والسخرية والاستهزاء بالدين وبالمتمسّكين به؛ فإنّها كثيراً ما- تُتخذ ذريعة للانحراف الفكري ولتسويغ ما يترتب عليه.

التوصيات:

- 1) تسهيل الوصول إلى البحوث العلميّة بمختلف الوسائل، والأساليب، واللغات؛ لتعمّ الفائدة، وبخاصّة في أفريقيا؛ إذ لا يزال يوجد بلبلة في الموقف من هؤلاء المنحرفين فكريّاً، الذين يقومون بأعمال قتل وعنّف و تدمير، تُضرب بالإسلام والمسلمين في كل مكان.
- 2) على من ابتلي بانحراف فكري العودة إلى الصواب. وعلى من يحاولون معالجته والحوار معه تقوى الله في الوسائل، والأساليب، وعدم خلط الحابل بالنابل، والإخلاص لله تعالى.

المصادر والمراجع

- 1) الآثار الدينية والاجتماعية للأزمة في مالي، د.عبد الرحمن عبد الله سيدي، مجلة قراءات إفريقية، العدد 16، ربيع الآخر- جمادى الآخرة 1434هـ أبريل - يونيو 2013م.
- 2) الأبعاد التاريخية والفكرية لأزمة شمال مالي، سيدي المختار محمد الصالح جالو-رحمه الله- قراءات أفريقية عدد 16، ربيع الآخر-جمادى الآخرة 1434هـ أبريل-يونيو 2013م.
- 3) أثر الانحراف الاعتقادي على الإرهاب العالمي، اليهودية نموذجاً، د.سعد علي الشهراني/7-8 عام 1416هـ، 2005م
- 4) الإرهاب أسبابه ووسائل العلاج، عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، المفتي العام للمملكة العربية السعودية، بحث مقدّم للدورة 17 للمجمع الفقهي الإسلامي، التابع لرابطة العالم الإسلامي، المنعقدة في مكة المكرمة في: 19-24/10/1424هـ الذي يوافق 13-18/12/2003م
- 5) الأسس والمحيدات المختلفة لمواجهة الانحراف الفكري، د.عبد الرحمن معلا اللويحق/11، بحث مقدّم للدورة التدريبية: دور الإعلام في مجابهة الانحراف الفكري، القاهرة 1-5/2/1431هـ، 16-20/1/2010م (شبكة الألوكة).
- 6) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، آدم عبد الله الألوري، ط3، عام 1398هـ 1978م.
- 7) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي 432/1، دار عالم الكتب، بيروت، بدون ت.

3) الكَشْفُ المُسْتَمِرُّ عن الدَّورِ الخفيِّ لبعض المخابرات الغربية وأذرعها في انتشار الانحراف الفكري، ودعمه مادياً ومعنوياً، وإعلامياً، وسياسياً، واتخاذها للمنحرفين فكراً ووسائل لنشر الفوضى في المجتمعات وزعزعة الدول، وإبادة فرنسية-لقومية السونغاي في الدول الثلاث مالي والنيجر وبوركينا فاسو- بالوكالة على أيدي انفصاليين وجهاديين ومدسوسين من مخابراته-كما سمّاها باحثون-.
المقترحات: بذل مزيدٍ من الجهود في القيام ببحوث علمية، ودراسات متخصصة، حول مختلف القضايا التي تتصل بحياة الفرد المسلم، ونشرها بين العامة والخاصة وبمختلف اللغات والوسائل، وتسهيل الوصول إليها.

صَلِّ اللّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ

- (8) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية 293/1، تحقيق وتعليق د.ناصر عبد الكريم العقل، ط5 عام 1415هـ 1994م، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض.
- (9) الانحراف الفكري مفهومه، أسبابه، علاجه في ضوء الكتاب والسنة، د.طه عابدين طه، بدون. (منشور على الشبكة العنكبوتية)
- (10) الانحراف والتطرف الفكري، أحمد مبارك سالم، مركز الإعلام الأمني، بدون ت.
- (11) الانحرافات الفكرية لدى الشباب وأثرها على الأمن الاجتماعي، د.عبد الحي القاس عبد المؤمن عمر، جامعة الإمام المهدي، كلية الشريعة والقانون، السودان، منشور على الشبكة العنكبوتية.
- (12) التاريخ الإسلامي في غرب أفريقيا تحت مطارق الباحثين، هارون المهدي ميغا، مجلة قراءات أفريقية، العدد1، رمضان 1425هـ أكتوبر 2004م.
- (13) تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش، محمود كعت نشر هوداس ودلافوس، مطبعة برين، باريس عام 1332هـ 1913م
- (14) تجديد الوعي، أ.د.عبد الكريم بكار، ط2 عام 1426هـ 2005م.
- (15) التخطيط الاستراتيجي لتحقيق الأمن الفكري بالمملكة العربية السعودية، سعيد علي حسين اللقيطي
- (16) التدابير الواقية من الانحراف الفكري، دراسة تأصيلية، تميم عبد الله السلطان، إشراف أ.د.عبد الله فهد الحيد، بحث مقدّم لاستكمال متطلبات نيل درجة الماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض، كلية

- الدراسات العليا، قسم العدالة الجنائية، تخصص التشريع الجنائي الإسلامي، عام 1427هـ 2006م.
- (17) التعريف بالعرب في جنوب الصحراء أزواد وعاصمتهم تمبكتو، د.محمد بن محمد بن الأمين الأنصاري، مكة المكرمة 1428هـ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية.
- (18) التفجيرات والتهديدات التي تواجه الأمنين، أسبابها، آثارها، حكمها الشرعي، وسائل الوقاية منها، د.وهبة مصطفى الزحيلي، بحث مقدّم للدورة 17 للمجمع الفقهي الإسلامي، المنعقدة في مكة المكرمة 19-24/10/1424هـ الذي يوافق 13-18/12/2003م.
- (19) التفكير فريضة إسلامية، عباس محمود العقّاد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت-صيدا، بدون ت ن
- (20) تلبيس إبليس، ابن القيم الجوزي عبد الرحمن بن علي أبو الفرج، تحقيق د.السيد الجميلي، عام 1405م-1985م، دار الكتاب العربي، بيروت.
- (21) التمدد الطائفي في أفريقيا: التّشيع في مالي، دراسة ميدانية تحليلية، إعداد/د.هارون ميغا و د.عبد الرحمن سيبي، باحثان من جمهورية مالي، ذي القعدة 1430هـ، أكتوبر 2009م (غير منشور)
- (22) الحاوي للفتاوى، عبد الرحمن السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، عام 1408هـ 1988م.
- (23) الحدائث في الشعر العربي المعاصر، حقيقتها وواقعيتها، رؤية فكرية وفنية، د.وليد القصاب، دار القلم، ط1 عام 1417هـ 1996م دبي، الإمارات العربية المتحدة.

- (24) حَمَلُ السلاح لتطبيق الشريعة في العصر الحديث، ما وقع في مالي (نموذجاً) رمضان 1433هـ يوليو 2012م المجلس الإسلامي الأعلى، بماكو، مالي
- (25) الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية، السيد مجب الدين، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، بدون ت.
- (26) الدولة الوطنية (القومية) في العالم الإسلامي، طلعت رميح، البيان، إصدار المنتدى الإسلامي، سنة 35 العدد 395 رجب 1441هـ مارس 2020م
- (27) الردُّ المدمم على الفرقة المسماة ب(أنصار الدين) لعثمان مدان حيدرا، أبو بلال إبراهيم جكتي الفانوي، ط1 عام 1444م، بدون م.
- (28) سبل الوقاية من الانحراف الفكري وتحقيق الأمن الوطني من خلال مقرّر التوحيد في المرحلة الثانوية في المدارس السعودية، بحث للمشاركة في مسابقة الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني بدول مجلس التعاون الخليجي، إعداد د.سليمان قاسم العيد، عام 1425هـ (على الشبكة العنكبوتية).
- (29) شرح أحاديث من صحيح مسلم، دراسة في سمت الكلام الأول، د. محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1 عام 1436هـ 2015م
- (30) الشيعة والتصحيح: الصراع بين الشيعة والتشيع، د.موسى الموسوي، عام 1408هـ 1988م بدون مطبعة.
- (31) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري (ت 393هـ) تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط3 عام 1404هـ 1984م.
- (32) الصداقة، جريدة شهرية، إخبارية، جامعة، يصدرها باللغة العربية نادي الأدب والثقافة ببماكو، أعداد مختلفة.

- (33) الضوابط الشرعية لموقف المسلم في الفتن، معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، بدون تاريخ ولا مطبعة.
- (34) الطوارق من الهوية إلى القضية، الأستاذ إكناث ولد النقره، من إصدارات المركز الموريتاني للدراسات والبحوث الاستراتيجية، عام 2014م، طوب بريس الرباط.
- (35) العبادة وأثرها في تربية النفس الإنسانية، د.عبد العزيز عبد الرحمن المحيميد، ط1 عام 1424هـ، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.
- (36) عصرنا والعيش في زمانه الصعب، أ.د. عبد الكريم بكار، ط3 عام 1428هـ 2007م دار القلم دمشق.
- (37) العلماء وتحصين الشباب من الفكر المنحرف (الأسس والمحددات)، د.عبد الرحمن بن معلأ اللويحق، بحث مقدّم للمشاركة في مؤتمر دور العلماء في الوقاية من الإرهاب والتطرف، تنظيم مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
- (38) الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، دراسة علمية حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف والأصولية، ط5 عام 1423هـ 2002م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- (39) الغلو في الدين: المظاهر، الأسباب، العلاج، د.محمد أحمد لوح، بتاريخ 2014/11/8م (منشور على الشبكة)
- (40) فتح الباري شرح صحيح البخاري ابن حجر العسقلاني، قرأه تصحيحاً وتحقيقاً الشيخ عبد العزيز بن باز، دار الفكر بدون ت
- (41) فصول في التفكير الموضوعي، د.عبد الكريم بكار.

- (42) فقه الاستضعاف، د.هاني عبد الله الجبير، مجلة البيان، السنة 31، العدد 344، ربيع الآخر 1437هـ يناير- فبراير 2016م.
- (43) الفوضوية في حياتنا، عادل محمد العبد العالي، ط1 بدون تاريخ، مؤسسة الجريسي الرياض.
- (44) القتال بين المسلمين صورته وأسبابه في أزمة مالي 2012م، دراسة فقهية" بحث تكميلي مقدّم للحصول على درجة الماجستير في الفقه وأصوله، إعداد الطالب محمد الحاج عثمان ميغا، إشراف د.بوكاري كندو، العام الجامعي 1436هـ 1437هـ، قسم الدراسات العليا، اختصاص الفقه وأصوله، كلية الشريعة والقانون، الجامعة الإسلامية بالنيجر.
- (45) كتاب التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني/168، ط1 عام 1403هـ 1983م دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- (46) لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، نشر دار صادر - بيروت،
- (47) مالي عودة الاستعمار القديم مجموعة أبحاث لجماعة من الباحثين، ط1 عام 2014م، منتدى العلاقات العربية والدولية، الدوحة قطر.
- (48) مجلة البيان، (من إصدارات المنتدى الإسلامي) العدد 322، سنة 29، جمادى الآخرة 1435هـ أبريل 2014م والعدد 395، سنة 35 رجب 1441هـ مارس 2020م
- (49) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد العاصبي، دار عالم الكتب، الرياض، عام 1412هـ 1991م.

- (50) المراسلات العلمية وأثرها التعليمي والدعوي بغرب أفريقيا، رسالة ابن باز نموذجاً، مجلة قراءات أفريقية، العدد 3، ذو الحجة 1429هـ ديسمبر 2008م.
- (51) مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر، الأسباب، الآثار، العلاج، ط1 عام 1419هـ 1998م بدون مطبعة.
- (52) معجم المقاييس في اللغة، ابن فارس (ت 395هـ) تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، ط1 عام 1415هـ 1994م، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان.
- (53) المغني، موفق الدين عبد الله بن أحمد ابن قدامة، طبع دار إحياء التراث العربي 1405هـ - 1985م، الطبعة الأولى
- (54) مقدمة ابن خلدون، مهّد لها وحققها وعلّق عليها د.علي عبد الواحد وافي، ط3، عام 1401هـ، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.
- (55) الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، عام 1404هـ، دار المعرفة، بيروت.
- (56) من حديث يوسف وموسى عليهما السلام في الذكر الحكيم، د.محمد أبو موسى، ط1 عام 2021م، مكتبة وهبة بالقاهرة.
- (57) من له إعلان الجهاد: تنظيم الدولة الإسلامية نموذجاً، بحث مقدّم إلى الدورة الشرعية: (منهج الخوارج: عار ودمار) إعداد د.هارون المهدي ميغا. تنظيم دعاة وزارة الشؤون الإسلامية بالرياض، بماكو 20-17/10/2014هـ، 19-17/8/2014م

58) منهاج السنّة النبويّة في نقض كلام الشيعة القديرة، ابن تيمية، تحقيق د.محمد رشاد سالم، ط2 عام 1411هـ 1991م، طبع على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز بمناسبة افتتاح المدينة الجامعية (جامعة الإمام محمد).

59) من وسائل مواجهة المدّ الشيعي في أفريقيا، إعداد/ الدكتور هارون المهدي ميغا. ورقة مُقدّمة إلى الملتقى الدعوي: "الداعية في مواجهة التحديات الفكرية والعقدية" المنعقد في بماكو من 7/30 إلى 1432/8/2هـ-1-2011/7/3م. تنظيم رابطة الدعاة في مالي وكلية طوبى للدراسات الإسلامية.

60) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

61) نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري بالمملكة العربية السعودية، عبد الحفيظ عبد الله المالكي

62) نماذج من دور قيادات دينية إسلامية خارجية في الأمن والاستقرار بمالي: قديما وحديثا، إعداد/ د.هارون المهدي ميغا، بحث مقدّم في الدورة التأهيلية: (دور القيادات الدينية في تعزيز السلم والمصالحة الوطنية في مالي)، التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي بالتعاون مع مكتب هيئة الإغاثة العالمية، في بماكو مالي بتاريخ 23-26/8/2014م. (منشور على الشبكة العنكبوتية، ومدوّنة مجلس علماء وكتّاب شمال مالي).

63) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنيكتي، تحقيق د.علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1 عام 1423هـ 2004م.

64) الهزيمة النفسية انظر كتيب الهزيمة النفسية عند المسلمين د.عبد الله الخاطر، من منشورات المنتدى الإسلامي بالرياض، بدون ت

65) هل من تطبيق الشريعة ما قامت به الحركات المسلّحة في شمال مالي؟ د.هارون ميغا، بماكو 2013/01/08م. منشور على الشبكة العنكبوتية، وعلى مدوّنة "مجلس علماء وكتّاب شمال مالي".

66) وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي، د.حسن محمد حسن، سلسلة رابطة العالم الإسلامي، مكّة، سنة 1 العدد 5 عام 1401هـ الصحف: الشرق الأوسط عدد 12434، الأربعاء 11 ربيع الأوّل 1434هـ 23 يناير 2013م.

1) faculty.ksu.edu.sa/27846/page

2) http://ar.wikipedia.org/wiki

3) http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2014/6/14

4) http://www.altaleeah.com/vb/showthread.php?t=1215

5) islamion.com/news

6) movement.com/32368.-www.islamist

7) www.aljazeera.net 2014/7/7

8) www.almaqreze.net

9) www.hanein.info 2013/1/19

10) www.dd sunnah.net 2013 /1/22

11) www.alukah.net

12) www.assakina.com/studies/5304.html

فهرست الموضوعات:

الموضوع:	الصفحات
المُقَدِّمة	3
التَّمهيد:	8
مفهوم الانحراف الفكري	8
المَبْحَثُ الأوَّل: نظرة عامَّة للانحراف الفكري:	18
المطلب الأوَّل: مَظاهرُ الانحراف الفكري	20
الهزيمة النفسِيَّة، الفوضويَّة في طلب العلم وفي التفكير، سوء التعامل مع المعلومات غير الملائمة، إصدار الأحكام المسبقة، استشعار الكمال في التدبُّن والالتزام، المبالغة والتضخيم، مجرَّد الرغبة في التغيير، اللجوء إلى العنف قولاً وعملاً، التعصُّب الأعمى للرأي ونحوه، القدرة على التغيرير والخداع.	
المطلب الثاني: أسباب الانحراف الفكري	27
- الأسباب الداخليَّة: علميَّة، نفسيَّة، تربويَّة، اجتماعيَّة، دينيَّة، سياسيَّة	
- الأسباب الخارجيَّة: الغزو الفكري، الانفتاح الإعلامي غير المنضبط	
المَطْلَبُ الثالث: آثارُ الانحراف الفكري وسبل معالجته:	39
أوَّلاً: الآثار: عقديَّة، دينيَّة، اجتماعيَّة	
ثانياً: سبل معالجته: المعالجة الأسريَّة، المعالجة الفكريَّة، المعالجة العمليَّة، المعالجة السياسيَّة	
المبحث الثاني: عوامل انتشار الانحراف الفكري	50
المطلب الأوَّل: جِهاتٌ تقف وراء الانحراف الفكري	52

المرجئة والمعتزلة، العولمة، التيارات الهدامة، الصوفيَّة، الشيعة، قُوى الهيمنة في العالم	
المطلب الثاني: علاقةُ الانحراف الفكري بإثارة الفتن في المجتمعات وزعزعة أُممها	59
المطلب الثالث: ضَعْفُ التحصين الشرعي	61
المبحث الثالث: دورُ الفرق في الانحراف الفكري	65
المطلب الأوَّل: أثرُ الرفض في انتشار الانحراف الفكري في المجتمعات	67
المطلبُ الثالث: الانحرافُ الفكريُّ وأثره في نشأة الإرهاب	73
المطلب الرابع: نماذج من الفرق المنحرفة في العصر الحاضر:	76
الشيعة، غلاة الصوفيَّة، العلمانيَّة، القاعدة، تنظيم الدولة، بوكو حرام	
المبحث الرابع: الانحراف الفكري في مالي	88
المطلب الأوَّل: واقعُ الانحراف الفكري في مالي	90
الطور الأوَّل: ما قبل أحداث 2012م، الطور الثاني: ما بعد أحداثه	
المطلب الثاني: نماذج من الانحراف الفكري في مالي	97
الأوَّل: غلاة ينتسبون إلى السنَّة	
الثاني: غلاة الصوفيَّة	
الثالث: التمدُّد الشيعي المتنامي	
الرابع: التغريب في أوسع معانيه	
الخامس: الحركات المسلَّحة الانفصاليَّة والجهاديَّة	
المَطْلَبُ الثالث: جُهودُ العلماء والدعاة والهيئات الإسلاميَّة في مواجهة الانحراف الفكري في مالي	162
المطلب الرابع: تجارب من جهود المؤلِّف في مواجهة الانحراف الفكري	208

CET OUVRAGE

Dieu a créé l'Homme en bonne image et nature, et lui donne un esprit sain qui est capable de bien réfléchir, donc il est évident que la bonne pensée soit de son origine jusqu'à ce que des intrus viennent le mettre hors de lui.

Si la réflexion est le résultat de l'esprit, la bonne réflexion doit aider à identifier la qualité et la supériorité des gens. Alors pour atteindre la vérité, la pensée et le raisonnement sont des concessions à ne pas ignorer, si les moyens et méthodes d'utilisation sont idoines. Ce que l'esprit sain juge dans des règles et des lois, il le fortifie avec tant d'affection afin qu'il ne tombe dans le piège de l'extrémisme.

L'Islam est basé sur la réflexion, et a appelé à la sagesse et à la méditation dans le monde, à l'Homme dans sa diversité, dans les affaires sociales et ses fluctuations, par les exhortations et les morales, qui enracinent la foi et bénéficient du groupement humain sur terre afin de réaliser les intérêts publics et privés en défendant les cinq recommandations de la vie et ses obligations.

Cet ouvrage s'exprime sur la pensée, l'esprit et beaucoup d'autres choses importantes relatant

243.....	الخاتمة:
247.....	المصادر والمراجع
256.....	فهرست الموضوعات:

dangereuses et dont chacune conduit certainement à la destruction. Les deux (2) autres branches restantes sont positives et peuvent être valables et avantageuses dans différents domaines.

Cette œuvre aborde également la réalité de la déviance intellectuelle au Mali, ses exemples et ses dérives, ainsi que les efforts fournis par les érudits, les prédicateurs et l'auteur de ces lignes afin de faire face à ce fléau.

Elle a aussi légué des recommandations comme suite :

- 1- Faciliter l'accès à la recherche scientifique par des moyens multiples, des méthodes, des langues pour généraliser les avantages particulièrement en Afrique ; vu qu'il y'a toujours des inclinations physique et mentale envers des terroristes qui commettent des exactions barbares, des atrocités et beaucoup de dégâts qui – en premier lieu – menacent et gêne l'Islam et les musulmans partout dans monde.
- 2- Encourager ceux qui se sont pris au piège par la déviance intellectuelle à retourner à la raison, sans orgueil, afin d'illuminer la voie réelle. Ceux qui cherchent à éradiquer ce fléau par le dialogue et le débat doivent avoir la foi et la croyance en

avec la déviance intellectuelle : ses formes ; ses causes internes et externes, et ses conséquences multiples. Il suggère des moyes de solution qui nécessite les résolutions familiales, sociales, mentales et politiques etc...

Il traite également la relation entre la déviance intellectuelle et l'expansion des agitations dans la société, sa sécurité et sa stabilité y compris la naissance du terrorisme et ses dérives. Il dénonce certaines pratiques qui sont derrière ses propagandes, cite des exemples de couches dévoyées dans nos sociétés modernes jusqu'à ces nombreuses bannières qui s'élèvent au nom de l'Islam qui –ayant des contradictions entre elles-mêmes s'affrontent les unes les autres pour s'entretuer- influencent les convictions des individus et la société sur les principes posés.

Vu que le radicalisme intellectuel s'est répandu partout. Les idées des initiateurs, leur objectif, leur moyen et leur méthode impactent beaucoup. Cet ouvrage juge nécessaire d'aborder le thème de la déviance intellectuelle en république du Mali et mentionne qu'une pieuvre à déviance intellectuelle a rongé cette république depuis, au moins, les années soixante - dix du XX^{ème} siècle qui a engendré huit (8) branches dont six (6) d'entre elles sont très

études spécialisées sur les différentes questions relatives à la vie de l'Homme musulman, la société et la nation en les publiant à grandes échelles dans des différentes langues afin d'en faciliter l'accès.

J'invoque Allah Le Très Haut Le Tout Puissant afin qu'il épargne les pays des Musulmans de tout mal. Qu'Allah les donne la paix et la stabilité éternelles, la cohésion et l'unité. Qu'Il facilite aux leaders de ces pays la force de les diriger vers l'intérêts de la nation et des peuples. Qu'Allah fasse retourner à la république du Mali l'unité et la cohésion sociale, la sécurité intellectuelle et religieuse, la stabilité politique et la bonne gouvernance, et détruire la trahison... etc. Qu'Il détruise les malfaiteurs, les tyrans, les despotes qui complotent pour semer le désordre organisé à l'intérieur comme à l'extérieur. Qu'Allah punisse quiconque organise la fourberie contre notre pays et tout autre pays musulman car Il [Allah] est Le Très Haut Le Très Honoré, Il détient la connaissance des yeux qui trahissent et les intentions cachées. Il est Le Gardiens du succès Qui guide vers le droit chemin.

L'auteur

Pr Harouna Almahadi MAÏGA

Allah, multiplier les moyens et méthodes, tout en prenant en compte les différents aspects, les contextes, la sagesse sans pourtant mélanger les choses pour ne pas tomber dans le piège de la discrimination religieuse et l'injustice sociale.

3- Continuer à découvrir les rôles cachés des services de renseignements occidentaux, régionaux et locaux en complicité avec les organisations, les services multinationaux, les usines de fabrication d'armements, les aides matérielles, les employés mercenaires, les destructeurs mandatés, les organisateurs de désordres... etc. qui œuvrent pour propager la déviance intellectuelle en y finançant matériellement, moralement, médiatiquement, militairement, politiquement et stratégiquement tout en garantissant aux extrémistes intellectuels des moyens pour divulguer le désordre organisé dans les sociétés afin de déstabiliser les pays, menacer les gouvernements, exterminer les peuples et les ethnies ou les forcer à immigrer hors des terres de leurs pères et de leurs aïeux afin qu'ils puissent les faire occuper par d'autres après.

L'ouvrage propose de fournir plus d'efforts dans le cadre des recherches scientifiques et des

ANOMALIE INTELLECTUELLE :

*Causes, facteurs de propagation,
modes de traitement et impacts*

(Cas du Mali)

Pr Harouna Almahadi MAÏGA

- Professeur de l'Enseignement Supérieur.
- Secrétaire General du Conseil des Ulémas et écrivains du Nord du Mali.

Tous droits réservés à l'Auteur. 1^{ère} Edition 2021 A.D -1442H.

Bamako République du Mali